العربية والترجمة

مجلة علمية فصلية محكمة تعنى بعلوم اللغة والترجمة

السنة الحادية عشرة العدد 43-44 تشرين الثاني / نوفمبر 2025

■ افتتاحية — بسام بركة

بحث العدد

■ دينامية المكون السياقي في نظرية النحو الوظيفي — لطيفة محمد ألحيان

■ دور التّرجمة في بناء جُسور التّواصل بين الثّقافات وتحقيق التفاعـل الحضاري أضواء ومُلاحظات ونماذج مُشرقة من الأندلس — محمد سيف الإسلام بوفلاقـة

دراسات

■ تنمية المعجم اللغوي وتعزيزه لدى الطفل في المرحلتين المدرسيّتين الأولى والثانية دراسة تطبيقية — أحمد حاجي صَفَر

■ De la récurrence lexicale et la dimension sémio-sémantique et argumentative dans le discours de la presse francophone méditerranéenne: le cas du mot «enclave» désignant Gaza post-7 octobre 2023 — Abdenbi LACHKAR & Yacine BOULAGHMEN

■ Reenactment in (Moroccan) Arabic storytelling: Towards an embodied approach — Dris Soulaimani

مقالات

■ في التَّضَايُف اللُّغوي بين البَلاغة والفلسفة (تحليل عينية ابن سينا) — سنوسي سامي

■ الترجمة بوصفها أداة ترشيد الاستهلاك المعرفي في الوطن العربي — محمد كوداد

■ الترجمة العلمية في العالم العربي: مكامن الخلل المعيقة لقيام مشروع نهضوي — جان جبور

■ اللغة العربية والهوية والمواطنة — زهيدة درويش جبور

■ بِناءُ نظريّة الحجاج: منظور تداوليّ- جدليّ — فرانس هـ. فان إميرين تون فان هافتن

إصدار : المنظمة العربية للترجمة

العربية والترجمة

مجلة علمية محكمة تصدر فصلياً عن المنظمة العربية للترجمة

مرخصة من وزارة الإعلام في لبنان بموجب القرار 2006/119 بناء على المرسوم رقم 14953 وعلى قانون المطبوعات الصادر في 1962/9/14

السنة الحادية عشرة - العدد 43-44

تشرين الثاني / نوفمبر 2025

رئيس التحرير

بسام بركة

الهيئة الاستشارية

- عدنان عيدان • عبدالله بن صالح الوشمي • سامي عطرجي
- محمد الدبس • مخلف الدليمي • نادر سراج
- خالد البلوشي • محمد مراياتي

جميع المراسلات على العنوان الآتي:

المنظمة العربية للترجمة

سنتر عزام، شارع السيدة، الجديدة، ط. 6،
ص. ب: 5996 ـ 113 الحمراء ـ بيروت 2090 1103
لبنان، هاتف: 892350 _ 898196 (9611)
e-mail: aotarab@gmail.com
http://www.aot-arab.org

المنظمة العربية للترجمة

السنة الحادية عشرة العدد 43-44 تشرين الثاني / نوفمبر 2025

المحتويات

■ افتتاحية ..... بسام بركة 4

بحث العدد

■ دينامية المكون السياقي في نظرية النحو الوظيفي ..... لطيفة محمد ألحيان 11

■ دور التّرجمة في بناء جُسور التّواصل بين الثّقافات وتحقيق التفاعل الحضاري أضواء ومُلاحظات ونماذج مُشرقة من الأندلس ..... محمد سيف الإسلام بوفلاقة 51

دراسات

■ تنمية المعجم اللغوي وتعزيزه لدى الطفل في المرحلتين المدرسيّتين الأولى والثانية دراسة تطبيقية ..... أحمد حاجي صَفَر 83

■ De la récurrence lexicale et la dimension sémio-sémantique et argumentative dans le discours de la presse francophone méditerranéenne: le cas du mot «enclave» désignant Gaza post-7 octobre 2023 Abdenbi LACHKAR & Yacine BOULAGHMEN 108

■ Reenactment in (Moroccan) Arabic storytelling: Towards an embodied approach Dris Soulaimani 139

■ في التَّضَايُف اللُّغوي بين البَلاغة والفلسفة (تحليل عينية ابن سينا)..... سنوسي سامي 173

العربية والترجمة

رئيس التحرير بسام بركة

مقالات

- الترجمة بوصفها أداة ترشيد الاستهلاك المعرفي في الوطن العربي ..... محمد كوداد 195
- الترجمة العلمية في العالم العربي: مكامن الخلل المعيقة لقيام مشروع نهضوي. جان جبور 213
- اللغة العربية والهوية والمواطنة .....زهيدة درويش جبور 223
- بِناءُ نظريّة الحجاج: منظور تداوليّ- جدليّ.....فرانس هـ. فان إميرين تون فان هافتن 231

آراء الكتّاب لا تعبّر بالضرورة عن اتجاهات تتبناها
«المنظمة العربية للترجمة» أو «العربية والترجمة»

المديرة المسؤولة: رندلا الحلوة

افتتاحية

لقد شهدت العقود الأخيرة تطوّرًا لم يسبق له مثيل في التقنيات الحاسوبية وخصوصًا في آليات الذكاء الاصطناعي، التي دخلت شيئًا فشيئًا في حياة البشر على جميع الأصعدة، ومن بينها عملية الترجمة التي شهدت تحوّلاً كبيرًا جعل بعضهم يقر بانتهاء دور المترجم البشري وحلول الترجمة الآلية محله. ذلك بأن التعلم العميق والشبكات العصبية باتت قادرة على فهم السياقات اللغوية، وانتقاء المفردات الصحيحة، وبناء التراكيب النحوية، وأصبحت تقدم ترجمات تكاد تقترب من أسلوب الترجمة البشرية. وبذلك، لم يعد السؤال يدور حول ما إذا كانت الآلة قادرة على الترجمة بين لغتين، بل حول إمكانها أن تضاهي الأداء البشري في هذه المهمة.

* * * * *

لكن اللغة العربية، بعمقها التاريخي وثرائها اللساني، على صعيد غناها بالمفردات الدقيقة وبفروقاتها الدلالية كما على صعيد تعقيدات تراكيبها النحوية والصرفية، تمثل تحديًا خاصًّا أمام الذكاء الاصطناعي على الرغم من التقدم المذهل الذي أحرزه وما يزال يحرزه يومًا بعد يوم. وبالإضافة إلى هذه الصعوبات اللغوية التي ترتبط بالتعامل مع الجذور والمصطلحات والاشتقاقات والحركات فوق الأحرف المكتوبة وتحتها، يصادفُ تعامل الذكاء الاصطناعي مع اللغة العربية، فيما يتعلق بالترجمة منها وإليها، عقبتين أساسيتين: الأولى خاصة، ترتبط بلغة الضاد والأخرى عامة وتتعلق بالمواجهة بين المترجم الآلي والمترجم البشري. هناك، من ناحية، عدم توفر البيانات عالية الجودة باللغة العربية، كما هي الحال في اللغات

العالمية الأخرى، ومن ناحية أخرى، هناك التحديات المهنية والأخلاقية التي يفرضها استعمال الآلة على المترجمين الذين أضحوا مجبرين على الاستفادة من هذه الأدوات الجديدة وعلى أن يتكيفوا معها. كلّ ذلك يفضي إلى التغيير العميق في طبيعة عملهم، من دون أن يلغي دورهم بوصفهم وسطاء بين اللغات وبين الثقافات. فالذكاء الاصطناعي، وحتى إشعار آخر، لا يعدو كونه امتدادًا للذكاء البشري وليس بديلا عنه، وإن كان يفوقه في حجم البيانات والمعلومات وفي سرعة معالجتها ودقة استخدامها. تمامًا كما هي الحال في الثورات التقنية الهائلة التي عرفتها البشرية على مدى قرون عدة. وللتأكد من ذلك، يكفي أن نستذكر اختراع المطبعة، والآلة الطابعة (الدكتيلو)، والسيارة، والحاسوب، ...

هكذا، يمكننا القول إن العلاقة بين الترجمة العربية والذكاء الاصطناعي ليست علاقة تنافس، بل هي علاقة شراكة وتكامل. فالذكاء الاصطناعي يمكن أن يكون حليفًا للمترجم العربي، بدلًا من أن يكون منافسًا له. وكلما تطورت تقنيات الذكاء الاصطناعي وزادت قدرتها على فهم خصوصيات اللغة العربية، تعزّزت إمكانات الترجمة، وارتفعت جودة المحتوى العربي المترجم في مختلف المجالات.

لئن كان ثمة من يعدّ قدرات الترجمة بوساطة الذكاء الاصطناعي تهديدًا كبيرًا لمهنة المترجم العربي واستلابًا لوظيفته الإبداعية، وذلك غير صحيح، فمهنة المترجم ستبقى، ولكنها ستتطلب كفاءات أخرى غير تلك التي كانت تُطلب منه في الماضي، وتلك الكفاءات ترتبط خصوصًا بقدرته على الاستعانة بالذكاء الاصطناعي من أجل تحسين أدائه الترجمي. فالترجمة الأولية السريعة التي يمكن أن يقدمها تختصر الوقت وتوفّر له المصطلحات الدقيقة، كما أن المساعدة في مراجعة النص المترجم وتدقيقه تُسهم في تجنيبه الأخطاء اللغوية والمطبعية وكذلك تُساعد على توحيد المصطلحات الفنية والعلمية، وعلى إضفاء التناسق في كتابة أسماء العلم

الأجنبية. وبذلك نرى أن التعاون بين المترجم العربي والذكاء الاصطناعي ليس مجرد تطور تقني في تاريخ صناعة الثقافة في العالم العربي، بل هو تحول معرفي وتقني يفتح أبوابًا جديدة للتواصل والفهم المتبادل بين اللغات والثقافات التي تحملها. ومع استمرار المترجمين والباحثين في استكشاف هذه الإمكانات، فإن مستقبل اللغة العربية في العصر الرقمي يبدو أكثر إشراقًا من أي وقت مضى.

* * * * *

هذا فيما يتعلق بالترجمة العربية وتأثير المساعدة الآلية في عملياتها. لكن، ومن أجل أن تكون الآلة مساعدًا لعمل الكائن البشري، لا بد من رفده بالمعطيات الأساسية المتعلقة باللغة العربية، إن من حيث الأبعاد الدلالية والسيميائية للخطاب العربي، أو من حيث ارتباط هذا الخطاب بالبُعد التداولي الذي لا بد من أن تأخذه الآلة بالحسبان لتشمل كل أبعاد التواصل الثقافي، أو من جانب الاستعمال المتنوع للغة لدى البشر، حسب السنّ، أو المستوى الاجتماعي، أو الانتماء الجغرافي، أو المخزون الثقافي، ...

لذا، أردنا أن يكون هذا العدد المزدوج من **العربية والترجمة** في الوقت نفسه متعددًا ومتناسقًا، لسانيًّا وتقنيًّا، فلسفيًّا وعلميًّا، ...

* * * * *

هذا العدد من **العربية والترجمة** عدد أردناه مزدوجًا، نظرًا لأهمية المواضيع التي يضمّها بين دفتيه، وكذلك لتجانس البحوث التي يقدمها ولتقاربها. فيه يستكشف القارئ الإشكاليّات التي ترتبط بنماذج الترجمة الآلية ومعالجتها للغة العربية. فهو يتضمن نخبة من الأبحاث والدراسات والمقالات والترجمات عكست التنوع اللغوي والجغرافي للباحثين، وتوجهاتهم البحثية، وكذلك تنوع الحقول المعرفية التي طبقوا فيها بحوثهم.

يتضمن العدد بحثا للبروفيسور عبد النبي الأشقر في تفكيك الأبعاد السيميائية والدلالية والحجاجية لمصطلح (الجيب) في الخطاب الإعلامي الفرنسي المتعلق بالحديث عن غزة، وهو يُبيّن فيه أبعاد الصناعة الخطابية في الارتكاز إلى الجوانب الحجاجية للمصطلح في توصيف الحالة وترسيخها.

وفي سياق الحجاج نفسه يقدّم الدكتور محمد حمدان الرقب رؤيته في بِناءِ نظريّةٍ للحجاج من منظور تداوليّ جدليّ، تسعى إلى تأسيسٍ جديد لبعض جوانب نظرية الحجاج على مرتكزات التداولية.

أمّا الأبحاث في صميم العربية وآدابها وعلاقتها بالذكاء الاصطناعي ودور أليات الترجمة العربية فيه، فهي غنية ومتنوعة، تستغرق الجوانب التقانية في صناعة النص، والمعجم، والمصطلح، وترجمتها. فالبروفيسور دريس سليماني يقدّم دراسة في إعادة التمثيل في القصص المغربية من خلال نحو النهج المجسد، في محاولة لإعادة بناء الركائز الكبرى للبناء القصصي.

وجاءت دراسة الدكتور أحمد حاجي صَفَر في تنمية معجم الطفل وتعزيزه تجسيدًا للدراسات التطبيقية في السياق التعليمي التربوي القطري للمساهمة في آليات اكتساب اللغة العربية وتنميتها وتعزيزها.

أما بحث الدكتور سنوسي سامي في التَّضَايُف اللُّغوي بين البَلاغة والفلسفة فهو محاولة للتجسير بين علوم العربية والفلسفة من خلال دراسة البنية اللغوية. وفي هذا البُعد أيضًا يندرج بحث الدكتورة لطيفة ألحيان الذي يسلط الضوء على دينامية المكوّن السياقي في نظرية النحو الوظيفي، وذلك في محاولة منها لربط حيوية التركيب بالمكونات النصية.

وفي إطار أوسع، قدمت الأستاذة الدكتورة زهيدة جبور رؤيتها في علاقة اللغة العربية بالهوية، في مقال يصب في السياسات اللغوية والتخطيط اللغوي، سعيًا وراء تثبيت بعض ركائز الانتماء في نظرية المواطنة.

أّما البحوث الترجمية، فـهي تتنوّع بين الدراسات البينية، مثل بحث الدكتور محمد بوفلاقة عن دور التّرجمة في بناء جُسور التّواصل بين الثّقافات وتحقيق التفاعـل الحضاري، وعن الترجمة بوصفها أداة ترشيد الاستهلاك المعرفي في الوطن العربي للدكتور محمد كوداد، وعن الترجمة العلمية في العالم العربي: مكامن الخلل المعيقة لقيام مشروع نهضوي للبروفيسور جان جبور، وكلها بحوث تتلمّس تقديم رؤية للترجمة في خضم هذا الواقع الذي خلط فيه الذكاء الاصطناعي الأوراق، وجعل الباحثين يعيدون حساباتهم الأكاديمية والعلمية في الترجمة وأصولها وجدواها ومستقبلها.

* * * * *

من الأهداف السامية التي تصبو إليها **المنظمة العربية للترجمة**، وهي كثيرة، ثمة هدفُ النهوض باللغة العربية عبر وضع المعارف العالمية بها. وهذا يستتبع أن تكون تلك المعارف مُتاحة في متناول يدي القارئ العربي. لذلك، شئنا أن يكون هذا العدد المزدوج، بكل ما فيه من أبحاث علمية رصينة، متاحًا في موقع المنظمة، يمكن الحصول عليه من دون أيّ مُقابل، على العنوان الآتي:

www.aot-arab.org

وفقنا الله في مسعانا إلى الإسهام في النهوض باللغة اللغة العربية،

والله المستعان، وعليه التكلان

أ. د. بسام بركة
رئيس مجلس الأمناء

بحث العدد

بحث

دينامية المكون السياقي في نظرية النحو الوظيفي*

دة: لطيفة محمد ألحيان

مدخل

لا تكاد الأبحاث اللغوية، قديمها وحديثها، عربيها وغربيها تخلو من الإشارة إلى **السياق** بوصفه مواكبا للخطاب مؤثرا فيه دون أن يكون بالضرورة الخطابَ نفسَه. واللافت لانتباه الباحث في علم النص وتحليل الخطاب، تواتر حضور مفهومي «**السياق**» و«**المقام**» عند أغلب الدارسين، كما يحضر السياق قبل ذلك في الدراسات البلاغية وفي علمي أصول الفقه والتفسير حضورا متميزا باعتماد مصطلحات متباينة أشهرها «**المقام**» في مقابل «**المقال**»، و«**مقتضى الحال**» و«**قرائن الأحوال**».

ومع أن هدفنا ليس الخوض في تفاصيل ما تقدمه هذه المباحث من تحديدات جزئية أو متداخلة، وكيفية اشتغال السياق في هذه العلوم، لورود ذلك في مظانها ذاتِها، فإن الانتظام المنهجي، مع ذلك، يستوجب تقديم لمحة عن السياق في الدراسات اللغوية الحديثة نظرا لما لها من ظلال فيما استجد في إطار نظرية النحو الوظيفي التي تؤطر بحثنا هذا بخصوص السياق؛ من حيث طبيعته وموارده وأنماطه وبنيته وآلياتها وموقعه داخل النماذج المتعاقبة في نظرية النحو الوظيفي، وكيفية اشتغاله في علاقته بأبعاد الخطاب التداولية والدلالية والصرفية –

التركيبية والفونولوجية.

1- ملامح عن مفهوم السياق في الدرس اللغوي الحديث:

إن للسياق مفهوما زئبقيا يصعب حصره، ولعل ما يربي حده استعصاء، النظر إلى أهميته في بناء الخطابات وتفكيكها وتأويلها، وربما شكلت مسألة التداخل بين ما هو لساني وما هو غير لساني مانعا آخر دون تحديده، لذلك عُدّ «مفهوما نوويا في النظرية اللسانية، وذلك بالنظر إلى اعتبارات من أبرزها أن للنسق النحوي وظيفة التعبير عن الأفكار لأغراض تواصلية».

ويعود الفضل للدارسين الغربيين في صوغِ الفكرة حول السياق في شكل نظرية صورية قابلة للتطبيق، والاجتهادِ في وضع معايير وإجراءات لها، مما يجعلها تقف موازية لبقية النظريات التي تتناول المعنى بالتحليل والتفسير.

لقد أشار سوسير Ferdinand de Saussure إلى السياق عندما صاغ ثنائية اللغة/ الكلام، واعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية ونظاما من الرموز والقواعد، وعد الكلام تحققا فعليا لهذه القواعد (اللغة قدرة / الكلام /انجاز). وعن هذه الثنائية صاغ تقاطعه المبني على الترابطات **السياقية** والإيحائية أو محوري الاختيار والاستعمال.

وتُختزَل فكرته عن السياق في تأكيده على أن وقوع الكلمة في سياق ما، لا يكسبها قيمتها إلا بمقابلتها لما هو سابق لها أو لما هو لاحق بها، أو لكليهما معا . وبذلك تكتسب الكلمات علاقات تعتمد على الطبيعة الخطية للغة، لأنها تربط بعضها ببعض، وهذه الحقيقة تحول دون النطق بعنصرين في آن واحد.

أما جاكوبسون Roman Jacobson فإن اهتمامه بالسياق يتجلى في إدراجه بصفته عنصرا أساسا في خطاطته التواصلية السداسية؛ فللسياق في تصوره وظيفة مرجعية، وللمرجع وظيفة أساس في التفسير الدلالي، كما تستحضر الخطاطة عنصري «المرسِل» و«المرسَل إليه» باعتبارهما عنصرين هامين في سياق الموقف، ويحتكمان معا إلى السياق أو المرجع لترميز الرسالة أو فك ترميزها.

ومن جهة أخرى أسهمت المدرسة الاجتماعية الإنجليزية في إطار السياق مع مالينوفسكي Bronisław Kasper Malinowski. ولعل أهم فكرة وردت عنده هي تجاوز حصر اللغة في أداتيتها لإيصال الأفكار، إلى كونها جزءا من نشاط اجتماعي متسق، فحين تُفصل الكلمة عن سياق هذا النشاط الذي يغلفها، أو عن سياق الموقف الذي تُستخدم فيه تصبح غير ذات مغزى، لأن الألفاظ لا يمكن أن توجد في فراغ.

وقد مهدت أبحاثه الاجتماعية الأنتربولوجية لظهور «**نظرية السياق**» مع فيـــــرث J.R Firth ، وذلك بعد عجز الأول عن ترجمة بعض النصوص القديمة للمجتمعات البدائية لكونها تبدو بلا معنى خارج سياقها، فحاول تفسير عباراتها المبهمة بربطها بالمواقف التي أُنتجت فيها وبنوع النشاط المكاني الذي يصاحبها فوضع بذلك نظرية حول «**سياق الموقف**» Context of Situation.

ففي هذا الجانب، وفي ثلاثينيات القرن العشرين تقريبا، أكد فيرث على أهمية السياق في ترميز معنى الكلمة، وأقر بأن «المعنى الكامل للكلمة هو سياقي دائما، ولا يمكن أخذ أي دراسة للمعنى بمعزل عن السياق الكامل على محمل الجد».

وبذلك أعاد «فيرث» الاعتبار إلى المعنى الذي عَدَّه علاقة بين العناصر اللغوية والسياق الاجتماعي، حيث تتحد معاني تلك العناصر وفقا لاستعمالها في المواقف المختلفة. وبذلك يرى فيرث أن المعاني في الحقيقة متعددة، وأنها وظيفية لمباني التركيب، وبالتالي فهي حاصل معاني البنى اللغوية المختلفة بالتساوي مضافا إليها سياق الموقف.

ثم أصبح السياق اتجاها في اللسانيات يحل أي شيء يحتاج إلى تفسير. وفيما بعد أشار ويرث Werth, P إلى أن سياق القطعة اللغوية هو البيئة المحيطة بها. غير أن هذا يمكن أن يشمل بنسبة قليلة الحركات اللفظية التي تسبقه مباشرة وبعده، أو يشمل بنسبة أكبر الكون كله بماضيه ومستقبله.

ومع ذلك فقد وُجّهت انتقادات إلى نظرية فيرث حول سياق الموقف باعتباره غير عملي للتحليل اللغوي، خصوصا من طرف «بالمر» Palmer, F. R. ، و«روبانس»

Robins, R. H. مما دفعه إلى الاهتمام بـ **السياق اللغوي** بعدّه هدفا للتحليل اللغوي من جهة، وبعدّه/وصفه جملة من العلاقات النحوية المعجمية التي تكوّن الجملة أو النص من جهة أخرى.

أما براون Gillian *Brown* ويول George *Yule* فيختزلان العناصر المشكلة للسياق في: المتكلم والمخاطب والرسالة والزمان والمكان ونوع الرسالة، ويقران بأن محلل الخطاب ينبغي «أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب، لأنه يؤدي دورا فعالا في تأويل الخطاب، بل كثيرا ما يؤدي ظهور قول واحد في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين».

فضلا عن ذلك، فإن مفهوم «السياق» يرتبط بالتخصصات الفرعية لعلم اللغة، وفي التداولية يعد السياق فكرة أساسا لأنه يتعامل مع الجوانب التي تعتمد على السياق لنقل المعنى، أي يعتمد على السياق. وقد أشار وارتون Wharton, Tim إلى أن التداولية تعتبر «السياق كل شيء»؛ إذ تعتمد عليه لتحديد المعنى وتفسير الكلام.

وهذا ما يميز التداولية عن علم الدلالة ويرتبط بشكل كبير بالسياق وبناء المعنى. وبالإضافة إلى البيئة الملموسة، أي السياق الخارجي، فإن مفهوم السياق من وجهة النظر المعرفية يشتغل بالبنى العقلية والنفسية، أي السياق الداخلي. ومن هذه الزاوية، يعرّف سبيربر وويلسون Sperber D & Wilson. D، السياق بأنه «مجموع المقدمات المستخدمة في تفسير الكلام» مؤكدين على أن «السياق هو بناء نفسي».

لا تنحصر أهمية السياق، تبعا لما أوردناه، بل إنه يعتبر أحد المفاهيم الأساس في الأبحاث اللسانية، ولهذا علاقة مع حقيقة أن النسق النحوي يرتبط بالوظيفة الهامة وهي التعبير عن الأفكار وبالتالي خدمة التواصل الإنساني.

وبما أن هذا التواصل يتم دائما في سياق معين، فإن أي نظرية شاملة للغة ينبغي أن تتضمن فكرة معينة عن السياق. لذلك فمن المفترض أن نجد تحديدا

معياريا جامعا أو نظرية شاملة واضحة حول هذا المفهوم، تمتص الجوانب الكثيرة والمتنوعة التي تشير إليها الأعمال المنجزة حوله.

إن الإشكالات التي يطرحها السياق عموما مرتبطة بـ:

- طبيعة السياق وموارده وأنماطه؛
- بنيته وآلياتها؛
- كيفية اشتغاله في علاقته بأبعاد الخطاب التداولية والدلالية والصرفية – التركيبية والفونولوجية.

غير أننا لن نتطرق إلى معالجة هذه الإشكالات من منظور ما ورد عنها في الفكر العربي نحوا وأصول فقه وبلاغة، بل سنطرحها ونناقشها من منطلق يبحث عن الاختلاف، إن وُجد، الذي يقدمه الجواب المقترح في نظرية النحو الوظيفي الذي نشتغل في إطاره، لذلك نعيد طرح السؤال التقليدي «ما هو السياق؟» بصيغة، نعتبرها، أكثر دقة، وهي «**ما طبيعة السياق في جديد هذه النظرية؟**»

2- أنماط السياق حسب موارده:

من اللازم التمييز بين ما هو «**مقامي**» وما هو «**مقالي**»، وكذا التمييز فيهما بين ما هو **مؤثر** أو **فعّال** وما هو **محايد**، وما هو **متقادم** أو **متساقط** أو **مجدد**. وبذلك فإن جميع العناصر المواكبة لإنتاج الخطاب تتدخل في إنتاجه، وفهمه، وتأويله، وتحويله.

2-1- السياق المقامي : يُميَّز عادة بين العناصر المقامية الضيقة المرتبطة بالموقف الذي تتم فيه عملية التواصل، والعناصر الموسِّعة المشكلة للخلفية الاجتماعية- الثقافية لهذه العملية. ويُبْقي المتوكل على حدِّ المقام بكونه «مجموعة العناصر التي تتوافر في موقف تخاطبي معين؛ وأهمها زمان التخاطب ومكانه وعلاقة المتكلم بالمخاطب وخاصة الوضع التخاطبي القائم بينهما، أي مجموعة المعارف التي تشكل مخزون كل منهما أثناء عملية التخاطب».

يسوقنا هذا التحديد إلى التمييز بين السياق المقامي الضيق والموسَّع؛

2-1-1- السياق المقامي الضيق: يتضمن العناصر المرتبطة بالموقف الذي تتم فيه عملية التواصل ذاتها؛ ويرتبط بمفهوم المركز الإشاري Deictic centre الذي يحدده ديك Dik, Simon بوصفه مجموع العناصر السياقية المرتبطة بموقف تواصلي معين يقوم بين مشاركين في عملية التواصل في مكان وزمان محددين، أو ما يسمه بـ«الفضاء التداولي» ، محور المركز الإشاري، كما تبين الخطاطة الآتية :

(1) - مركز إشاري={ (ك0) (ط0) (زم0) (مك0) }

حيث يؤشر (ك) و(ط) إلى المشاركين في عملية التواصل، و(زم) زمان و(مك) مكان.

وتُحيل الخطاطة تبعا لهذا إلى التركيز على فئتين من المعلومات:

أ-معلومات **عامة** عن المشاركين في الفعل التواصلي؛ (السن، الجنس، الانتماء الاجتماعي، المستوى الثقافي) بالإضافة إلى طبيعة العلاقة القائمة بينهما حين التواصل؛

ب-معلومات عن طبيعة الفضاء التداولي، وهي معارف مشتقة من عناصر المقام الذي تجرى فيه عملية التواصل.

يوقفنا هذا التحديد على ملاحظة أساس مجملها أن العناصر المشكلة للمركز الإشاري لا تَطَّرِد دائما. توضيح ذلك أن العناصر الأربعة المذكورة (متكلم، مخاطب، الزمان، المكان)، يمكن أن تكون **ثابت** المركز الإشاري؛ وبذلك يُمَّيز بين المركز الإشاري المعيار الذي يحكم التواصل المباشر بين متكلم ومخاطب في فضاء تداولي موحَّد ومتزامن، والمراكز الإشارية **غير المعيارية** وهي متعددة، نرصد منها **المتغيرات** الآتية:

أ- المركز الإشاري المؤسَّس على متكلم مُتَمَاهٍ مع المخاطب، وهو الحوار المنعكس، حيث يحضر المخاطَب عبر «المونولوج» مع أنه المتكلم ذاته.

ب- المركز الإشاري الذي يضم تواصلا يحصل بين متكلم ومخاطَب في الزمان نفسه، ولكن في مكانين مختلفين. ويحصل هذا النمط من التواصل في المكالمات الهاتفية أو المراسلات الالكترونية المتزامنة أو الخطب المنقولة عبر الوسائل السمعية البصرية.

ج- المركز الإشاري الذي يحكم تواصلا بين شخصين في مكانين وزمانين مختلفين. كما هو الشأن في المراسلات البريدية العادية أو الوصية أو الخُطب القديمة المعاد نقلها.

2-1-2- السياق المقامي الموسَّع: يُقصد به كل ما يشكل الخلفية الاجتماعية–الثقافية لعملية التواصل والمشاركين فيها، كما يمكن إدراج مواصفات ذات العلاقة بنفسية المشاركين. ومنها مواصفات انتماء المشاركين الجغرافي والاجتماعي والتعليمي في عملية التواصل؛ إذ تكمن أهمية **وسيط الانتماء الجغرافي** في تحديد لهجة ما داخل عشيرة لغوية معينة، ومن ذلك الاختلاف بين لهجة الشمال ولهجة الجنوب في دارجة المغرب العربية، أو الاختلاف بين لهجات دول المغرب والمشرق العربيين. وتتضح أهمية **وسيط الانتماء الاجتماعي** في انتقائه لُغَيَّةً اجتماعية حسب طبقة المشاركين في عملية التواصل أو حرفتهم، ولكن داخل العشيرة اللغوية عينها. أما **وسيط المستوى التعليمي** فيحَدِّد خصائص اللغة المتواصل بينها ومن ذلك الخصائص المعجمية؛ حيث تتباين المقولات المعجمية الموظفة حسب المستوى التعليمي والثقافي للمتخاطبين.

من أمثلة تأثير السياق من حيث المقام الضيق، تحديد المركز الإشاري مكانا وزمانا لخصائص الخطاب المنتَج في إطاره. ومن أمثلة السياق المؤثر من حيث المقام الموسَّع انطباع الخطاب معجما أو صرفا أو تركيبا وصوتا بمحددات المتخاطبين الاجتماعية والثقافية والجغرافية وأغراضهم، وتتحكم في هذا الجانب وسائط تخص اختلاف اللغات من حيث تأثير السياق. ويورد «هنخفلد» و«مكنزي» مثالا عن ذلك من لغة «**الدايريل**» يخص اختفاء

بعض الوحدات المعجمية وعدم توظيفها في سياق حضور زوجة الأب. ونذكر أيضا تمييز اللغة الفرنسية بين الضميرين «tu» و«vous»، كما نستحضر تميز اللغة اليابانية بكثافة الاستعمال لمفاهيم التأدب.

اعتمادا على ما سبق نتساءل: **ما العلاقة التي يمكن قياسها بين السياقين المقاميين الضيق والموسَّع؟ وكيف يمكن رصد هذه العلاقة؟**

نعرف مبدئيا أنه يمكن أن تتم عملية التواصل سواء تشابهت الوسائط المشار إليها سابقا أو اختلفت، بمعنى أنه يمكن أن يتواصل شخصان سواء تشابهت خلفيتاهما الاجتماعيتان- الثقافيتان أو اختلفتا، كما يمكن أن يتواصل شخصان في زمانين متباعدين أو في الزمان ذاته. يمكن أن يتواصل عربي مع أجنبي، كما يمكن أن يتواصل عبر القراءة، قارئ معاصر مع كاتب/ مؤلف قديم... لكن التواصل المعيار يحصل مع توحد الخلفيات الاجتماعية-الثقافية والحقبة، وبهذا تعاد صياغة المركز الإشاري بإدراج الخلفية على النحو الآتي:

(2)- مركز إشاري: {(ض.(ق.(ك(ط(ف.ت))))).

حيث ض: فضاء (اجتماعي ثقافي)؛ ق: حقبة.

وعبر هذا التعديل يتم ربط الصلة بين ما هو مقامي ضيق وما هو مقامي موسَّع، أي بين الموقف التواصلي وما يؤطره اجتماعيا وثقافيا.

ثمة عناصر سياقية لا تقل أهمية عما يشمله السياق «الخارجي» هي التمثلات الذهنية (أو وجهات النظر) التي تشكل نموذجا ذهنيا لدى المتكلم والمخاطب، ومن ثم لا ينحصر الموقف التواصلي في العناصر الخارجية المشكلة للمحيط الواقعي لعملية التواصل فقط، لأن السياق الذهني، يحضر بثقله، ومن سماته أنه يتجاوز موقف التواصل المحدد ليشمل الموروث الاجتماعي–الثقافي الذي تكون بموجبه التمثلات الذهنية فردية أو جماعية تعم عشيرة لغوية برمتها، وهو ما يشير إليه «ديك» (ديك -1997أ-) بـ «**السياق المتنقل**» في معرض حديثه عن الموقف التواصلي. إلا أن من

العناصر المدركة حسيا، عناصر يمكن أن تصبح معارف عامة، ومعناه أن عناصر المقام الضيق يمكن أن تنتقل إلى المقام الموسَّع حيث تُخزن فيما يعرف الخلفية الاجتماعية الثقافية.

2-2- السياق المقالي: يُحدِّد (المتوكل (2006)) المقال بوصفه «الخطاب المنطوق أو المكتوب الذي ينتجه المتكلم في زمان ومكان معينين تجاه مخاطَب معين بالنظر إلى وضع تخاطبي معين». ومن ثوابت أدبيات السياق اللسانية التمييز بين السياق المقامي والسياق المقالي.

2-2-1- السياق المقالي الضيِّق: يقصد به ما يواكب خطابا ما إن قبله أو بعده، سابقا له أو لاحقا له. وتقوم بين النص وما يسبقه أو يلحقه في موقف تواصلي معين من علاقات مختلفة من حيث المضمون أو الشكل، أهمها العلاقة الإحالية على ذاتٍ أو مضمون جملة أو قطعةٍ كاملة.

2-2-2- السياق المقالي الموسَّع: موازاة مع التقسيم المعتمد في السياق المقامي، يُوسَّع مفهوم السياق المقالي فيُجعَل سياقين؛ سياقا مقاليا ضيقا وسياقا مقاليا موسَّعا. ويميز (المتوكل(2013)) بين «الجوار النصي» بوصفه سياقا مقاليا ضيقا، و«التناص»، مع عدم الاقتصار على الأخير في مجال الأدب، بل توسيعه ليشمل كل أنماط الخطاب الكتابية والشفوية. وعليه يضاف إلى تناص «الفحوى» وتناص «الشكل» **التناص النمطي** بوصفه «العلاقة التي تقوم بين نصوص تنتمي إلى النمط الخطابي عينه، وهي علاقة غير مباشرة لا تقوم بين نصين بعينهما، بل بين أي نصين (أو أكثر) يخضعان لنفس البنية ويندرجان بذلك في النمط ذاته».

أما (هنخفلد ومكنزي (2014)) فيلخصان المعلومات السياقية المتضمنة في المكون السياقي في نوعين؛ المعلومة الموقفية/ المقامية Situational informa-tion المحددة في المشاركين وزمان التواصل ومكانه والفضاء التداولي، والمعلومة الخطابية/ المقالية Discoursal Information المرتبطة بالمكون العلاقي والتمثيلي والصرفي- التركيبي والصواتي.

3- السياق؛ جدل الاعتماد والإقصاء:

قوبل مفهوم السياق بموقفين متباينين، وقد تجلى ذلك من حيث ورود الأخذ به في مقاربة الظواهر اللغوية أو تركه. حيث عُنِيَ الباحثون بدراسة اللغة وفقا لاتجاهين رئيسين: الاتجاه الصوري الذي يعتبر اللغة ظاهرة عقلية، وعني بدراسة النظام اللغوي معزولا عن سياقه التواصلي، والاتجاه الوظيفي الذي يعمل على وصف بنية اللغات الطبيعية بربطها بما تؤديه من وظائف داخل المجتمعات البشرية.

وقد أعيد الجدل حول ثنائية اعتماد السياق وإقصائه في الدراسات اللسانية الحديثة التي لم تنتبه إلى أهمية السياق في بلوغ المعنى والدلالة، إلا بعد تبيّن قصورِ اللسانيات الوصفية المحايثة وعجزِها عن تحليل أنواع من الكلمات والعبارات والإمساك بوظائفها دون وضعها في سياقها، كأسماء الإشارة والضمائر وعبارات السخرية والاستعارات والمجازات...ومع ذلك تعتبر هذه المواقف المتباينة من السياق في الدراسات اللغوية الحديثة أحد مظاهر الإشكال النظري والمنهجي العام؛ إذ رغم استبطان هذه الدراسات الاختلافات بخصوص ورود السياق أو عدمه، فإنها تنضح بزمرة من الثوابت المتفق حولها ومنها :

- الاتفاق حول الطبيعة النسقية للغة، باعتبار وحداتها تتأسس على علاقات صرفية وتركيبية وصوتية؛
- شبه الإجماع على أن تحقيق التواصل داخل المجتمعات هو أهم الأدوار الأساسية للغة؛
- تنميط اللغات وتوزيعها إلى فصائل متسم كل منها بخصائص مميزة له عن غيره.

ولئن ورد الاتفاق –عموما- بين الدراسات اللغوية حديثها وقديمها حول العناصر أعلاه، فإن الخلاف حاصل بينها حول موضوع الوصف والتفسير. وعليه يُميَّز بين توجهين رئيسين؛ **أولهما** الدراسات الصورية التي تعتبر اللغة ظاهرة

عقلية وتستهدف وصف اللغة باعتبارها نسقا مجردا معزولا عن ظروف استعماله، وبالتالي إقصاء السياق. **وثانيهما** الدراسات ذات التوجه الاجتماعي والتوجه الوظيفي/ التداولي التي تركز في وصف بنية اللغات الطبيعية على ربطها بما تؤديه من وظائف، ورصدِ خصائصها بوصفها نسقا تحكمه مواصفات استعماله في التواصل داخل المجتمعات البشرية، وهي بذلك تعتمد السياق وتتجاوز ذلك إلى اعتباره أحد شروط الوصف والتفسير بوصفهما الغايتين اللتين تسعى النظريات اللسانية لتحصيلهما.

4- معالم اشتغال السياق عبر الدراسات اللغوية:

تسمح عملية استقصاء الأبحاث المنجزة حول السياق في الدراسات اللغوية عموما باستخلاص ملاحظات تكشف عن أنه نُظِر إلى السياق على أساس أنه يحيا ما بين كونه **مرجعا** و**مقولة** و**مكونا**.

1-4- السياق مرجعا:

إذا كان العرب قد عرفوا السياق، واستعملوه في مناحي متعددة لغويةٍ ودينيةٍ، فإن الملاحظ عندهم، وبوجه خاص عند البلاغيين، استخدامهم مصطلحي «**الحال**» و«**المقام**» للدلالة على ما يسمى في الدرس اللغوي الحديث سياق «**الموقف**»، أي مجموع القرائن الخارجية المتعلقة بالمتكلم والمخاطَب، أو الحالة العامة للكلام باعتبار المكانة الاجتماعية لطرفَيْ التخاطب.

وتتباين درجة حضور السياق في النحو عن درجة حضوره في البلاغة وأصول الفقه أو التفسير؛ إذ يُلجَأ إليه عَرَضا في أبواب دون أخرى كأبواب ضمير العود والإشارة ، وأبواب الأساليب الإنشائية التي ثبت مراسا أنها تستوجب استحضار الترابط القائم بين البنيات اللفظية الظاهرة وبنية الأغراض الثاوية في ذهن المتكلم كظواهر الأمر والنهي والاستفهام والتمني وغيرها.

وعموما ورد السياق في التراث العربي بثلاث دلالات أساسية:

- غرض المتكلم وقصده من إيراد الكلام، وهو المفهوم الشائع عند الأصوليين والفقهاء لأن الأصل الذي تبنى عليه الأحكام الشرعية في نظرهم هو قصد المتكلم/ الشارع، أي الله سبحانه وتعالى، وليس فهم السامع.
- الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها، واستعمل للتعبير عن هذا المفهوم لفظا «الحال» و«المقام».
- ما يعرف بـ«**السياق اللغوي**» أو «المحلي» أو «النصي»، الذي يمثله الكلام موضع النظر أو التحليل في علاقته بما يسبقه أو يأتي بعده من كلام يمكن أن يسهم في إضاءة دلالته.
- وتبعا لذلك فإن أهم سمة تستصفى من استقراء الدرس اللغوي العربي القديم، هي أن السياق لا يشكل آلية من آليات التحليل، ولا يحكم مستوى من مستوياته، قدر ما يؤسس دور المرجع الواقع خارج جهاز الوصف.

2-4- السياق مقولة:

اعتبار السياق مَقُولةً لسانية هي المنزلة ما بين منزلتي «السياق مرجعا» و«السياق مكونا»، وعبر هذه المنزلة تنجلي أولى مظاهر حركية مفهوم السياق وديناميته. وقد رُصِد السياق في هذه المرحلة من الدرس اللساني بوصفه مقولة في ما سمي بالفرضية الإنجازية أو Pragmantaxe ، النموذج المتفرع عن النظرية التوليدية التحويلية ذات التوجه التداولي.

يقوم نموذج «الدلالة التوليدية» على مبدأين أساسين؛ **أولهما** عدم استقلال التركيب بالنسبة للدلالة، و**ثانيهما** الطبيعة الدلالية للبنية مصدر الاشتقاق. وانطلاقا من هذين المبدأين، يصاغ النحو عبر اعتبار البنية المنطقية- الدلالية المصوغة طبقا لمنطق المحمولات، مصدرا لاشتقاق الجملة.

وقد تصدى اللسانيون المشتغلون بـ«الدلالة التوليدية»، ومنهم كوردن Gor-don, D ولايكوف Lakoff, G للتمثيل لمفهوم «الفعل اللغوي غير المباشر» أو القوة

الانجازية **المستلزمة مقاميا** داخل النحو. وتُرصَد ظاهرة الاستلزام الحواري أو الفعل اللغوي غير المباشر عن طريق قواعد تأويلية اصطلح على تسميتها «مسلمات الحوار».

وتعد الفرضية الإنجازية إحدى المكونات الأساسية المؤسِّسَة لنظرية الأفعال اللغوية باعتبارها دعامة أساسية في اللسانيات التداولية، ويمثل فيها الفعل اللغوي Speech acte العنصر الأساس في التحليل.

في هذا الإطار اعتمدت **نظرية أفعال الكلام عند أوستين** John Langshow Austen، أساسا على دراسة اللغة داخل **سياق الكلام**، لأن اللغة تستعمل في **السياق** لتأدية وظائف كثيرة. ويتضح ارتكاز هذه النظرية على مقولات مالينوفسكي، الذي يرى اللغة وسيلة من وسائل الفعل، وليست أداة للتأمل. وتبعا لذلك يفرق «أوستن» بين نوعين من الجمل أو القول:

- القول التقريري Constative utterance وظيفته تصوير العالم الخارجي.
- القول الأدائي Performative utterance لا يصف العالم بل ينجز فعلا، ومنه ألفاظ العقود (باع، اشترى، زوج، طلق، عاهد)، وأفعال الأمر، والنهـي، والإنشاء بشكل عام. ويتأسس دور **السياق** في تحديد دلالة هذه الأفعال، فالأمر، مثلا، قد يستلزم معاني أخرى بحسب سياقات وروده، بحيث يتعدى تأثير السياق في أسلوب الإنشاء إلى الأساليب الإخبارية (خروج الخبر عن مقتضى الظاهر).

لم يعد السياق إذن في الفرضية الإنجازية خارج النموذج إذ لا يقوم بـدور المرجع الواقع خارج جهاز الوصف، بل أصبح آلية من آلياته، لكنه مع ذلك لم يرتق ليتخذ وضعَ مكون قائم الذات، وبذلك فإن السبق الذي تحققه نظرية النحو الوظيفي هو العدول عن اعتبار السياق مرجعا وعدم الاقتصار على أن يكون مُشَكِّلا عنصرا من إحدى آلياته، بل أصبح بعد ذلك مكونا قائم الذات.

4-3- السياق مكونا:

رسم الاتجاه التداولي حدوده الواضحة على خارطة البحث اللساني المعاصر ضمن التوجه الذي يصف اللغة بربطها بما تؤديه من وظائف داخل المجتمعات البشرية. وإذا كان التباين الحاصل بين التركيب والدلالة من جهة، والتداولية من جهة أخرى يتحدد بوصفه تقابلا بين النظام واستعمال هذا النظام، فإن أهمية نظرية النحو الوظيفي تتعين في كونها نظرية مؤسسة تداوليا في الأصل؛ ينطلق التحليل فيها من المستوى التداولي وينتهي بالتركيب من جهة أولى، كما يهتم بتفصيل مكونات المستوى التداولي ووظائفه من جهة ثانية.

تنتظم نظرية النحو الوظيفي في سلك النظريات اللسانية الوظيفية التي تتباين بزمرة من الافتراضات حول اللغة، نسوق منها الأكثر ورودا حسب مقتضى سياق البحث:

-تستعمل اللغات لتأدية وظائف متعددة ومختلفة، غير أن هذه الوظائف فروع لوظيفة أصل هي وظيفة التواصل؛

-تتحكم الوظيفة في بنية اللغة عامة، وبنية ما قد ينتج داخلها من أنماط خطابية، إن في التزامن أو في التطور؛

-يتبنى التيار الوظيفي مبدأ كون قدرة المتكلم – السامع قدرة تواصلية عامة، لشمولها كل المعارف اللغوية والخطابية وغيرها، فتستضمر إضافة إلى معرفة النسق اللغوي معارفَ أخرى منها ما هو **سياقي آني ضيق** كالمدركات الحسية المتوافرة في موقف التواصل ذاته، ومنها ما هو **سياقي موسَّع** مرتبط بمخزون المتخاطبين المعرفي الذهني حين التخاطب، ويعد هذا المخزون حِرزا لكل معارف المتكلم- المخاطب عن عالم الوقائع وعن عوالم ممكنة. وتُستحضَر أثناء إنتاجِ أي خطاب وفهمِه كل هذه المعارف، بالاحتكام إلى موقف التواصل وملابساته ونمط الخطاب المُنتَج، وطبيعة دور المعرفة النحوية.

-تستبطن حمولة العبارة اللغوية عناصر أساسا هي الفحوى القضوي وموقف المتكلم منه؛ والقصد من إنتاجها (إخبار، سؤال، أمر...).

لذلك عُدّ النحو الوظيفي منذ نماذجه الأولى من أكثر النظريات الوظيفية التداولية استجابة لشروط التنظير ومقتضيات النمذجة للظواهر اللغوية، وذلك سعيا إلى تحقيق الكفاية التفسيرية من خلال تفريعاتها ، وأهمها في سياق بحثنا الكفاية التداولية؛ إذ إن قدرة المتكلم هي قدرته على فهمِ القواعد التداولية المتحكمة في إنتاج أنماط جُمْلِية تتنوع بتنوع أنماط **المقامات**، وتركيزه على كيفية توظيف هذه القدرة في عملية التفاعل الاجتماعي. ومعناه أن نظرية النحو الوظيفي لا تقتصر على القواعد التي تضمن بناء الجمل أو النصوص بناء سليما فحسب، بل تُعْنى بالقدر نفسه بفحص القواعد والشروط الضرورية التي تضمن مقبولية تلك الجمل أو النصوص ونجاحها وملاءمتها **للموقف** التواصلي الذي تتحقق فيه.

يسوق «سيمون ديك» تعريف الكفاية التداولية وفق الآتي: «على النحو الوظيفي أن يستكمل خصائص العبارات اللغوية المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات وأن يتم هذا الاستكشاف في إطار علاقة هذه الخصائص بالقواعد والمبادئ التي تحكم التواصل اللغوي. وهذا يعني أنه يجب ألا نتعامل مع العبارات اللغوية على أساس أنها موضوعات منعزلة بل على أساس أنها وسائل يستخدمها المتكلم لإبلاغ معنى معين في إطار **سياق** تحدده العبارات السابقة وموقف تحدد الوسائط الأساسية لموقف التخاطب». يجوز لنا تفريع هذا التعريف إلى مسائل أخص هي:

أ- المسألة الأولى: للعبارات اللغوية صنفان من الخصائص:

- خصائص مقرونة بالاستعمال؛ يتضافر النسق اللغوي الصرف ونسق الاستعمال اللذان يحكمان اللغة لتحديد أغلب هذه الخصائص. ومنها الخصائص الصرفية والتركيبية والتطريزية التي يحددها القصد (القوة الإنجازية) المحددة عبر موقف المتكلم من فحوى خطابه (الوجه).

- خصائص مستقلة عن الاستعمال غير مقترنة بملابساته.

ب- المسألة الثانية: تعد العبارات اللغوية، وفق تعريف «ديك» وسائل يستعملها المتكلم لتبليغ أغراض معينة، مما يستلزم التأشير على الوظائف التداولية كالبؤرة والمحور وكل السمات المرتبطة بقصد المتكلم. وتعيين وضع قاعدي في الجهاز الواصف للمكون المسؤول عن تحديد هذه السمات جميعها؛ فتكون للبنية التداولية الدلالية الأسبقية في اشتقاق العبارة اللغوية على البنية الصرفية - التركيبية والأبنية التطريزية.

ج- المسألة الثالثة تتعلق بربط التعريف رصدَ الخصائص المرتبطة بالاستعمال باستكشاف المبادئ التي تحكم التواصل اللغوي. يهمنا منها عدم استلزام التواصل المعرفة اللغوية الصرف فحسب، بل معارف أخرى **موسعة** و**آنية** تخص الموقف المعين الذي تتحقق فيه عملية التواصل. وبذلك تضُمُّ القدرة التواصلية ملكاتٍ أخرى معرفية واجتماعية ومنطقية وإدراكية إلى الملكة اللغوية.

يوصلنا التعريف أيضا إلى أن التواصل يتم في موقف معين وفي إطار سياق تحدده العبارات اللغوية. إذ إن قدرة المتكلم هي قدرته على فهم القواعد التداولية المتحكمة في إنتاج أنماط جُمْلِية تتنوع بتنوع **أنماط المقامات**، وبتركيزه على كيفية توظيف هذه القدرة في عملية التفاعل الاجتماعي.

5- السياق في نماذج النحو الوظيفي:

مر الجهاز الواصف في نظرية النحو الوظيفي من حيث بناؤه وصياغته بمراحل أفرزت عددا من النماذج نورد أهمها وفق الترتيب الوارد في المصادر:

- «النموذج النواة/ ما قبل المعيار» (ديك (1978))؛
- «النموذج المعيار» (ديك (1997))؛

- «النموذج ما بعد المعيار»، وضمنه تفريعاته ومنه النحو الوظيفي الموسع (ماكنزي (1998))، و«النحو الوظيفي القالبي» (المتوكل (2003))، و«نحو

الخطاب الوظيفي» بتفريعاته (هنخفلد (2004)) و(مكنزي وهنخفلد (2008))، و(المتوكل (2011)) و(هنخفلد ومكنزي (2014)).

وتعد صياغة النموذج النواة بسيطة اقتصر فيها الوصف اللغوي فيما أسماه «ديك» العبارات اللغوية المستقلة، إذ ينتقي المتكلم مفردةً لغوية من مخزون معجمه الذهني الذي يعكس قدرته المعجمية، ويصوغ عبرها بنية حملية تمثل للخصائص الدلالية للمفردة، ثم يكيف المعلومات الدلالية وفق **المقامِ التواصلي وأغراضِه التواصلية**، فتنقل البنية الحملية المصوغة إلى بنية وظيفية تتضمن المعلومات الدلالية والتداولية وتتحقق صوتيا بالقواعد الصوتية. وبذلك فـ**السياق** مُتَضَمَّن في مكونات البنية التحتية ضمن طبقتي الإنجاز والقضية.

1-5- بنية السياق واشتغاله في النموذج المعيار:

انسجاما مع ما توصلت إليه نظرية النحو الوظيفي في سعيها للالتزام بمعايير الكفاية التفسيرية صيغ النموذج المعيار لإغناء النموذج النواة؛ حيث أصبح الهدف الأساس بناء نموذج لمستعملي اللغة الطبيعية يوضح تكوينَه وطريقةَ اشتغال مكوناته، على أساس مبدأ أن التواصل يتم بوساطة تفاعل المعرفة اللغوية بمعارف أخرى؛ ومنها الملكات المعرفية، والمنطقية، والاجتماعية، والإدراكية. واستنادا إلى ما اقترحه «ديك» (ديك (1989)) يصاغ نموذج مستعملي اللغة الطبيعية اعتمادا على تضمنه خمسة قوالب هي؛ القالب النحوي والمنطقي، والمعرفي، والاجتماعي، والإدراكي.

وتنهض هذه القوالب برصد ملكات القدرة التواصلية الخمس وتتفاعل فيما بينها على أساس تمتع كل قالب باستقلال مبادئه وإواليات، لكنه يشكل دخلا – خرجا لباقي القوالب. فحين يُنْهي أحد القوالب بناء العبارة اللغوية أو تأويلها من جهته، تصبح البنية نتاجه دخلا لقالب آخر يستكمل بناءَها أو تأويلَها من جهته الخاصة، كما يتضح من خلال أسهم الترسيمة الآتية:

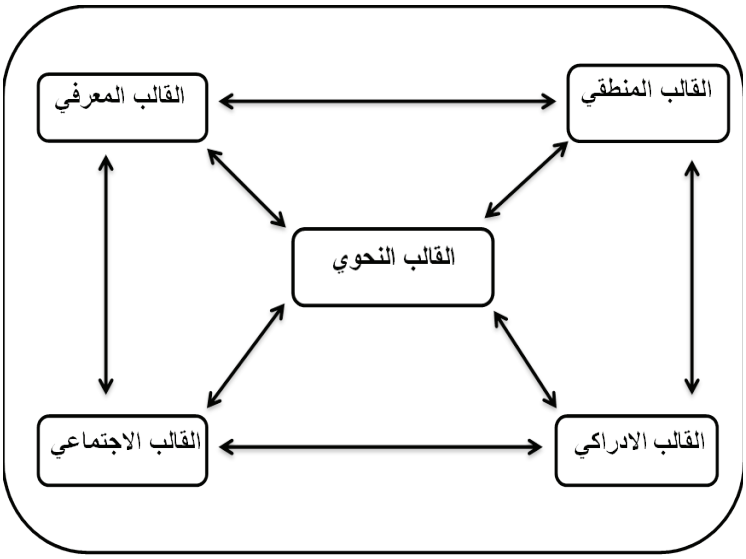

خطاطة 3: بنية نموذج متعملي اللغة الطبيعية

لا يفصح تصور بنية نموذج مستعملي اللغات عن مفهوم السياق بلفظه، لكنه حاضر وموزع على قالبين اثنين: القالب الإدراكي والقالب الاجتماعي. ويلاحظ ديك تفاوت هذه القوالب فيما بينها من حيث الأهمية مفترضا أن القالب النحوي والقالب المعرفي والقالب المنطقي، مرتبة كذلك، أهم من القالبين الإدراكي والاجتماعي . كما يشير إلى أن التفاعل القائم بين القالب النحوي والقالب المعرفي من جهة وبين القالب المعرفي والقالب المنطقي من جهة أخرى أهم من أي تفاعل بين القوالب الأخرى. علما أن المبتغى من هذه الأهمية كثرة الاستعمال في مقامات تواصلية متعددة. وفي هذا الصدد لا يُؤَشَّر للمعلومات الإدراكية حسب «ديك» في صورة بنيات تحتية كما هو شأن المعلومات التصورية، بل تتمثل في شكل صور ذهنية، مما يفسر استثناء القالب الإدراكي من عملية تزويد القالب المعرفي بالمعلومات عن طريق القالب النحوي.

وقد ميز «المتوكل» (المتوكل (1995)) بين قوالب آلات هي القالب النحوي والقالب المنطقي والقالب الشعري، وبين قوالب مخازن هي القالب المعرفي والقالب الإدراكي والقالب الاجتماعي، وهذه القوالب المخازن هي التي تزود القوالب الآلات

بالمعلومات غير اللغوية المُخَزَّنة فيها؛ فيزود مثلا القالب الإدراكي القالبين النحوي والمنطقي بالمعارف العامة، ويزودهما القالب الاجتماعي بالمواضعات الاجتماعية.

ويمكن تكثيف اشتغال القالبين المكونين للسياق في هذا النموذج على الشكل الآتي:

- تُحَدُّ وظيفة القالب الإدراكي في الإمداد ولا تتعداها إلى وظيفة التخزين أو التأويل أو التصوير مثلا؛ إذ يَمُد القالب المعرفي بالمعلومات الإدراكية قصد تخزينها، والقالب النحوي بالمعلومات المساعدة على تأويل العبارة اللغوية.
- يضطلع القالب الاجتماعي بوظيفة الإمداد أيضا، حيث يزود القالب المنطقي أحيانا بالمعلومات التي تساعد وضع المتخاطبين الاجتماعي، وعبرها يُجري القالب المنطقي عمليات الاستدلال والتأويل، كما يُزَوِّد القالب النحوي بالمعلومات ذاتها ليجري -بناء عليها- تأويله الدلالي والتداولي.

ينحصر إذن اشتغال القالبين الإدراكي والاجتماعي بوصفهما **المؤشرين على السياق** في نموذج (ن.ط.ق) باعتبارهما قالبين مخزنين مساعدين في إمداد القوالب الآلات بما تحتاجه من معلومات إذا اقتضى الأمر ذلك.

استكمالا للملاحظات التي قدمت حول تفاعل القوالب الآلات والقوالب الفرعية/المخازن، ندرك أنه من الصعب تحقق تواصل في غياب المعلومات التي يمدها القالب الإدراكي والقالب الاجتماعي، وينتج عن ذلك عدم إمكان إشراف القالب النحوي بمفرده على إنتاج العبارات اللغوية أو تأويلها، مما استدعى التفكير في نموذج آخر. إذ خلال عمليات الترميز والصياغة، يتفاعل المكون النحوي باستمرار مع المعلومات المتوافرة في المكون السياقي، ويكون هذا التفاعل بسيطا ونسبيا، ومن ذلك على سبيل المثال تحديد نوع الضمير بالتمييز بين المؤنث والمذكر «هو» و«هي»، أو عندما يتعلق الأمر بتقديم معلومة جديدة مقابل معلومة قديمة.

غير أن ما هو غير واضح هو **كمية** المعلومات المتوفرة في المكون السياقي، و**طبيعتها** وكيفية تفاعل هذه المعلومات مع بقية المكونات المشكلة لقواعد النحو، وهل يتم هذا التفاعل عبر وسيط، وكيف يتم ذلك؟

كما لم يقدم النموذج المعيار وصفا شاملا لجميع الجوانب الممكنة للسياق ومدى تأثيرها في إسهام المتكلم في التواصل. ويستدل «**باتلر**»)(Butler C.S. 2008)في هذا الصدد على أن النظريات اللغوية بما فيها النظريات الوظيفية ومنها النحو الوظيفي وتفريعاته، لا تستجيب لدرجة عالية من الكفاية المعرفية التي تقتضي أن يكون النموذج النحوي «ديناميا»، أي أن يصف عمليات إنتاجِ اللغة وفهمِها وعدم الاقتصار على البنيات الموجودة فيها. ويحتاج هذا المطلب الذهاب أبعد من تخصيص بنياتِ العبارات اللغوية ومظاهر البنيات الخطابية بوضعها في إطار أعم يأخذ بعين الاعتبار بناء التصورات في سياقات التفاعل اللغوي الفعلي المتمثلة معرفيا.

2-5- نموذج نحو الخطاب الوظيفي:

على غرار النماذج الوظيفية السابقة، يموقع الدارسون نحو الخطاب الوظيفي في موضع وسط ما بين المقاربات الصورية والمقاربات الوظيفية الصارمة. ويمكن اعتبار (ن.خ.و.) مقاربة صورية لأنه يسعى إلى تحديد البنية العامة للنظام النحوي، لكنه ينحرف عن بقية المقاربات الصورية الصارمة برفضه حصر النحو في القواعد الصورية الجامدة . ولأن (ن.خ.و.) يعترف بأن الأقوال اللغوية تعكس القيود التي تفرضها احتياجات مستخدمي اللغة التواصليةُ، يمكن إدراج هذا النموذج في منطقة وسطى من حيث الوِجهة الوظيفية ما بين الوظيفية النسقية مع «هاليداي» «Halliday, M . A.K.» والوِجهة الوظيفية ل»ماتيوس» «Mathésius Vilhem» وما بين نحو الأدوار والإحالة أو نظرية التركيب الوظيفي مع فان فالين «Van Valin».

توحي هذه المعطيات الأولية بالتغييرات التي لحقت نموذج (ن.خ.و.)؛ حيث تأسس على نموذج مستعملي اللغة الطبيعية كما صيغ في نحو الخطاب الوظيفي،

عبر تطويره ليصبح قادرا على رصد مختلف العمليات التي تتم أثناء التواصل. وبذلك أصبح الجهاز الواصف يشمل أربعة مكونات هي:

- «**المكون النحوي**»: تُحَدد فيه خصائص الخطاب في ثلاثة مستويات هي المستوى **العلاقي** (التداولي) والمستوى **التمثيلي** (الدلالي)، ويضطلع بصياغتهما مع «مكون الصياغة» الفرعي، والمستوى **البنيوي** الذي يعد تام التحديد بعد أن يفضي إليه المكونان الصرفي– التركيبي والفونولوجي.

- «**المكون السياقي**»: يتأسس برصد العناصر المقامية والمقالية المواكبة لإنتاج الخطاب، وتخزينها لإمداد المكونات الأخرى بها عند الحاجة، ويربط بين المكونات الثلاثة الأخرى.

- «**المكون المفهومي**»: يرصد المعارفَ اللغوية وغير اللغوية (معارفه عن العالم الواقعي والمتخيل) المتوافرة لدى منتج الخطاب، وقصدَ المتكلم من الخطاب المزمع إنتاجه.

- «**المكون الإصاتي**» أو «المكون الخرج»: يحقق إنطاق البنية الصرفية– التركيبية، في شكل عبارة لغوية مسموعة إذا كان الخطاب منطوقا، أو ذات طبيعة إشارية أو خطية إذا كان الخطاب غير منطوق.

كانت نتيجة الأبحاث في هذا الإطار اقتراح صيغة جديدة لنموذج مستعمل الخطاب، كما يتضح من الخطاطة الآتية **التي** تصورن مكونات جهاز الخطاب الوظيفي وطريقة اشتغاله، وهي الخطاطة الواردة في (هنخفلد ومكنزي (2008)) والمستلهم من نموذج لفلت (لفلت (1989)) حول عمليات إنتاج الكلام الذي ينطلق من القصد التواصلي للمتكلم نحو تشفيره في تعبير لغوى أكفى في اللغة الهدف:

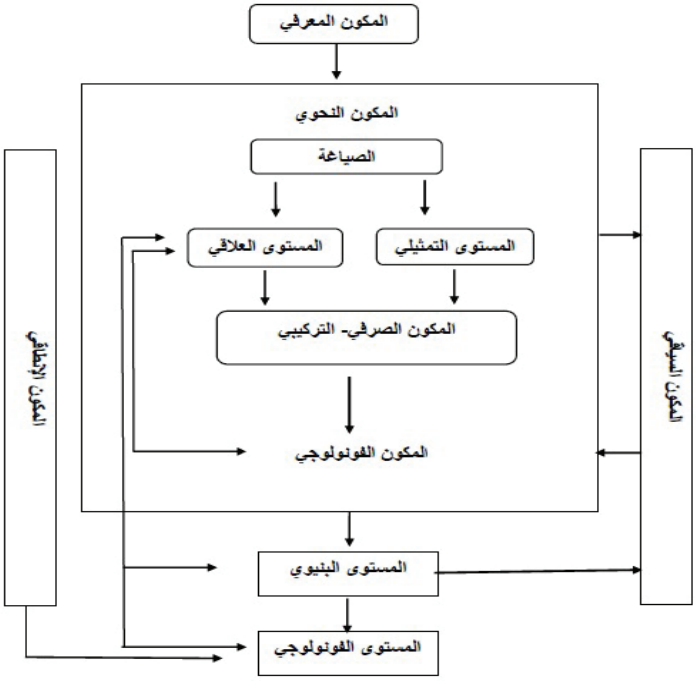

الخطاطة (4) بنية جهاز نحو الخطاب الوظيفي

إذا كان السؤال الذي يشغلنا في النماذج السابقة متعلق بكيفية اشتغال السياق في علاقته بأبعاد الخطاب التداولية والدلالية والصرفية التركيبية والفونولوجية، فإن هذا السؤال سيتعمق مع نحو الخطاب الوظيفي إلى: **ما طبيعة اشتغال السياق في علاقته ببقية المكونات الاخرى؟**

ينكشف من تحليل الخطاطتين (3) و(4) أنهما تشكلان وجها للدينامية

التي حَبِيَ بها المكون السياقي، ذلك أنه، وإن كانا يكشفان عن بعض الاتفاق، فإنهما ينطويان على تباينات جلية، تتجلى عبرها دينامية المكون السياقي بضبط السمات الفارقة بين تعامل كل من النموذجين الوظيفيين السابقين مع السياق.

يجوز لنا أن ننظر إلى الفرق بين الصيغتين من زاويتين؛ زاوية تنظيم السياق وزاوية محتواه.

• إن المحاولات المقدمة في إطار تحديد **التنظيم** الداخلي للمكون السياقي لا تنبني على نسق من حيث تفاعله مع بقية المكونات الأخرى، لذلك فمن ملامح دينامية السياق على مستوى هندسته التحول من **الانشطار** في الصيغة الأولى على قالبين؛ القالب الإدراكي والقالب الاجتماعي إلى **التوحد** ليشكل مكونا واحدا في صيغة نحو الخطاب الوظيفي. ويفترض تبعا لذلك أن المكون السياقي يتفاعل مع المكون النحوي خلال مراحل النموذج وهو ما يؤشر له بأسهم الخطاطة (4).

• على صعيد المضمون، يتوسع المكون السياقي بحضوره بشقيه المقامي والمقالي في الصيغة الثانية، بينما تركز الصيغة الأولى على المقام بشقيه الضيق والموسّع. إذ يتصور (هنخفلد ومكنزي (2008)) أن المكون السياقي يتضمن نوعين من المعلومات؛ معلومات قصيرة الأمد مرتبطة بالمكون النحوي ومتعلقة بمنطوق معين، ومعلومات طويلة الأمد حول التفاعل المستمر/ ومنها المعلومات الموقفية الفورية كنوع جنس المشارِكِين في التواصل والعلاقات الاجتماعية بينهم. ويعود تحول السياق الدينامي من الانشطار نحو التوحد، إلى أن النظريةَ في البداية نظريةُ الخطاب في بعده الجُملي؛ حيث إن طابع التنامي يسم العملية الخِطابية ذاتها؛ إذ يمكن أن يتشكل الخطاب من مكون واحد (كلمة)؛ لا على أساس أنه ناتج جملة مقلصة، بل على أساس أنه خطوة أولى في سبيل بناء خطاب أتم وأشمل.

تمكننا مقارنة النموذجين من إثبات إسهام نحو الخطاب الوظيفي في إزالة بعض سمات الغموض والالتباس التي تسم مفهوم السياق في النظرية اللغوية، وخاصة في لسانيات الخطاب. ويؤكد ذلك جهود منظري نحو الخطاب الوظيفي (المتوكل (2013)) و(هنخفلد ومكنزي (2014)) في إنارة وضع المكون السياقي

ودوره باعتباره أحد مكونات النموذج وبنائه وتنظيمه على أساس وضعه ودوره.

1-2-5- وضع السياق ودوره؛ في نموذج (ن.خ.و.):

تتموضع مكونات نموذج (ن.خ.و.) بشكل مختلف نظرا لاختلاف أدوارها أثناء عملية التواصل، فالمكون النحوي هو مركز القوالب الأخرى باعتبارها مصاحبة ومساعدة كما أسلفنا.

ويُمَيَّز مبدئيا بين **السياق**، بوصفه جميع المعلومات السياقية المتاحة للمشاركين في موقف تواصلي معين، **والمكون السياقي** الذي يتضمن فقط المعلومات السياقية التي لها علاقة بعمليات الترميز والصياغة في المكون النحوي.

ويوضِّح «هنخفلد» و«مكنزي» أن المكون السياقي يتأسس في تفاعله مع المكونات الأخرى، على دورين مزدوجين: دور المصب المخزن ودور الرافد المغذي في ذات الوقت.

1-1-2-5- السياق معبَّأً مخَزِّنا :

يتلقى المكون السياقي المعلومات الواردة عليه من بقية المكونات الأخرى، مما يجعله مسؤولا عن دور «التعبئة» filling؛ حيث يتغذى من مصدرين مختلفين؛ يتلقى المعلومات **أولا** من الخطاب الجاري، بما أنه يتم تخزين جميع أوجه الإسهامات السابقة في المكون السياقي. وحسب «هنخفلد» و«ماكنزي» فإن هذه المعلومات هي كل ما يتعلق بالموقف التواصلي، مقامية كانت أو مقالية. و**ثانيا** من المعلومات المقامية التي تتلخص في المركز الإشاري الذي يوفر مساحة التخزين لنتائج هذه العمليات على جميع مستويات النحو (التداولية والدلالية والتركيبية-الصرفية والصوتية). وتصب مختلف مستويات التمثيل داخل النحو في المكون السياقي مخولة بذلك، فيما بعد الإحالة إلى مختلف أنواع الوحدات المناسبة لكل هذه المستويات بمجرد إدراجها في الخطاب.

أما المعلومات المقالية، فإضافة إلى العناصر المشار إليها سابقا في إطار السياق

المقالي بنوعيه، يوسع (المتوكل (2013)) من دائرة صبيب السياق وتعبئته فيجعلها متضمنة لكل ما له علاقة بالخلفية الاجتماعية والثقافية، بل يفسحها لتشمل النصوص المتناصة معه.

تتصف عملية التعبئة في المكون السياقي بالدينامية والتجدد؛ إذ تخضع هذه المعلومات حسب «هنخفلد» و«مكنزي» لصيرورة تتحرك ديناميا بين «البروز» و«التلاشي»، ويُحكَم هذا البعد الزمني بإجراءات التخزين أو التراص Stacking على شكل طبقات هرمية وتراتبية layering hierarchical ؛ حيث تعد كل طبقة رديفة للطبقة التي تَسْفلها أو تعلوها؛ فالمعلومات الأخيرة، التي تمت تغذيتها داخل المكون السياقي تتموقع في أعلى لائحة المعلومات المتراصة. كما أن عملية التراص يجب أن تكون مضبوطة بشكل جدي، وبطرق معقدة، فهي لا تتواصل بلا حدود؛ لأن المعلومة الأخيرة التي تحتل المرتبة الأولى، تفقد جدتها أثناء عملية التواصل بتغير الفضاء التداولي، فتصير إلى التخزين في درج أسفل تاركة الدرج الأعلى لمعلومة أحدث منها. ويمكن أن تتلاشى تدريجيا إلى أن تسقط من المخزون السياقي كليا إذا كانت من المعلومات العابرة التي طال أمد تخزينها أو أصبحت طاقة التخزين غير محتملة لها، كما يمكن أن تبرز تحديثات جديدة.

إجراءات التراص بالتالي هي وسيلة لتنفيذ فكرة البروز السياقي contextual saliency-، التي لا ينبغي الخلط بينها وبين حالة الحركية. فالبروز السياقي ميزة يمكن ملاحظتها من النصوص والمواقف، وتعتمد على الإشارة الفعلية لوحدة في خطاب أو التصور الفعلي للموقف الذي يتم من خلاله إنتاج النص. ولذلك فإن أهمية البروز السياقي تتحدد بالضرورة في كونه متقاسَما بين المشاركين في عملية التواصل باعتبار أهميتهما في المعلومات السياقية.

إن الحديث عن إجراءات التراص والبروز السياقي يجعلنا نستحضر تصور «فيتزر» 2004)) (Fetzer) التي تَعتبِر أن الخصائص المعرفية والاجتماعية والثقافية مقولات سياقية منفصلة، بل هي أنماط نموذجية Prototypes، وتُصوِّر السياق تبعا

لذلك استعاريا/ مجازا بوصفه بصلة ذات عدد لا محدود من القشور أو الطبقات (ولسن وسبربر (1995))، أو باعتباره أطرا مترابطة فيما بينها (كوفمان (1975))، وتعتبر «فيتزر» أنه في التواصل اللغوي الطبيعي، تتفاعل المعلومات السياقية المخزنة في طبقة / قشرة أو إطار معينين، مع المعلومات المخزنة في الطبقات/ القشور أو الأطر المجاورة، ويتناسب ترتيب عملية إدراج هذه المعلومات مع ترتيب إمكان الوصول إليها. ونظرا لطبيعة العلاقة التفاعلية، يمثل السياق بناء حركيا ديناميا يمكن وضعه في سياق آخر، وبالتالي إعادة تسييقه وفقا للقيود السياقية المتجددة.

2-1-2-5-السياق معبّئا مغذِّيا:

يشتغل المكون السياقي كما توضح أسهم الترسيمة (3) في الاتجاه الآخر فينهض بدور المعبّئ ويمكن أن نقول إن تعبئته تُتَّخذ بالأشكال الثلاثة الآتية:

- ✓ تعبئة بالنظر إلى المصدر: حيث ترد المعلومات من السياق المقامي أو السياق المقالي أو من كليهما؛
- ✓ تعبئة بالنظر إلى الهدف: توجه المعلومات السياقية المختلفة إلى المستوى العلاقي أو المستوى الصرفي- التركيبي أو المستوى الفونولوجي؛
- ✓ تعبئة بالنظر إلى الطريقة: يمكن أن تكون تعبئة مباشرة أو غير مباشرة.

لتوضيح ذلك نأخذ ظاهرة التبئير في اللغة العربية مثلا؛ إذ تسند «**البؤرة الجديد**» إلى المكون الحامل للمعلومة غير المتواجدة في مخزون المتكلم الذهني في موقف تواصلي معين، وهو ما يصدق على المكون المفعول «الصحيفة» في العبارة

1- قرأ أحمد **الصحيفة**.

أما بؤرة المقابلة فتسند إلى المكون الحامل لمعلومة «تصحيحية» تعوض معلومة في مخزون المخاطب يعتقد أنها غير واردة. ففي الجملة الثانية من الحوار التالي يُبَأر المكون «**مجلة**» «**تبئير مقابلة**»، لا «**تبئير جديد**» كما هو شأن المكون «صحيفة»

2- لقد قرأ محمد صحيفة.

3- لا، **مجلةً** قرأ محمد.

يتغذى المكون السياقي تبعا لهذا التصور من المكونات الأربعة، بينما تُصب المعلومات السياقية في المكون النحوي أثناء عمليات الصياغة والترميز؛ إذ يمد المكون السياقي **مباشرة** مكون الصياغة بالمعلومة التي تحدد نوع البؤرة، وبطريقة **غير مباشرة** يمد المكون الصرفي- التركيبي بالمعلومة التي تحدد الرتبة أو التركيب المخصوص. وبالتالي فإن رفادة المكون السياقي تشمل بقية المكونات الأخرى، كما أن طبيعة إمداده ترتبط بالمهام المحددة لبقية المكونات الأخرى ودرجة أهميتها في نموذج مستعملي اللغة.

3-1-2-5- المُسَيِّق: Contextualizer

إن العلاقة بين المكونين السياقي والنحو تتحقق عبر وساطة من خلال عملية **تسييق** Contextualisation. وتتضمن هذه العملية على مسيِّق معقد يربط الطبقات في السياق بالمستويات التمثيلية المقابلة في النحو. وتنقل المعلومات حول الوحدات المدركة في الطبقة التمثيلية، على سبيل المثال، إلى النحو حيث يمكن ربط الوحدات المرجعية مع مراجع يمكن ملاحظتها في موقف الكلام.

ومعنى هذا أن نتيجة التفاعل بين المكون السياقي وبقية المكونات تستوجب آلية خاصة عبارة عن **وجاه** interface يقوم بدور **الوسيط**، فيتخذ دخلا له كل طبقات خزينة المكون السياقي، ويقوم بعملية تسييق المعلومات في اتجاهات مختلفة حسب المكونات الفرعية للمكون النحوي كما توضِّح الخطاطة الآتية:

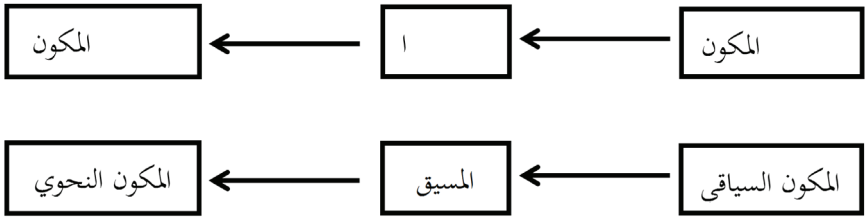

الخطاطة (5) : المسيِّق

2-2-5 بنية السياق وتنظيمه :

يطور «هنخفلد» و«مكنزي» فكرة ديك حول أهمية أن تكون لغة القوالب متجانسة، فيقترحا وفقا لذلك بنية المكون السياقي موازية لبنية المكون النحوي؛ حيث يتكون هو الآخر من طبقات layer يعلو بعضها بعضا. ويفضي هذا الاقتراح إلى نموذج يتضمن فيه المكون السياقي الطبقات نفسها المتضمنة في المكون النحوي على أساس أن هذا التوازي يتحقق بوساطة آلية **المُسَوِّق** كما توضح الخطاطة الآتية

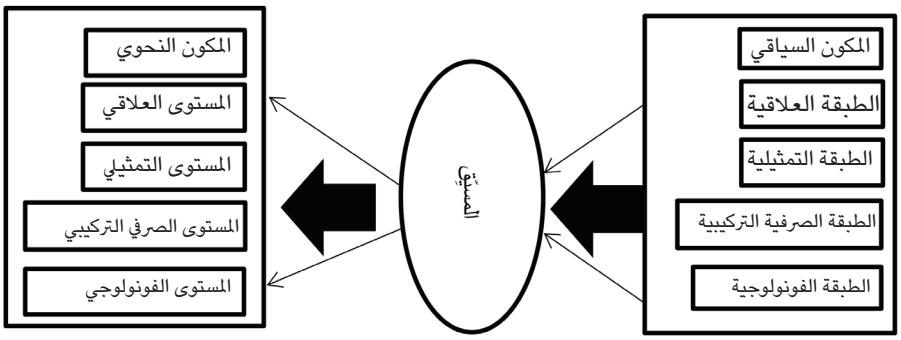

الخطاطة (6): تفاعل المكون السياقي والمكون النحوي عبر المسوِّق

إن نقطة الانطلاق في تصور هذه البنية هي أن طبقات المكون السياقي منظمة وفق نسق متواز مع مستويات المكون النحوي، بل يتعدى الافتراض ذلك إلى أن المكون السياقي يوظف الرموز ذاتها التي تستخدم في المكون النحوي. وما يبرر ذلك هو حقيقة أن المعلومات الخِطابية في المكون السياقي تتضمن الوحدات التي أخذت مباشرة وآليا من المكون النحوي مع مقولاتها النحوية التي وضعت لها هناك، وعليه يتم التمثيل للمعلومات الموقفيةSituational informations بطريقة المعلومات الخِطابية عينها. وتؤدي هذه العلاقة الوثيقة بين المكونين إلى تمثيلات مما يبسط عملية تبادل المعلومات بين هذين المكونين.

ولهذا التصور المتوازي بين المكونين ما يُزَكِّيه، ومنه إتاحته التوحيد بين مكونات النموذج بخصوصيتها، وتبسيطه عملية العبور وضبطها وإرشاد المعلومات

الواردة من الطبقات السياقية حيث يتم نقل معلومات كل طبقة إلى المستوى النحوي المناسب.

وعليه فإذا كانت عملية التواصل تتسم بالتعقيد الملحوظ من خلال نموذج (ن.خ.و.)، فإنها لا تخلو من حركية وديناميةتتمثل في أن التواصل لا يتحقق عبر اشتغال المكون النحوي، بمكوناته الفرعية، وحده، بل انطلاقا من توازي اشتغال المكون النحوي والمكون السياقي معا.

لتوضيح هذه المعطيات يستدعي «هنخفلد» ومكنزي أمثلة، ندرس منها حالة الوحدة المعجمية «أيضا» «too» في الإنجليزية من خلال الأمثلة أسفله:

a- John ordered a beer and Bill ordered a beer **too**.

b- John ordered a beer and Then he ordered a whisky **too**.

c- John ordered a whiskey and he drank it, **too**.

d- ❋ John ordered a beer and Bill ordered a whisky **too**.

e- ❋ John ordered a beer and then he drunk a whisky, **too**.

f- ❋ John ordered a whisky and Bill drank one, **too**.

في إطار التفاعل الدينامي في نحو الخطاب الوظيفي يُرسل عنصر العطف الأول إلى المكون السياقي قبل أن ينتج العنصر الثاني، ومعناه أن هناك معلومات تبرز في المرتبة الأولى بعد أن تتلاشى المعلومات التي سبقتها، مما ينتج عنه سلامة بعض الجمل ولحن أخرى.

إن المتغير الذي يجعل توظيف «**too**» مسموحا به أولا، هو التقابل، فإذا كان هناك تقابل واحد في العبارة كما الشأن في الأمثلة (a) و(b) و(c) يكون توظيف «**too**» سليما لأن العبارة تجسد تقابلا واحدا وهو الواضح من خلال التمثيل الآتي:

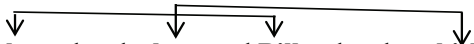
d- ***John** ordered a **beer** and **Bill** ordered a **whisky** too.

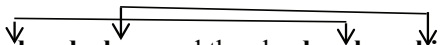
e- *John **ordered** a **beer** and then he **drunk** a **whisky**, too.

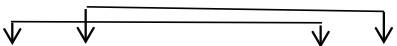
f- ***John ordered** a whisky and **Bill drank** one, too.

لكن العبارات الموالية، تتضمن أكثر من تقابل واحد، لذلك فإن توظيف «**too**» غير متاح، كما يتبين مما يأتي:

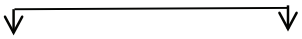
a- **John** ordered a beer and **Bil**l ordered a beer too.

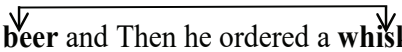
b- John ordered a **beer** and Then he ordered a **whisky** too.

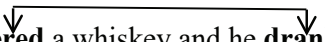
c- John **ordered** a whiskey and he **drank** it, too.

3-5- ديناميةُ المكون السياقي في نحو الخطاب الوظيفي الموسع:

في إطار النماذج التي تفرعت من نموذج (ن.خ.و.) تفرد اقتراح المتوكل (المتوكل (2011)) بعرض موسَّع لنموذج مستعمل اللغة بعد تطويره ليصبح قادرا على رصد مختلف العمليات التي تُنجز أثناء التواصل، ومن ثم رصد اشتغال المكون السياقي بين التلقي والإنتاج.

أشرنا سابقا إلى أن للمركز الإشاري ثوابت ومتغيرات؛ وضمن هذه المتغيرات نضيف أنه قد يشمل المتغيرُ المركزَ الإشاري ككل عبر التقاطع حيث نصبح أمام مركزين إشاريين اثنين، بدل مركز إشاري واحد، وهو ما يتحقق فيما يسميه المتوكل (المتوكل (2011)) الخطاب المَوَسّط[1]. حيث نكون أمام مركز إنتاج الخطاب الأصل ومركز تحويل الخطاب الهدف أو إنتاجه.

1. الخطاب الموسط هو ناتج تواصل يتم بين ذاتين عن طريق ذات ثالثة تقوم بنقل خطاب ما بين الذات المنتِجة إلى الذات المتلقية عبر لغتين مختلفتين أو داخل اللغة نفسها عبر النسق التواصلي نفسه أو نسق تواصلي آخر. للمزيد من التفاصيل، ينظر : أحمد المتوكل، (-2011ب-) ص. 86.

بيان ذلك:

7- أ- [مركز إنتاج : }(ك1) (ط1) (زم1) (مك1){]

ب- [مركز تحويل : }(ط1)- (ك2) (ط2) (مك1) (زم1){]

فالشق الأول، كما ورد سابقا، يفيد ما يفيده في الخطاب العادي، أما الشق الثاني فيفيد أن مخاطَب الخطاب الأصل (ط1) يصبح متكلما بالنسبة إلى مخاطَب ثان (ط2) وهو المعني بعملية التحويل.ويصدق مثل هذا الشق على التحويل الموحَّد في الزمان والمكان، كما هو حاصل في عملية الترجمة الفورية. وإذا اختلفا ما بين التحويل والإنتاج يقتصر التقاطع بين المركزين الإشاريين على عنصر المتلقي – المُحَوِّل ونصبح بذلك أمام ترسمية ثالثة هي :

8- [مركز التحويل : }[(ك-1 ك2) (ط2) (مك2) (زم2){][1].

والواضح من الخطاطة (4) تمثيلها لعملية إنتاج الخطاب أكثر من عملية تلقيه؛ إذ تتم انطلاقا من القصد إلى الصوت أو الخط أو الإشارة عبر الفحوى.

لكن سيرورة التلقي تعمل في الاتجاه المعكوس؛ حيث يتلقى المخاطب الصيغة أو الصورة اللفظية فيسعى إلى تحديد فحواها الدلالي ومنه إلى القصد التواصلي الذي يرومه المنتِج/ المتكلم. ومفاد هذا أن المخاطب ينطلق من ناتج المكون- الخرج إلى المستويين التمثيلي فالعلاقي مرورا بالمستويين الفونولوجي فالصرفي–التركيبي؛ مما ينهض بحجة على أن عمليتي الإنتاج والتأويل متآخذتان ويمكن أن تتما في الوقت ذاته.

وبالتمييز بين **التلقي المتزامن**، ومنه ما يجري في الحوارات والمحادثات، و**التلقي المتباعد**، ومنه ما يحصل أثناء تلقي رواية أو قصيدة ما في زمن غير زمن الإنتاج، يتبين أن منتِج الخطاب ومتلقيه في الأول يُدْمجان في سياق واحد– ومعناه أن الإنتاج والتلقي يتحققان في سياق واحد؛ لذلك يصبح من الممكن الاستغناء عن تشغيل المكون السياقي (2) وتشغيل المكون السياقي (1) بمفرده. أما إذا كان التلقي

1. للتوسع أكثر في ثابت المركز الإشاري ومتغيراته، ينظر : أحمد المتوكل، 2013، صص. 604 - 606.

متباعدا، حيث يتأخر التلقي عن زمن الإنتاج فإن اختيار الالتزام بسياق الإنتاج أولى وبالتالي لا يشتغل إلا المكون السياقي (1) لاستكشاف البنية التحتية للخطاب من حيث مقاصده وفحواه. لكنه يجوز أيضا اعتماد سياق التحليل دون سياق الإنتاج.

وإذا كان المتلقي هو منتِج الخطاب عينه فإن ذلك يتحقق بأحد الطريقين؛

أ- أن يحلل المتلقي الخطاب. ويرى «المتوكل»، بخصوص اشتغال المكون السياق، أنه يجوز أن «يعتمد المتلقي سياق الإنتاج فيكون وضعه آنذاك وضع المخاطب المباشر، ويمكن في المقابل أن يعتمد سياقه دون سياق الإنتاج. مثال الحالة الأولى أن نفهم نصا قديما ما انطلاقا من ظروف إنتاجه التاريخية، ومثال الحالة الثانية أن نفهم نفس النص القديم من منطلقاتنا المعرفية الحالية»[1]، ويحصل ذلك غالبا حين يكون التواصل غير مباشر غير متزامن.»

ب- أن يكون المتلقي ناقلا للخطاب إلى متلق آخر، عبر الترجمة مثلا، وهنا بإمكانه أن يحتفظ بسياق إنتاج الخطاب الأصل، ومنه النقل الحرفي أو الترجمة الحرفية، وله كذلك أن يعتمد سياقه الخاص أو سياق مخاطبه، وبذلك يتساوق النقل مع التأويل. وتوجب الحالة الثانية إضافة مكون سياقي **ثان** يفي برصد عملية التلقي وهو ما اقترح في (ن.خ.و الموسع) كما يتبين من الترسيمة الآتية:

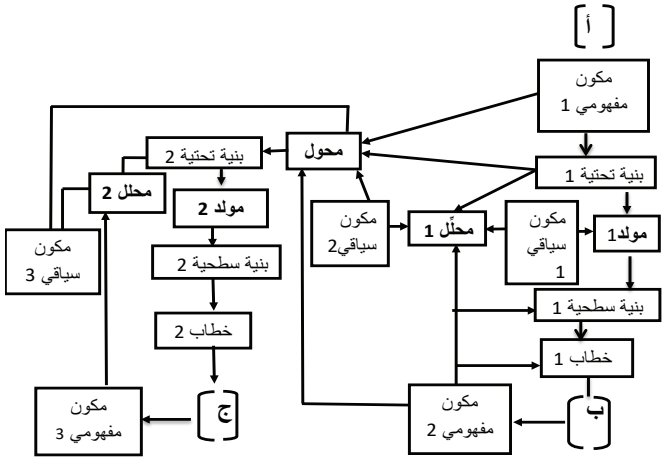

خطاطة (9) : بنية نموذج نحو الخطاب الوظيفي الموسع

1. أحمد المتوكل، (2013)، ص.613.

الجهاز عبارة عن نموذج صوري محوسب يرصد الواقع الذي يستهدفه ويصفه ويفسره. ويظهر من الخطاطة أن السمة المميزة لنموذج نحو الخطاب الوظيفي الموسَّع، هي معماريته الدقيقة إذ إنه نسق مجرد من القوالب الفارغة التي تشتغل بكيفية قالبية، ولكل قالب مبادئه وإواليات التي تخصه. يبدأ الجهاز بالاشتغال عبر عمليات التحليل فالتوليد ثم التحويل، تضطلع بها آليات ثلاث؛ فبالإضافة لقالبي التوليد والتحليل، يلجأ المتوكل في هذا الجهاز إلى تغذية Feeding قوالب النموذج السابق بقالب ثالث يسميه «القالب المحوِّل».

إن هندسة النموذج أعلاه تسهم في إنارةِ درجة كبيرة من الغموض والالتباس الذي يطبع مفهوم السياق بوصفه مكونا، وتوضيحِ طابعه المتعالق مع بقية المكونات وتفاعله معها لفهم الخطاب وتحليله وتوليده ونقله.

وبذلك لا يتوقف هذا التطور الذي حياه السياق عند حدود الإحالة إلى ما هو مقامي أو مقالي، بل إن المكون السياقي يتعدى ما هو مقترح في النماذج السابقة إلى كونه مكونا أي جزءا من أجزاء الجهاز الواصف داخل نظرية النحو الوظيفي. وبذلك يتفاعل مع بقية المكونات الأخرى ليرصد الملكات التي تسخر في التواصل إنتاجا وتلقيا وتحويلا وهي العمليات التي تنضاف إلى أدوار «المصب» و«الرافد» و«المسيق». وتبعا لذلك يرتبط المكون السياقي بسيرورة ذهنية تجعل المتكلم يميز ما بين المعلومة التي يختار، ومنها انتقاؤه أن تكون معلومة ما في المرتبة الأولى تركيبيا (البؤرة مثلا) وما بين وما بين المعلومة التي تليها في تراتبية، أو تسييقه أو تسييقه عبر الوسيط لكلام ما باستحضار المعلومات المرتبطة به وتوزيعها على المكون النحوي حيث تحدد الخصائص الصرفية –التركيبية والخصائص الصوتية للعبارات اللغوية المتداولة.

استنتاجات

- يقدم هنخفلد ومكنزي رؤية حول السياق في نموذج نحو الخطاب الوظيفي يوسِّعان عبرها تصورهما في النظرية المعيار بالتركيز على التفاعل بين المكون

السياقي والمكون النحوي، كما يتيحان اقتراحا حول الاتساق الداخلي للمكون السياقي الذي ينبني على هندسة التوازي الثنائي عبر وجاهٍ في (ن.خ.و.). وقد ركز نقاشهما حول ثلاث قضايا مختلفة؛ مصدر المكون السياقي للمعلومات السياقية، وكيفية تغذية النحو بهذه المعلومات، وكيفية تلاشي المعلومات القديمة خارج المكون السياقي وتراص المعلومات الجديدة في الواجهة.

- للإجابة عن الإشكالات السابقة اقترح الباحثان دراسة حالات، مما أفاد في الكشف عن الدينامية التي تحصل عبر التفاعل بين المكونين النحوي والسياقي. ونحن نرى جدة ما تم التوصل إليه وجديته في هذا الصدد، وبالتالي فإنه ليس بديلا مصطلحيا وإنما هو نتاج تطور طبعي لما استجد مع نظرية اللسانيات الوظيفية.

- يمكن عد ما أروده «هنخفلد» و«مكنزي» بمثابة إسقاط، هو إسقاط **تقويم** لأنه تمت برمجة المكون السياقي بشكل هندسي يوازي برمجة المكون النحوي، وعليه فبدلا من اعتبار المكون السياقي متضمنا في المكون النحوي بقوالبه الأساسية وقويلباته الفرعية، اعتمد الإسقاط التقويمي باعتبار المكونين معا ينتظمان ويتدخلان في وصف الظواهر اللغوية وتفسيرها بربطها بغيرها من الظواهر اللغوية الأخرى والمعارف غير اللغوية.

- تبنت نظرية النحو الوظيفي في نماذجها الأولى مبدأ وجود بنيتين؛ تحتية وسطحية، لكن مع نموذج (ن.خ.و.) استُغنِي عن مفهوم القالبية السُّلَّمية، فصارت المكونات الأربعة، وضمنها المكون السياقي، متعالقة ومتحكمة في إنتاج الخطاب وفهمه وتأويله ونقله، وصارت البنية الدلالية والتداولية داخل المكون النحوي مفصولة عن السياق. وعليه فإذا كانت النماذج السابقة قد ركزت على دور السياق بوصفه **رافدا** فإن النموذج الأخير حدد دور السياق في التعبئة في الاتجاهين معا حيث يغذو معهما مصبا معبَّأ ورافدا معبِّئا.

- تتيح المعطيات السابقة تأكيد مكتسب يبدو أنه يساير ما وصلت إليه النظريات

اللغوية والمعرفية، وهو الاستدلال، رغم تباين التصور، على أن السياق بناء ذهني مركب قائم على مجموعة من الملكات أو القوالب الإدراكية والاجتماعية، وعلى نسق وِجاهي يربط بين المكون النحوي والسياقي. وما يسمح بتطبيق الوِجاه واستخدامه باعتباره أداة صورية هو التفاعل الحاصل بين النسقين؛ نسق المكون النحوي ونسق المكون السياقي المنتظم لتضمنه للطبقات أو المستويات عينها التي يتضمنها المكون النحوي مما يشكل تشاكلا مقيدا بين عمليات تنتمي إليهما معا، ويتفاعلان معا بتأثير أحدهما في الآخر عبر وساطة المسيِّق.

- يمكن أن نعد عملية اشتغال السياق عبارة عن سيرورة سحب المعلومات من الذاكرة وتسييقها، ويجوز عبر تصور الهرمية التراتبية التي تُخزن عبرها المعلومات أن نعتبرها مخزنة على شكل أطر أو مدونات، كما يمكننا أن نستعير مفهومَيْ «السيناريو» و«الخطاطات» لتقريب الصورة أكثر، ورصد الكيفية التي تُنظم بها المعلومات في المكون السياقي وكيف تُنشط هذه المعرفة لفهم الخطاب أو إنتاجه أو تأويله أو تحويله وتحقيق انسجامه.

- إن السياق وفق هذا التصور يتيح لنظرية النحو الوظيفي إحراز الكفاية النفسية موازاة مع الكفايات الأخرى. إذ ترتبط الكفاية النفسية بالنماذج النفسية للقدرة اللغوية والسلوك اللغوي، سواء تعلق الأمر بالإنتاج بوصفه الكيفية التي يبني بها المتكلم العبارات اللغوية ويصوغها، أو بالفهم الذي يجسد الكيفية التي يحلل بها المخاطب العبارات اللغوية ويقوم بتأويلها التأويل الملائم بناء على سياقها. وهنا يتضح أنه لتحقيق التواصل لا يجدي توظيف القالب النحوي لوحده، بل تنضاف لتأويل العبارات قوالب أخرى، لحاجة المتكلم إلى معلومات مستمدة من القالب المعرفي أو الاجتماعي أو الإدراكي أو منها جميعها. ولعل هذا التوازي بين القوالب والملكات إغناء للأبحاث التي اشتغلت بالعلاقة العضوية بين الدراسة اللغوية الصورية والدراسات اللغوية النفسية وبالنظر إلى بنيات باقي القوالب الذهنية، كما هذا التصور يغني أيضا مجال البحث في خصائص الوجاهات الواصلة بين الملكة

اللغوية والملكات المعرفية والإدراكية.

- قد نتفق مع تصور «فيتزر» التي تصور السياق على شكل بصلة بقشور سطحية وأخرى داخلية، لأن هذا التصور يتيح إدراك كيفية تراص العدد اللامحدود من الطبقات المتضمنة المعلومات القديمة والحديثة في البنية الذهنية للمتكلم، لكننا لا نعتبر، أن القوالب أو الملكات النحوية والمعرفية والاجتماعية ملكات مفصولة ومتفردة، بل إنها تشتغل بالتوازي، وطبيعة خطاب التواصل وسياقه هي التي تحدد أيا منها تعلو عن الأخرى.

- أخيرا نرى أنه لو لم يكن السياق بناء ذهنيا ذاتيا نفسيا، وبالتالي مكونا قائما على مجموعة من العمليات النسقِيَّة، لتكلم كل الناس الذين يوجدون في الوضع الاجتماعي نفسه بالكيفية ذاتها. ولأمكن للذين يعانون اضطرابات التواصل ذات المنشأ المرضي أو الذين يعانون أمراضا لغوية تعيق تواصلهم مع الغير تجاوز عجزهم. ولَقَدَر أيضا مرضى الاضطرابات اللغوية ذات العلاقة بداء (الزهايمر) مثلا وعلى الأقل في مراحله الأولى، إذ يصبح المريض عاجزا عن استحضار الكلمة المناسبة أو تذكر معلومات في الوقت المناسب، استدعاءَ مخزون ذاكرتهم القريبة قبل البعيدة وإعادة تحييز سياقات التواصل معهم باستمرار. وهو منظور يحتاج مزيدا من التدقيق والتفصيل في أبحاث لاحقة تخصص الكيفية التي يستطيع بها الأفراد، ومنهم المرضى، إنجاز أفعال لغوية وفهمها والتصرف في التواصل بها وفقا للفهم المتحقق وارتباطا باشتغال المكون السياقي والأطر المعرفية.

قائمة المراجع:

1- المراجع العربية:

أحمد المتوكل:

- الاستلزام التخاطبي بين البلاغة العربية والتداوليات الحديثة، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم، علوي، حافظ إسماعيلي، عالم الكتب الحديث، الأردن، (-2011 أ-).

- الخطاب الموسط، مقاربة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات، الدار العربية للعلوم بيروت، ومنشورات الاختلاف الجزائر، ودار الأمان الرباط، (-2011ب-).

- الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت لبنان، ومنشورات الاختلاف الجزائر، 2010، ط1.

- السياق موارده ومواده وأنماطه، توطئة لمكون سياقي مندمج»، ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب، إشراف وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، ومنتصر أمين عبد الرحيم، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2013.

- اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط2، 2010.

- المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي: الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، 2006.

- الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 2003.

- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان، الرباط، 1995.

عز الدين البوشيخي:

- «لسانيات النص في ضوء نظرية النحو الوظيفي الخطابي»، ضمن كتاب: لسانيات النص وتحليل الخطاب، المجلد الأول كنوز المعرفة، الأردن، الطبعة الاولى، 2013.

- التواصل اللغوي، مقاربة لسانية وظيفية، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 2013.
- ف.ر. بالمر، علم الدلالة إطار جديد، (صبري إبراهيم السيد، المترجم)، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، 1992.
- فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، دروس في الألسنية العامة، (صالح الفرماوي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، المترجمون)، الدار العربية للكتاب ليبيا طرابلس وتونس 1985.
- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2006.
- محمد غاليم، النظرية الذريعية والكفاية المعرفية، أو نحو تفكيك معرفي للسياق، مجلة أبحاث لسانية، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، العدد: 32، 2015-2016.

2- المراجع الأجنبية:

- Butler, C.S. 2008, Cognitive adequacy in structural functional theories of language, Language Sciences 30,1.30-
- Dik, Simon C, (1997-a), "*The Theory of functional grammar*", Part 1: *The Structure of the Clause*, edited by Kees Hengeveld.
- Dik, Simon C, (1997-b-), *The Theory of Functional Grammar: Complex and derived constructions*, Volume 2, Mouton de Gruyer.
- Dik, Simon. C, (1990 -a-), *How to build a Natural Language User*. In: Hannay & Vester (eds).
- Dik, Simon. C. (1978),« *Functional Grammar«*, Amsterdam: North-Holland Dik, Simon. C. (1978),« *Functional Grammar«*, Amsterdam: North-Holland.
- Fetzer, Anita, (2004), Recontextualizing Context: Grammaticality Meets Appropriateness, John Benjamins Publishing Company. Amsterdam/ Philadelphia.
- Firth, J R. (1935). The Technique of Semantics. Transactions of the Philological Society, 3672- (Reprinted in Firth (1957) Papers in Linguistics. London: Oxford University Press
- John.H.Connolly, (2014), *The Contextual Component Within a Dynamic Implimentation Of FDG Model: Structure and Interaction*. Pragmatics 24:2.229.248-

- Kees, Hengeveld & Mackenzie J.Lachlan, (2014)*, Grammar And Context In Functional Dicourse Grammar*, Pragmatics 24.2:203227-.
- Kees, Hengeveld, (2004 a),« *The architecture of Functional Discourse Grammar*«. In: Mackenzie & Gomez Gonzalez (eds).
- Kees, Hengeveld, Mackenzie J. Lachlan, (2008),« *Functional Discourse Grammar«*: *A typologically based theory of language structure Oxford*: Oxford University Press.
- Levelt .Willem J.M (1989), Speaking: From intention to articulation. Cambridge MA: MITPress.
- Mackenzie, J. Lachlan, (1998),«*The basic of Syntax in the holophrase«*. In: Hannay & Bolkestein (eds).
- Meibauer, J.,*» ,(*2012) *What is context*? ,«in: Finkbeiner, Meibauer and Schumacher (eds.), *What is a context ? Linguistic approaches and challenges,* John Benjamins Publishing Company.
- Núria Alturo, Evelien Keizer and Lluís Payrató*,* (2014), *The interaction between context and grammar in Functional Discourse Grammar*, Pragmatics 24 :2. 185201-.International Pragmatics Association (IPrA).
- Palmer, F. R. (ed.) (1968). *Selected Papers of J.R. Firth*. Indiana University Press
- Robins, R. H. (1961). John Rupert Firth*. Language.* 37:.2
- Sperber. D & Wilson. D, (1986). Relevance: Communication and Cognition, Harvard University Press
- Velasco, Daniel García. (2022). "Modification and context" *Open Linguistics*, vol. 8, no. 1, 2022, pp. 524544-. https://doi.org/10.1515/opli-20220206-
- Werth, P. (1999). Text Worlds: Representing Conceptual Space in Discourse. London: Longman,
- Wharton, Tim. ,(2010) *Context in the pragmatics Encyclopedia*, Louise Cummings (ed), 7475-. London: Routledge.
- Young, Michael. (2011). Malinowski's last word on the anthropological approach to Language. Pragmatics. 21. 10.1075/prag.21.1.01you.

بحث

دور التّرجمة في بناء جُسور التّواصل بين الثّقافات وتحقيق التفاعـل الحضاري:

أضواء ومُلاحظات ونماذج مُشرقة من الأندلس

د. محمد سيف الإسلام بوفلاقـة[1]*

مهاد

يهدف هذا البحث الموسوم بـ«دور التّرجمة في بناء جُسور التّواصل بين الثّقافات وتحقيق التفاعل الحضاري: أضواء وملاحظات ونماذج مُشرقة من الأندلس». إلى تقديم مُعالجة تحليليّة لرؤى علميّة متميزة؛ تتصل بدور الترجمة في تحقيق التفاعل بين الثقافات، وتجسيد التأثير الحضاري؛ فلا بد من الاعتراف بأن اللُّغة ليست مجموعة من الكلمات المنطوقة، أو الحروف فقط، كما أنها-بمفهومها العام- ليست مجرد أداة للتعبير فحسب، ووسيلة يتم من خلالها الإفصاح عن هواجس الإنسان، وعواطفه، ومشاعره، وأفكاره؛ فهي تمثل إشعاع الروح الإنسانية على الأرض التي نعيش فيها، وعن طريقها ينفذ جوهر الحضارة إلى العالم المادي، ويتم التأثير الثقافي، والتفاعل الحضاري؛ فاللُّغة وعاء الفكر؛ ومن خلال الترجمة يذوب التباين الموجود بين حضارات العالم، وثقافات شتى الأمم، ومن هنا تتبدى أهمية الترجمة في نطاق المعرفة الإنسانية؛ فهي

1.* كلية الآداب، جامعة عنابة، الجزائر.

تُشرّع النوافذ بين الثقافات، وتُتيح نقل العلوم، والآداب بين شعوب المعمورة، وبذلك تُحقق التواصل مع الأمم الأخرى، وتدعم أركان النهضة الثقافية.

لأجل كل ذلك، فإن هذا البحث يُركز على الدور الذي تنهض به التّرجمة في بناء جُسور التّواصل بين الثّقافات، وتحقيق التفاعل الحضاري، ويُلقي الضوء على نماذج مُشرقة من البلاد الأندلسية؛ إذ يُنبه إلى الدور الكبير الذي اضطلعت به (مدرسة التّرجمة بطليطلة) في نقل العلوم العربيّة؛ وهذا ما أدى- باعتراف عدد كبير من علماء أوروبا - إلى تحقيق نهضة علميّة شاملة في البلاد الأوروبية، حيث نجد جملة من المستشرقين، والعلماء العرب، يؤكدون على أن المنفذ الرئيس الذي أدى إلى دخول العلم العربي إلى أوروبا كان من خلال (مدرسة التّرجمة بطليطلة) التي أدخلت مجموعة كبيرة من المؤلفات العلميّة والفلسفية العربية؛ فهي أحد أهم مراكز النّقل للعلم العربي، ويجب التنبيه بأن أوروبا أضحت مركز الثقافة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي، وذلك بعد اطلاع علماء الغرب على الدراسات الإسلامية، وبعد نشوب حركة قوية للاتصال، والنقل؛ حيث تم أخذ أفكار عدد غير قليل من المفكرين المسلمين في الأندلس، وقد تحدثت مصادر كثيرة عن الصلات الفكرية الوشيجة بين أوروبا المسيحية، والأندلس الإسلامية بطرائق شتى؛ من بينها عن طريق الطلبة، والأسرى، والتجار، والمهاجرين، والسفراء، والموريسكيين؛ إضافة إلى أن بعض المدن الإسلامية وقعت تحت الحكم المسيحي، وقد كانت أوروبا المسيحية مقبلة على الثقافة الإسلامية إقبالًا كبيرًا؛ فالأندلس تحتل موقعًا متميزًا في العطاء الحضاري الإنساني، والعالمي، حيث إن دولة الإسلام في الأندلس قد أرست دعائم حضارة باذخة، تعايشت فيها الأجناس والأديان، وتثاقفت فيها اللغات والثقافات، وانصهرت فيها الطاقات على تنوعها، فأثمرت مجتمعًا حيًا، متفاعلًا، مبدعًا، تحققت للإنسان فيه، كإنسان كرامته، وكفلت له حريته وحقوقه، وثمن سعيه وعطاؤه. وهذا ما يُلقي على الباحثين والكتّاب مسؤولية الكشف عن العوامل التي جمعت بين الشعوب ووحدت أهدافهم ورؤاهم، والتنقيب عن الأسس والمرتكزات التي أفرزت قاعدة صلبة لحوار الحضارات عبر مراحل التاريخ. ولقد شكّلت الفسحة الأندلسية حيّزًا إنسانيا ممتـازًا

للحـوار والتفـاعل بين الأديـان السـمـاوية الثـلاثة، وأكثر منها فـقـد شهـدت هـذه الفسحـة العصر الذهبي للثـقـافة العبرية التي اتخـذ شعـراؤها وأدبـاؤها وعلمـاؤها ومفكـروها العـربية أداة تعبير وتواصـل وتفكـيـر دوّنـوا بها خير مـا جـادت به قـرائحهم. بل إنَّ كـثـيـراً من النّصارى واليهـود والصقالبة احتَلّوا مراكز سامية في الحكم وتبوأوا مراتب ممتازة في الحياة العامة، فكان منهم الوزراء والشعراء والشاعرات والأطباء. وقد بدا الأندلسيون في الأعين منصفين بأمّ فضائل المدنية، فضيلة التسامح المطلق، والحوار والتفاعل مع العناصر الأخرى، لدرجة أثارت إعجاب الأعداء قبل الأصدقاء، على نحو ما ذهب إليه غوستاف لوبون، ومن أهم الوسائل التي لعبت أهمية بالغة في عملية انتقال المؤثرات الحضارية إلى أوروبا مدارس الترجمة.

وبناء على ما سبق ذكره، فإن هذا البحث، مستندًا إلى التحليل والتعليل والمُحاكمة والاستدلال، يود أن يثبت مدى إسهام التّرجمة في بناء جُسور التّواصل بين الثّقافات، وتحقيق التفاعل الحضاري، فيتوقف مع مجموعة من الأفكار، والرؤى العلميّة والأكاديمية العميقة، لنخبة من العلماء، والكتّاب، والمؤرخين، والمستشرقين، والمفكرين.

أولًا: أهمية الترجمة ودورها في بناء جُسور التّواصل بين الثّقافات

لا مندوحة من أن الترجمة تعد بالنسبة لأية أمة من الأمم ركيزة أساسية، وشرطًا رئيسًا من شروط النهضة، والتقدم، والارتقاء؛ لذلك نرى الكثير من المفكرين، والعلماء يقرنون النهضات العلمية العظيمة للأمم المختلفة في شتى المجالات بمدى إسهاماتها في ترجمة مختلف العلوم، والآداب، والفنون، نظرًا للأهمية الكبيرة التي تمثلها الترجمة، والدور البارز الذي تلعبه في التنمية البشرية، فالترجمة تعتبر البنية القاعدية للأمم الراغبة في «النهوض والمشاركة في صنع الحضارة الإنسانية، لأن بداية هذا النهوض مرهونة بالاطلاع على ما هو موجود عند الأمم الأخرى التي أسهمت في تطور العلوم والفنون وأساليب العمل والتسيير في مختلف مجالات الحياة. وقد

يكون تأثير هذا الاطلاع بنسبة محدودة على حياة الأمة، إن اقتصر على فئة صغيرة من أفراد المجتمع، لها حظ امتلاك اللغات الأخرى؛ لذلك نجد الأمم المتحضرة قديمًا وحديثًا، تنقل هذه المعارف إلى لغاتها ليتمكن معظم أبنائها من المشاركة في هذه النهضة. وقد استوت في ذلك الأمم المتقدمة للاحتفاظ بتقدمها، وتلك التي لها الرغبة في التقدم بغية اللحاق بالركب»[1].

من هذا المنظور فقد أدركت الأمم المتحضرة منذ العصور التليدة أهمية الترجمة فقد مارس أوائل المصريين، وعلى عهد الفراعنة بالذات الترجمة ممارسة احترافية؛ إذ كُتب نص اتفاق سياسي وقع بين الفراعنة والهيتيّين بلغتين اثنتين: الهيروغليفية، والهيتيّة، وذلك منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام.

كما كان يوجد بالديوان الفرعوني بمصر القديمة مترجمون محترفون، يرث أبناؤهم آباءهم. وكان الفراعنة، لشرف مهنة الترجمة ونُبلها، يصنفونهم في مراتب الأمراء.

كما أن الرسائل التي كان يبعث بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك عصره كانت تترجم إلى لغات أولئك الملوك مجرّد وصولها إلى دواوينهم، على الرغم من صمت المؤرخين ورجال السير عن ذلك صمتًا مُذهلًا، ولم يكد يومئ إلى بعض ذلك إلاّ ابن خلدون في تاريخه، وواضح أن العرب لم يكونوا على جهل مطلق بالأمم المجاورة لهم قبل ظهور الإسلام، فقد كان ورقة بن نوفل مثلًا متنصرًا؛ فكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب. كما كانت الترجمة مستعملة في مجتمع المدينة المنورة، بعد الهجرة، وخصوصًا بين العربيّة والعبريّة، وكانت سجلات الجند، والمحاسبة، تتمّ باللّغة الفارسية منذ البدء في تنظيم الجيش الإسلاميّ، وظلّ الأمر على ذلك على عهد الدولة الأمويّة؛ ففي عهد عبد الملك بن مروان وقع تعريب الدّواوين بسعيٍ من الحجاج بن يوسف الثقفي، ذلك بأن الحجاج عمد إلى تعريب الدواوين من الفارسية إلى العربية، ثم ازدهرت الترجمة على عهد المأمون، كما هو معروف، أيما ازدهار، بفضل تشجيعه العلم والعلماء،

1. طاهر ميلة، انعكاسات حركة الترجمة على وضع اللغة العربية الحالي، مجلة اللغة العربية، العدد:14، 2005م، ص. 279.

والمترجمين، والحكماء؛ حتّى إنه كان يكافئ المترجم حنين بن إسحاق، وهو أحد أكبر المترجمين في التاريخ على الإطلاق، بأن يُمنح وزنُ الكتاب الذي يترجمه ذهبًا. وهي طريقة في التشجيع لم يُعرف لها مثيلٌ في التاريخ، وكان بيت الحكمة ببغداد يجمع فريقًا ضخمًا من كبار المترجمين من مسلمين، ونصارى، ونسطوريين، ويعقوبيين، ويهود. فأمست بغداد، بفضل ذلك، وعلى عهد المأمون خصوصًا أعظم مركز للإشعاع العلميّ والثقافيّ في العالم على الإطلاق»[1].

ولا يُمكن التغاضي عن الدور الكبير الذي تنهض به الترجمة في سبيل ترسيخ قيم التفاهم، والتقارب بين شتى الأمم والحضارات والثقافات، وتتضح أهمية الترجمة أو التعريب عند دارسي الفكر العربي والحضارة الإسلامية، لما لهذا الموضوع من دور عظيم في نقل علوم الأمم، وآثارها النافعة إلى لغة العرب، والراسخ في أذهان جمهرة الدارسين لهذا الموضوع أن العصر العباسي هو عصر النقل والتعريب عند العرب، ولا نكران لذلك، بل هو من أكثر العصور ترجمةً وتعريبًا، ولكن شمس شهرة هذا العصر كسفت ما تقدَّمه وما تلاه من عصور لم تتعطل فيها حركة النقل والتعريب، التي أصبحت مكونًا أساسيًا من مكونات الثقافة العربية، ووسيلة من وسائل صمود هذه الأمة في وجه الغزوات العسكرية والثقافية، ولقد ظلت قضية الترجمة أو التعريب من أكثر الموضوعات أهمية وإثارة في تاريخ الفكر العربي، بل في تاريخ الفكر الإنساني منذ أن عرف الإنسان الكتابة، وحتى عصرنا الماثل.

ولا ريب في أن المُطَّلع على تاريخ الترجمة في الحضارات، قديمها وحديثها، يجد لها نصيبًا وافرًا من اهتمام البشر وعنايتهم. وما تواصلت الحضارات، ونهل ناهضها ولاحقها ممن سبقها في العلم والمعرفة إلا والترجمة طريقة السالك إلى الأخذ والانتفاع، والبناء، والتطوير، ولَّما كانت الأمة العربية من أعرق الأمم حضارة، بل أعرقها على الإطلاق، فإنها قد عرفت الترجمة عبر تاريخها الطويل الممتد آلافًا من السنين ذات العطاء الحضاري المتصل، والممتد مكانيًا من الرافدين شرقًا إلى النيل غربًا، ومن جبال طوروس شمالًا إلى الجزيرة العربية جنوبًا.

1. عبد الملك مرتاض، مقدمة في نظرية الترجمة، مجلة بونة للبحوث والدراسات، العدد: 6، 2006م، ص. 39، وما بعدها.

لقد شهدت الأرض العربية حضارات أجدادنا البابليين، والآشوريين، والأوغارتيين، والكنعانيين، والفينيقيين والآراميين، وغيرهم ممن قدموا للبشرية الأبجدية، وهي أهم اختراع إنساني عرفه التاريخ، وهم الذين علَّموا البشر بناء المدن والسدود، وأنظمة الري والتقويم، والصنائع والشرائع، والأخلاق والملاحم والآداب، وقد كانت الترجمة أولى وسائط الاتصال والنقل المعرفي بين الأمة العربية وغيرها من الأمم، وعنهم تعلم الإغريق والرومان، ونقلوا وترجموا، ولولا علم الشرق الذي عرفه اليونان عن طريق الترجمة لما سمعنا بأفلاطون وأرسطو وجالينوس وأرخميدس وغيرهم[1].

لقد أسس العباسيون «بيت الحكمة أو دار الحكمة، وهي أول مؤسسة في الإسلام تُعنى بشؤون الترجمة والمترجمين، وأغدق الخليفة هارون الرشيد العطايا على المترجمين، ونالوا لديه كل حظوة وتقدير، ثم آلت الأمور إلى ابنه الخليفة العالم المأمون الذي أعطى حركة الترجمة دفعًا قويًا، ومضى قُدُمًا في تقريب التراجمة وإعظام شأنهم، حتى نقلوا روائع المصنفات العلمية في الطب والفلك والفلاحة والرياضيات والفلسفة والمنطق وغيرها من اللغة اليونانية والهندية والكلدانية والفارسية والسريانية إلى لغة العرب، ولم يكتف المأمون بتحويل كتب العلوم النافعة إلى العربية، بل أمر بوضعها موضع التطبيق العملي، فبنيت المراصد والمدارس التي أمر فيها بتعلم الكتب المترجمة، وتعليمها للنابهين من أبناء الأمة، ونبغ في عصره وما تلاه كبار التراجمة، وبفضل ذلك أصبحت بغداد زمن العباسيين أعظم مركز للترجمة والنقل في العالم»[2].

إن من أبرز المسائل التي تثير الاهتمام، وتنطوي على أهمية بالغة؛ ما تثيره الترجمة من قضايا تتصل بالحوار بين الثقافات، والحضارات؛ فضلًا عن تحقيق التفاعل، والتواصل العميق، وفي هذا الشأن يُنبه أحد الباحثين في مجال ترجمة أعمال

1. سمير الدروبي، الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي، منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، ط:1، 2007م، ص.7.
2. سمير الدروبي، الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي، ص. 14 وما بعدها.

الفكر السياسي الحديث إلى أنه ينبغي تحديد أولويات الترجمة على مستوى الفلسفة السياسية؛ إذ أن الأمر يتعلق باستراتيجيات الترجمة، وبالمبادئ التي توجهها صوب أهداف محددة، والهدف الرئيس، والمبدأ الأساس هو تعزيز التفاعل بين اللُّغات، والثقافات، وخلق جسور مناهضة للتمركز العرقي في مجال الترجمة ذاتها، ويُقرّ بأن فعل الترجمة يقترن بالعنف المزدوج تجاه النص الأصلي، وتجاه الثقافة التي يحملها؛ لذلك اقترن هذا الفعل بالصراع والحرب.

إلى جانب هذا الواقع، فهناك توجهات أخرى للترجمة تتصل باستقبال الغريب (نصًا وثقافة) بحفاوة داخل مقام اللغة المترجمة، وذلك في إطار ما دعاه ريكور ودريدا بالضيافة، وذلك باسم الحوار، والتفاهم بين اللغات، والثقافات؛ وهنا تغدو الترجمة حوارية بمعنى الإقرار بتعدد الرؤى، وتنوعها، واختلافها، وهناك إمكانية لتفاعلها، وتلاقحها، وهذا ما نبه إليه هابرماس، وعبّر عنه بما معناه أن الذات المتمكنة من لغتين يُمكنها أن تتوفر على هوية مزدوجة، وموسعة، وهذا ما يؤدي إلى أن الشخص سيوسع أفق فهمه لذاته، وللعالم الآخر، وهو يظل مماثلًا لذاته خلال انتقاله من عالم لغوي، وثقافي، إلى آخر، وهذا ما يعد شرطًا أساسًا لتحقيق التفاهم المتبادل بين الأطراف المعنية بالنقاش، ولا يُمكن أن تختصر هذه العملية في الانصهار التام داخل ثقافتنا، أو في التماهي مع ثقافة الآخر؛ بل يجب أن تقوم على أساس التوفيق بين متطلبات، ومقتضيات الذات، والآخر؛ بحيث يعمل كل طرف على تبرير ممارساته انطلاقًا من صلاحية معاييره، وفي هذا الإطار تتحدد أولويات الترجمة على مستوى الفلسفة السياسية المعاصرة، ومما لا يشوبه أدنى شك أن هناك جملة من المفاهيم الكونية في المجال السياسي، مثل: التعاقد، وحقوق الإنسان، والعدالة، والمساواة، يُمكن ترسيخها، وتعميقها داخل ثقافات مختلفة، ومتنافسة؛ وهذا ما يسمح بتأكيد الفكرة التي مفادها أن الكوني، والخصوصي يقتضيان بعضهما بعضًا، ويمنح للترجمة مشروعيتها في توطين هذه المفاهيم داخل شتى الثقافات، ويسمح بفتح حوار حقوقي، وسياسي يتصل بمدى كونية هذه المفاهيم.

والحقيقة أن عملية الترجمة تستدعي تفاهمًا ثقافيًا مُتبادلًا بين الذات والآخر؛

ذلك أن عملية التفاهم المتبادل لا تُختزل في الاختيار بين دمج الآخر داخل ثقافتنا، أو اعتناقنا لثقافته، بل إنه يتعين أن تُحدد كتلاؤم بين رؤيتنا، ورؤيته؛ لأن مفاهيم مثل الحقيقة، والعقلانية، والتبرير تلعب الدور النحوي نفسه داخل كل جماعة لسانية، على الرغم من تأويلها بشكل مختلف، وتطبيقها وفق معايير متباينة، ومغايرة، والحق أن هذا التفاهم هو الذي يُعزز الانفتاح الفكري، ويُسهم في مواجهة التعصب، والتطرف، وذلك انطلاقًا من أن صراع الرؤى، والأفكار، والتصورات يظل دائمًا مطالبًا بالخضوع لقاعدة الحوار، وإلا فإنه سيتحول من صراع الأفكار إلى عنف جسدي؛ ولذلك فمن الواجب، واللازم، كما يرى إدغار موران، أن يتم الإقرار بهذه القاعدة؛ على أساس أنها هي التي تؤسس كل حوار ثقافي؛ ذلك أن المواجهة بين الأفكار المتناقضة تخلخل التصورات الحتمية للثقافة، وتثير لدى الجماعات، والأفراد الريب، والشك وعدم الرضا، وقد تؤدي إلى إعادة النظر في المعتقدات، وإلى المراجعة، والتقصي، والبحث، وتظل الترجمة بمثابة الأنموذج لهذا الحوار الثقافي، وانفتاحها على المفاهيم، والمبادئ، وبعض قضايا الحداثة السياسية يكتسي أهمية مزدوجة؛ حيث إنها من جانب تسمح بتداول هذه المبادئ، والمفاهيم بين الثقافات المختلفة، وتُمكّـن من تعميق النقاش فيما يتصل بكونية الخطابات المتصلة بحقوق الإنسان، والديموقراطية، والمواطنة، والعدالة، والشرعية، ومن جانب آخر ستشكل هذه العملية حافزًا من حيث الرغبة في تفعيلها داخل بعض المجتمعات، التي ترى أنها معنية بترجمة هذه المبادئ، من أجل تجاوز معضلات تعيشها، ونشر ثقافة الحوار، والتسامح[1]، ومن المعلوم أن اللُّغة ظاهرة اجتماعية تعكس ما يُنجزه المجتمع، وبدونها لا يُمكن أن تكون هناك ثقافة بين البشر، وفي علم (الأنثروبولوجيا) تغدو اللُّغة مكونًا من مكونات الثقافة، والاستعمالات اللّغوية الواعية تحظى بالدراسة، والتحليل من قبل علماء (أنثروبولوجيا اللُّغة)، وقد أشار ميلر في تعريفه الذي ركز فيه على الجانب الفكري إلى أنها استعمال لمجموعة من الرموز الصوتية، والمقطعية، والتي يُعبر بمقتضاها عن الفكر، ونشير في هذا الصدد إلى اتساع مجالات مدلولها، فيمكن أن نفهم من اللغة أنها:

1. عـز الديـن الخطـابي، أولويـات الترجمـة العربيـة في الفكـر السـياسي الحديـث والمعـاصر ومسـؤولية المترجـم، دراسـة منشـورة ضمـن كتـاب حركـة الترجمـة العربيـة لأعـمال الفكـر السـياسي الحديـث، منشـورات مؤسسـة الملـك عبـد العزيـز آل سـعود للدراسـات الإسـلامية والعلـوم الإنسـانية، الـدار البيضـاء، المغـرب الأقـصى، 2011م، ص. 23-24.

1- كل وسيلة لتبادل المشاعر، والأفكار، كالإشارات، والأصوات، والألفاظ، وهي ضربان:طبيعية كبعض حركات الجسم، والأصوات المُهملة، ووضعية، وهي مجموعة رموز، أو إشارات، أو ألفاظ مُتفق عليها لأداء المشاعر، والأفكار.

2- مجموعة مفردات الكلام، وقواعد توليفها التي تميز جماعة بشرية معينة تتبادل بوساطتها أفكارها، ورغباتها، ومشاعرها، مثال ذلك اللغة الإنجليزية أو العربية.

3- مجموعة الألفاظ، والصِّيغ اللغوية، وخصائص الأساليب الكلامية التي يتميز بها مؤلف ما، أو طائفة اجتماعية معينة، فنقول لغة المعري، أو ابن خلدون، ولغة القانونيين، أو العسكريين.

أما بالنسبة إلى الثقافة؛ فيرى عدد كبير من المتخصصين في مجال الثقافة، والحضارة أن هناك جملة من المغالطات التي تقع بين المفهومين، فهناك الكثير من الدارسين الذين يخلطون بين مفهوم الثقافة، ومفهوم الحضارة، حيث يذكر في هذا الصدد الباحث سيد غدريس هاني أن الحضارات هي هويات ثقافية في التقليد الأنثروبولوجي الأمريكي، وهم نادرًا ما يُفرقون بين الثقافة والحضارة، وقد اعتادوا في الترجمات ذات الأصول الأمريكية أن يترجموا الثقافة بالحضارة، والحضارة واحدة والثقافات متعددة، ففي «عصر ثورة الاتصالات هناك حضارة واحدة، في الماضي سمعنا عن وجود حضارات، وهذا إنما يرجع إلى أزمة التواصل ومشكلة العزلة، إن الحضارة ليست هي مطلق الحضور، كما ينحو الجميع، فمالك بن نبي مثلًا وهو الرأي التقليدي السائد، بالنسبة إليه الحضارة هي أخص من الحضور، إنها حضور أمثل وأقوى، والحضارة هي القوة، والثقافة هي أمر ملازم لكل أشكال الحضور، الثقافة هي إفراز وجودي لكل الكيانات الاجتماعية، لكن الثقافة ليست بالضرورة حضارية، فالثقافة تمثل من الحضارة مرحلة القوة، والحضارة تمثل من الثقافة مرحلة الفعل، والحضارة أخص من الثقافة، فالقوة واجبة في حق الحضارة، ممكنة في حق الثقافة، ما يعني أن كل ثقافة تملك إمكانية التحضر، ولا يجب لها

التحضر حتى تصبح قادرة على إنتاج القوة»[1]، ولابد من وضع مفاهيم دقيقة لكل من الحضارة والثقافة، فالثقافة من «الثَّقْفِ»، الذي له عشرة معانٍ في لغة العرب، حسبما هو مدّون في القواميس والمعاجم الموثوق بها عند علماء اللغة[2]، وسنورد أهم هذه المعاني: المعنى الأول: تسوية الشيء، وتقويم اعوجاجه، تقول: ثقفتَ الرُّمح، أو القوس أو أي شيء معوج، إذا قوّمتَه، وسويته من اعوجاجه، فيغدو مثّقفًا مُقوّمًا، وعلى هذا الأساس استعيرت لفظة «مثقف» إلى كُلّ ما هو مستقيمٌ صَلْب[3]...

المعنى الثاني: الحِذْقُ والمهارة في إتقان الشيء، قال ابن منظور: «ثقف الشيء ثقفًا، وثقافًا، وثقوفه، حذقه، ورجلٌ ثَقْفٌ، وثِقِفٌ، وثَقَفٌ، وثَقِفَ الرّجلُ ثقافة، أي: صار حاذقا فطنا، فهو ثَقِفٌ، وثُقُفٌ، مثل: حَذِرَ، وحَذُر... «[4]. وقد ورد هذا المعنى نفسه في بعض عبارات المتقدّمين، مثل: عبارة أبي حيان التوحيدي في «المقابسات»[5]، وعبارة ابن خلدون في «المقدمة»[6].

المعنى الثالث: إنَّ الثقافة في أدنى مستوياتها هي مجموع الاستجابات والمواقف التي يواجه بها شعب من الشعوب – بحسب عبقريته – ضرورات وجوده الطبيعي من مأكل وملبس وتناسل، أمَّا على المستوى الأرفع فإنَّ للثقافة أوجهًا ثلاثة هي:

- تنمية الفكر وترقية الحس النقدي.
- تكوين الحس الجمالي وإرهاف الذوق.

– الاستمساك بالقيم وغرس الحس الأخلاقي[7]، أما الحضارة: – عند اللغويين– «خلاف البداوة»، وهي عند ابن خلدون: «تفنُّن في التّرف وإحكام الصنائع». أمَّا

1. أحمد مسجد جامعي، كلمة افتتاحية لكتاب محاضرات في حوار الحضارات، دمشق، سوريا، 1421هـ/2001م، ص. 9.
2. محمد بن عبد الكريم الجزائري، الثقافة ومآسي رجالها، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر (د.ت)، ص. 9 وما بعدها.
3. محمد بن الكريم، المرجع نفسه، ص. 10.
4. ابن منظور، لسان العرب، مادة: ثقف.
5. أبو حيان التوحيدي، المقابسات، مطبعة الرحمانية، القاهرة، 1929 م، ص. 375.
6. ابن خلدون، المقدمة، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967 م، ص. 448.
7. أحمد طالب الإبراهيمي، الإسلام والغرب، كتاب العربي العدد:49، منشورات وزارة الإعلام بدولة الكويت يوليو 2002م، ص. 116.

في نظر الدكتور محمد بن عبد الكريم، فهي: «ظاهرة اجتماعية، تتبلور في نظم محكمة، وآثار ماثلة». فقولنا: «ظاهرة اجتماعية»، احترازا من الظاهرة الفردية التي مبعثها الثقافة. ونعني بـ «النظم المحكمة» كل ما يقتضيه النظام والإحكام في تسيير شؤون الإنسان المتحضر، مثل: النظم السياسية، والاقتصادية، والإدارية والقضائية، والحربية، والثقافية، والزراعية، والتجارية، والأسرية، وهلمَّ جرًّا... ونعني بـ «الآثار الماثلة» فن العمارة بجميع أنواعها: مثل: تخطيط المُدن، وتمصير الأمصار، وتشييد البنيان، ثم النحت، والرسم، والتصوير، والزخرفة، وجميع الفنون الجميلة[1]، وهناك فرق بين «الثقافة» وبين «الحضارة» من عدة وجوه:

أولًا: إذا كان مفهوم الثقافة ينزع إلى الخصوصية، فإنَّ الحضارة تنزع إلى العمومية، فالثقافة هي الحضارة الخاصة بأمة من الأمم، لا يشاركها في شأنها أحدٌ، تحمل صيغة هذه الأمة، وتتّسم بسماتها، ووراء كل حضارة دينٌ، وقد تصبُّ عدة ثقافات في نهر حضارة واحدة. فالثقافة العربية التي ننتمي إليها هي في أدنى مستوياتها مجموع تقاليدنا وعاداتنا، أمَّا على مستواها الأعلى فهي النهج الذي نهجه الغزالي في الجانب الروحي، وابن رشد في الجانب الفكري، وابن حزم في الجانب الأخلاقي، وابن خلدون في الجانب الاجتماعي، ونشكل – نحن العرب – بثقافتنا مع ثقافات أخرى – الفارسية والتركية – نشكل الحضارة الإسلامية التي ساهمنا جميعا في إنشائها وإثرائها[2].

ثانيًا: إن الثقافة تصور وإرادة، وأنَّ الحضارة أثر ونتيجة لهما.

ثالثًا: إن الثقافة وصف عام للفرد والأمة، وأنَّ الحضارة وصف خاص بالأمة، أي: مثلها مثل «العلم». يقال: «حضارة الأمة الفلانية»، ولا يقال: «حضارة الشخص الفلاني»، بخلاف «الثقافة»، فتصدق على الشخص والأمة، إذ يُمكن أن نتحدث عن شخصية المثقف، الذي يحمل جملة من الدلالات، وبالإمكان تقديم مفاهيم جمة، تندرج في إطاره، فبمفهومه الواسع: هو الشخص المستوعب، والمدرك لثقافة

1. محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص. 38.
2. أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع السابق، ص. 116.

مجتمعه، وله مقدرة على تحليلها، وتفكيك بُناها، وله قدرة على تعميق إيجابياتها، وهو أكثر الناس صلة بالمعرفة، وإذا أردنا تقديم مفهوم محدد: فهو ذلك الشخص المشتغل بالثقافة، على أساس أنها نشاط من النشاطات الإبداعية والفنية، كما أنه يمارس أعمالًا ذهنية تلعب دورًا في ترسيخ الوقائع القائمة.

وعندما نتبصر في بعض المفاهيم التي وضعها طائفة من المفكرين، فإننا نخرج برؤى متباينة، فالمثقف كما رآه إدوارد سعيد: «هو ذلك الشخص الموهوب، والذي يملك المقدرة الشخصية على تمثيل، وتجسيد هموم شعبه، وتوصيل رسالته، ورؤيته، وموقفه، وأفكاره، وآرائه للناس، ومن أجل الناس، مع ما يصاحب هذا الدور من محاذير...».

وفي نظر أنطونيو غرامشي: «كل الناس يمتلكون الثقافة، لكن ليس لهم كلهم مقدرة على تأدية وظيفة المثقف في المجتمع»، وقد انصرف غرامشي إلى مفهوم المثقف العضوي الذي يؤدي وظيفة محددة في المجتمع، كما أنه منخرط في خدمة مصالح طبقة اجتماعية، أو ثقافية، أو اقتصادية، وغيرها من شتى المجالات.

وأما جوليان بيندا فقد تمثل أهل الثقافة على أنهم «عصبة صغيرة من الملوك الفلاسفة الذين يتحلون بموهبة استثنائية، وبحسٍ أخلاقي فذ، ويشكلون ضمير البشرية، فهم من أمثال: يسوع المسيح، وسقراط، وسبينوزا، وفولتير، ونيتشه، وارنست رينان، كما أنهم يُعرِضون أنفسهم لمخاطر النبذ، والملاحقة، والمحاكمة، وكما رأى فهم فئة قليلة».

ويذهب جان بول سارتر إلى أن المثقف «ذلك الكائن الشاهد على عصره، والمتمثل لضمير الجماعة، وهو الذي يتدخل فيما لا يعنيه، وأشار إلى أن المثقفين ينقسمون إلى قسمين: المثقف الحقيقي، والمثقف المزيف، فالحقيقي هو من يقول (لا)، والمزيف هو الذي يقول (لا ولكن)".

وبتأملنا في فكرنا العربي المعاصر، يمكن أن نستشف أن الرؤى الفكرية العميقة لشخصية المثقف، بدأت تتبلور، وتظهر بشكل جلٍي منذ عقد التسعينيات،

حيث برز عدد من المفكرين حاولوا التعمق في ماهية المثقف، ورصد شتى دلالاته، وتتبع أدواره، كما سعوا بجدية إلى التأصيل لها، ومن أهم المفكرين العرب الذين تعمقوا في هذا الميدان، نذكر: الدكتور محمد عابد الجابري، في كتابه: "المثقفون في الحضارة العربية"، وإدوارد سعيد-الذي أوردنا تعريفه سلفًا-في كتابه المتميز:"صور المثقف"، وعلي حرب في كتاب: "أوهام النخبة"، وعلي أومليل في دراسته: "السلطة السياسية والسلطة الثقافية"، وسواهم من كبار المفكرين المعاصرين، أمثال: عبد الإله بلقزيز، ومحمد أركون، وجورج طرابيشي، وفهمي جذعان...

رابعًا : إن الحضارة تتجسم في النظم السياسية، وفي العلوم، والصنائع، والاختراعات على وجه العموم، وأنَّ الثقافة تتمثل في اللغات، والآداب، والتواريخ، والفلسفات، وجميع العلوم الإنسانية، أي أن الثقافة تقدّمٌ من الوجهة الخُلُقية والفكرية، والحضارة تقدّمٌ من الوجهة الاجتماعية على وجه العموم.

خامسًا: كل أمّة مثقفة يصدق عليها أن تكون متحضرة، وليس العكس، لأن هناك الكثير من الآثار الحضارية القديمة التي مازالت قائمة ومرئية حتى الآن، بَيْدَ أنّ إيجادها لم يكن بدافع ثقافي: مثل أهرام مصر، ومختلف الأسلحة المحفوظة في المتاحف الدولية، فتلك شُيّدت بدافع وهمي – على أحد الأقوال في سبب بنائها[1]- وهذه صُنعت من أجل الدفاع عن النفس تارة، وسفك الدماء بها تارة أخرى. وما قيل في ذلك يقال في القنابل الذرية والأسلحة الفتاكة، المصنوعة في العصر الحاضر، فإنَّ صنعها لم يكن بدافع ثقافي، وإنَّما كان بدافع الترهيب، وحُبّ التسلط على البشرية، وسفك دمائهم، وهذا منافٍ للثقافة، التي تهدِفُ إلى تهذيب الأخلاق، وتقويم السلوك، وحب الخير، وإصلاح المجتمعات. وعلى هذا الاعتبار فالثقافة أعلى من الحضارة، وأرقى منها في سلم الحياة. وهي، على وجه العموم، روحية في الجوهر... أمَّا الحضارة فمادية في جوهرها ومحسوسة، والثقافة سابقة على الحضارة في الوجود... وليس في الإمكان ضبط الحد الفاصل بين الثقافة والحضارة بوجه دقيق[2]، ويرى بعض الدارسين

1. يُنظر ما جاء في سبب بناء الأهرام كتاب: "حسن المحاضرة، في تاريخ مصر والقاهرة" لمؤلفه جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (الجزء الأول).

2. استقينا معظم هذه المعلومات المتعلقة بالفرق بين الثقافة والحضارة من كتاب «الثقافة ومآسي رجالها» للدكتور محمد

أن مفهوم الحضارة لم يلق إجماعًا على دلالته بين مختلف الحضارات الإنسانية التي عرفها التاريخ، على الرغم من اشتراك هذه الحضارات في الكثير من القيم الإنسانية التي تشكل جوهرها، فمن يرغب في المضي في مسار حوار الحضارات على سبيل المثال عليه أن يتفق على حدود دنيا لمفهوم (الحضارات الإنسانية)، ولتصنيفاتها التي تتفاوت نظرًا لاختلاف المعايير، وهناك «أمر آخر، وهو أننا ننسب الحضارات الإنسانية في محاولتنا تصنيفها إلى القارة حينًا (فنقول الحضارة الغربية)، وإلى اللغة أو الأمة حينًا ثالثًا (فنقول الحضارة العربية، أو الحضارة الصينية، أو الحضارة اليابانية)، وإلى العقيدة حينًا رابعًا (فنقول الحضارة الإسلامية)، وإلى الإقليم أو النهر أو الوادي خامسًا (فنقول حضارة بلاد الرافدين) وإلى العصر سادسًا (فنقول الحضارات القديمة، أو الحضارة الحديثة)، وإلى غير ذلك مما يقع المرء عليه في قراءاته لتاريخ الحضارات الإنسانية، ولكننا نادرًا ما نسأل أنفسنا هل ثمة حضارة صرف نقية لا تشوبها شائبة من حضارة أو حضارات أخرى؟ ونمضي أحيانًا في نزعة التمركز حول الذات فنتحدث عن (عبقرية الحضارة) التي نتماهى معها، وننتسب إليها، أو نرغب في الانتساب إليها»[1].

إن بين اللّغة والثقافة علاقة وثيقة، ويُمكن أن تشبّه بعلاقة الجزء بالكل؛ فاللّغة أخص، والثقافة أعم، وبينهما علاقة التأثر، والتأثير؛ ذلك أن اللّغة تجسيد حي لكل معارف الإنسان، وخبرته دليل شخصيته، وهويته الثقافية، وهي بمثابة الكاشف عن مكنون النفس، والعقل، وتظل العلاقة بين اللغة، والثقافة قوية جدًا؛ وهذا ما يتضح في السلوك اللغوي، والثقافي معًا؛ فالفرد بإمكانه أن يحكم على ثقافة الرجل من محصوله اللّغوي المتمثل أساسًا في الألفاظ، والعبارات، وطرائق النطق، والأداء الصوتي، وهذا ما عبّر عنه الشاعر قديمًا بأن لسان الفتى نصف، ونصف فؤاد...فلم تبق إلا صورة اللحم والدم، ويقال كذلك أن لسان الفتى كل الفتى؛ لأن الكلام الذي يؤديه اللسان لا يصدر من فراغ، وإنما يستمد مادته من مخزون عقله،

بن عبد الكريم، ص. 38-39.

1. عبد النبي اصطيف، حوار الحضارات في عصر العولمة، بحث منشور في كتاب محاضرات في حوار الحضارات، دمشق، سوريا، 2001م، ص. 323 وما بعدها.

ونفسه، أي من محصوله المعرفي، والثقافي، ومن بين الأسئلة التي تُطرح فيما يتعلق بعلاقة اللغة، والثقافة، هل تتحدد ثقافة الفرد بلغته؟ أم أن لغته تتحدد بثقافته؟ وهناك في هذا الصدد ثلاثة آراء، الأول يذهب إلى أن اللُّغة تُملي على الفرد أسلوب حياته، وثقافته، ويزعمون أن سلوك الفرد، وتفكيره يرتكزان أولًا وأخيرًا على اللغة، وهناك منظور آخر يرى أن اللغة ليست إلا أثرًا من آثار عقلية المجتمع؛ فهي عاكسة لثقافة هذا المجتمع، والثالث يرى أن العلاقة بينهما علاقة تأثير وتأثر على أساس أن العالم الحقيقي لأي مجتمع مبني إلى حد كبير على العادات اللُّغوية، وأن علاقة اللغة بالثقافة هي علاقة الجزء بالكل، اللغة أخص، والثقافة أعم؛ إذ أن لها مصادر أخرى غير اللُّغة[1]، والترجمة بأبسط تعريف هي وسيلة من الوسائل المستخدمة لتبادل المعارف بين الشعوب؛ أي أنها وسيلة لنقل حضارة معينة، إلى حضارة أمة أخرى، ومن خلال هذا النقل، أو الانتقال تتفتح الحياة في الإنتاج الفكري، والعلمي حين نقله من لغة إلى أخرى؛ أي أن حدوث التلاقح يُفضي إلى التفاعل، ولا ريب في أن قابلية الثقافة للترجمة تكمن فيما تحمله تلك الثقافة من قضايا إنسانية، وقيم، ومعارف تتجاوز، وتتحدى الحدود المكانية والزمنية، أو الظرف، والظروف، وهذا المفهوم ينطبق على الترجمة، ولاسيما في مرحلة ما قبل العولمة، والترجمة هي عملية توليد معرفي، ولغوي، ومن شأنها أن تشكل فضاءً مُلائمًا للحوار والمثاقفة؛ حيث إنها تمنح اللغة إمكانية الانفتاح على آفاق جديدة، وتكسبها عوالم تجديدية؛ فتتكاثر بموجبها مفردات اللُّغة، ويتسع قاموسها المعرفي، والدلالي، وقد أثبتت الأحداث، التي وقعت في تاريخ الترجمة أن بإمكان الشعوب استخدامها وسيلة حوار فيما بينهم، وهذا ما أكد عليه الفيلسوف أفلاطون؛ الذي يرى في الترجمة لغة التأويل، والرمزية، كما أن أرسطو رأى إمكانية ترجمة المصطلحات، والمعاني من لغة إلى أخرى، من خلال الاعتماد على الاشتقاق اللُّغوي؛ الذي لا يتشكل من القياس المنطقي، لأن اللغة في آخر الأمر هي طاقة ذهنية يكشف عنها نسق الرموز التي بإمكان الشعوب، والمجتمعات التواصل بوساطتها[2]، وقد يبدو الحديث عن الهوية الثقافية، والترجمة حديثًا يحمل

1. عبد العزيز راغب شاهين، أنثروبولوجيا اللُّغة دراسة أنثروبولوجية في تحليل المضمون الثقافي للغة، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2017م، ص. 102 وما بعدها.

2. عبد الله حمادي، الترجمة في ظل العولمة، دراسة منشورة ضمن كتاب نُفاضة الجراب تأملات في الأدب والسياسة، منشورات

بعض دلائل التناقض؛ بيد أن النظرة المتأنية تكشف عن اتساق جوهري في هذه العلاقة بين الهوية الثقافية، والترجمة؛ فالترجمة في معناها البسيط نقل من ثقافة إلى ثقافة أخرى، ومن هوية ثقافية بعينها، إلى هوية ثقافية مختلفة، ومن جانب آخر؛ فالهوية الثقافية عبارة عن كيان معنوي متجانس، ومترابط في بنائه الداخلي، وتجلياته الخارجية، والترجمة قد تكون في بعض الأحيان مُكونًا من مكونات الهوية الثقافية لدى بعض الأمم، أو المجتمعات، كما تتراوح أهميتها بين ثقافة، وأخرى، بحسب درجة انفتاحها على العالم، ويمكن القول إن الترجمة عن اللُّغات الأخرى تثري الهوية الثقافية، وتُساهم في تقويتها، ولا تضعفها، أو تشوش خصائصها، كما لا تشدها إلى أغلال التبعية الثقافية كما يرى البعض، ويذهب إلى أنها تندرج تحت لواء الغزو الثقافي؛ إذ أن الترجمة عامل فاعل في إثراء الهوية الثقافية، ولكن نتائج عملية الترجمة ينبغي أن تمر بعمليات تنقية، وتصفية متعددة، وذلك انطلاقًا من مرحلة فعل الترجمة الفردي، ووصولًا إلى نتائجها التي تصب في المجرى الثقافي العام الذي يُشكل الهوية الثقافية، وإذا كان هناك قدر من الشك في أن الترجمة يُمكن أن تكون من عوامل التأثير السلبي على الهوية الثقافية؛ فإن التجارب التاريخية المعروفة عن تاريخ الترجمة وتأثيراتها في التراث الإنساني بشكل عام تؤكد أن الهوية الثقافية للحضارات التي مرت بتجارب مهمة، وواسعة النطاق في مجال الترجمة تبلورت بشكل أقوى، وأكثر وضوحًا من ذي قبل[1]، ومن بين الأمثلة التي كثيرًا ما يتم استحضارها في هذا الصدد أن الحضارة العربية الإسلامية أفادت كثيرًا من حركة الترجمة الهائلة التي واكبت بناء«الدولة والمجتمع، وجوانب البناء الحضاري الأخرى، في بلورة هويتها الثقافية منذ السنوات الباكرة في السنوات الباكرة في التاريخ الإسلامي؛ ذلك أن هذه الحضارة أفادت كثيرًا من عمليات الترجمة التي شكلت عوامل إضافة مهمة للهوية الثقافية؛ فقد ساعدت الترجمة المسلمين على الإفادة من تراث الحضارات السابقة؛ وهي الحضارات التي كانت تنتمي إليها الشعوب التي اعتنقت الإسلام دينًا، واتخذت العربية لغة»[2].

ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م، ص. 287.

1. قاسم عبده قاسم، الترجمة وسؤال الهُوية الثقافية، مجلة العربي، مجلة شهرية ثقافية تصدر عن وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد 620، شعبان 1431 هـ يوليو (تموز) 2010م، ص.26 وما بعدها.
2. قاسم عبده قاسم، الترجمة وسؤال الهُوية الثقافية، المرجع نفسه، ص.29.

ثانيًا: دور الترجمة في تحقيق التفاعل الحضاري-نماذج مشرقة من الأندلس

تحتل الأندلس العربية موقعًا متميزًا في العطاء الحضاري الإنساني، والعالمي، فمما لا يشوبه ريب، ولا يخامره شك أن دولة الإسلام في الأندلس قد أرست دعائم حضارة باذخة، تعايشت فيها الأجناس والأديان، وتثاقفت فيها اللغات، والثقافات، وانصهرت فيها الطاقات على تنوعها، فأثمرت مجتمعًا حيًا، متفاعلًا، مبدعًا تحققت للإنسان فيه، كإنسان كرامته، وكفلت له حريته، وحقوقه، وثمن سعيه، وعطاؤه، ولعل أبرز جوانب هذه الحضارة قيمة وإشراقا، ما يتعلق بمسألة التسامح الذي ساد الأندلس الإسلامية تُجاه النصارى، واليهود، الذين كانوا يُشكلون شريحة هامة من شرائح المجتمع الأندلسي، فقد عاش اليهودي، والنصراني إلى جنب المسلم، حياة ملؤها التآزر والتعاطف، والتراحم، والمُشاركة الفاعلة المثمرة، فقد هيأت الحضارة الأندلسية، منذ مراحلها الأولى، الإطار الأنسب للتفاعل الحضاري الإيجابي؛إذ اندمج اليهود والنصارى، في جو من الحرية، والسماحة، وتكافؤ الفُرص في المجتمع الأندلسي الجديد؛ يتعلمون، ويتثاقفون، ويُسهمون في البناء دون عائق، أو عقدة، وهو الأمر الذي جعل الكثيرين منهم يحظون بمكانة عالية، ويتقلدون مناصب عليا في الإدارة والسياسة، فقد عاش الذميون الأمن، والاستقرار في دولة الإسلام يتمتعون بحُرية العقيدة والتعبد منذ الفتح الإسلامي لإيبيرية، وقد مُورس الحوار بين مختلف عناصر الشعب الأندلسي طوال عصور المسلمين في الأندلس في أزمنة السلم وأزمنة الحرب، وبين المنتصرين، والمهزومين، ولعل حضارتنا وثقافتنا العربية الإسلامية في الأندلس هي الأعلى صوتا وفعلًا في رسالتها (الحوارية)، وعلى مدى قرون عديدة، حيث إن الفسحة الأندلسية، شكلت حيّزًا إنسانيا مُمتازًا للحوار، والتفاعل بين الأديان السماوية الثلاثة، وأكثر منها، فقد شهدت هذه الفسحة العصر الذهبي للثقافة العبرية التي اتخذ شعراؤها، وأدباؤها، وعلماؤها، ومفكروها العربية أداة تعبير، وتواصل وتفكير دوّنوا بها خير ما جادت به قرائحهم.بل إنَّ كثيرا من النّصارى، واليهود، والصقالبة،

احتلّوا مراكز سامية في الحكم، وتبوأوا مراتب مُمتازة في الحياة العامة، فكان منهم الوزراء، والشعراء، والشاعرات، والأطباء، وقد بدا الأندلسيون في الأعين منصفين بأمّ فضائل المدنية، فضيلة التسامح المطلق، والحوار، والتفاعل مع العناصر الأخرى إلى درجة أثارت إعجاب الأعداء قبل الأصدقاء على نحو ما ذهب إليه (غوستاف لوبون)[1]، وقد ذكرت الباحثة الكوبية (ماريا روزا مينوكال)، في كتابها الموسوم بـ : «الأندلس العربية:إسلام الحضارة وثقافة التسامح»، عدة نماذج من الحوار، والتسامح بين الأديان الثلاثة التي تعايشت في الأندلس، ومن التساكن الذي غلب على تجاور القيم الثقافية المُتنافرة، والمنتمية لشعوب، وجماعات إثنية متباينة. وبينت الإقبال الكبير الذي كان على الثقافة، واللغة العربيتين، من قبل الجماعات غير العربية، التي أتقنت اللغة العربية، ولبست اللباس العربي، وأقبلت على الفنون العربية من شعر، وغناء، ومعمار، وبستنة. وكان لهذا التأثر عدة نتائج على نهضة الفنون، والآداب بأوربا فيما بعد، ويُقدم عمل مينوكال «درسًا قويًا لمن يُحسن استخلاص الدروس، حول الدور الذي لعبته الترجمة في تمرير الثقافات، وسيرورات التملك المعرفي المنشئة لأسس التسامح، والحوار. وتتبع الكاتبة المصائر المتشعبة لعينات من الذخائر العربية المنقولة من قبل المعربين من اليهود، والمسيحيين اللاتينيين في لغات عالمية، ومحلية. فهي حركة غير معزولة عن مخاض تشكل، وتطور اللغات في أوروبا الوسيطية، وتدافعها، وتجددها المتصل المُفضي إلى العصر الحديث، وهو مسرح شاسع خشبته طليطلة، معهد الترجمة العالمي، وقبلة المنقبين عن كنوز العربية رمز عقلانية الفكر، وحداثته يومئذ، وأطرافه إشبيلية وغرناطة، وصقلية، ونورماندي، وباريس، فعلى هذا المسرح عبرت لغات، وتلاقحت، وسكبت تراث اليونان والعرب في أقداح بعضها البعض، في حمية تغذي وحدة أبناء إبراهيم، وتكرس التسامح الحضاري»[2]. وقد

1. إبراهيم القادري بوتشيش، المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس، نموذج من العطاء الحضاري الأندلسي، مجلة دراسات أندلسية، عدد:11، رجب 1414هـ/1994م، تونس، ص.22، وما بعدها، وينظر: بومدين كروم، ملامح الحوار الديني في الحضارة الأندلسية، أعمال الملتقى الدولي الحضارة الإسلامية بالأندلس، أيام:14، و15، و16 ربيع الأول 1428هـ/2، و3، و4 أفريل 2007م، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر، 2008م، ص. 21 وما بعدها، وينظر: سعد بوفلاقة، حوار الثقافات في الغرب الإسلامي، مجلة المنار الجديد، عدد مزدوج 32/31، صيف، خريف 2005م، القاهرة، مصر، ص.53 وما بعدها.

2. ماريا روزا مينوكال، الأندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح، ترجمة: عبد الحميد جحفة، ومصطفى جبّاري، منشورات دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2006م، ص.6 وما بعدها.

نبهت الباحثة مينوكال إلى المكانة المرموقة التي تمتعت بها اللغة العربية، وأشارت إلى دورها في إثراء التنوع الحضاري، إذ تقول: «كانت العربية لغة محترمة، تستعمل في الإمبراطورية كلها، وموصولة بباقي الحضارة. وعلى مرمى البصر، بل في ما وراء ذلك، كانت اللغة العربية اللغة المشتركة عالميًا، وفي كل مكان تقريبًا من شبه الجزيرة المفعمة بالحيوية، فرضت العربية نفسها بوصفها اللغة الدالة على الرفعة والسمو داخل الجماعات من الديانتين. ولم تترك الإدارة الإسلامية الجديدة اليهود والمسيحيين على قيد الحياة فحسب، بل إنها، في إطار تنفيذها لما ورد في القرآن، عملت عمومًا على حمايتهم؛ فعرفت الجماعتان، يهود الأندلس، ومسيحيوها، تعريبًا واسعًا بعد سنوات على وصول عبد الرحمن إلى قرطبة. وفي أواسط القرن التاسع، في أحد أشهر وثائق ذلك العصر، نجد بول ألفار القرطبي يشكو من عجز الشبان المنحدرين من الجماعات المسيحيين عن كتابة رسالة واحدة باللاتينية، في حين أنهم يكتبون قصائد بعربية فصحى تضاهي تلك التي يكتبها المسلمون»[1]، وقد شكلت اللغة العربية جسرًا من جسور التواصل الحضاري بين المسلمين، والمسيحيين، واليهود، وهذا ما نُلفيه في حديث بول ألفار القرطبي المسيحي من خلال كتابه: «الدليل المنير»، والذي أشار إلى أن المسيحيين يعشقون قراءة الأشعار، والقصائد العربية، يدْرسون الفقهاء، والفلاسفة العرب، لا من أجل الرد عليهم، أو مجادلتهم، وإنما من أجل اكتساب عربية جيدة، وأنيقة، وفي هذا الشأن أشارت الكاتبة إلى أن العرب قد حملوا إلى إسبانيا شيئًا لم تكن مملكة القوط تملكه في يوم من الأيام، وهي اللغة التي يُعبر بها الإنسان بأناقة عن كل حاجاته الأساسية، وقد كان اليهود يعشقون اللغة العربية؛ حيث تشير في هذا الشأن إلى أن «التعلق الذي كانت تحس به العشيرة اليهودية إزاء العربية، وهي العشيرة الآمنة والنافذة، لم يثر أي رد فعل مماثل لرد فعل بول ألفار القرطبي، ذلك أن الجماعات اليهودية عرفت المنفى منذ الأزل تقريبًا، وكانوا يعرفون التكلم منذ أمد بعيد بلغة الآخرين دون أن يتنكروا لعقيدتهم اليهودية.بل أكثر من هذا، لقد طور قرن من الهيمنة الأموية الوضع الاجتماعي والحياة اليومية لليهود بصورة واضحة.فالجماعة التي كانت حتى هذا الحين تعيش في الفقر المدقع

1. ماريا روزا مينوكال، الأندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح، ص.30 وما بعدها.

والعبودية أصبحت ترتقي بسرعة في السلم الاجتماعي، إلى درجة أن يهوديًا سيصير يومًا الوزير الأكبر لخليفة أموي»[1]، كما اهتمت الباحثة مينوكال بالدور الكبير الذي لعبته الترجمة في نقل العلوم، والمعارف من الأندلس، ومن قرطبة تحديدًا إلى أوروبا، وهذا ما أثر أيما تأثير في الحياة الفكرية، والعلمية لأوروبا ككل، فقد اتسع مشروع الترجمة أيما اتساع، وتمت ترجمة آلاف الكتب من العربية إلى اللاتينية، وهذا ما مكن مختلف المسيحيين من الإطلاع على عدد كبير من المصادر، وتشير المؤلفة إلى أن الكتب التي ترجمت يصعب تخيلها، وهي مصادر تعد غاية في الأهمية، ومن الكتب النفيسة مثل الأعمال الكاملة لأرسطو، وهي غنية بشروح ضافية لكتاب مسلمين، ويهود، ومثل مصادر أخرى قديمة، ومعاصرة، وتشير مينوكال إلى أنه بإمكان الباحث أن يذهب إلى مدينة (طليطلة) في بداية القرن الثالث عشر، ويجد بها إضافة إلى كثرة المترجمين الموهوبين، ثقافة ترجمة برمتها، وقد قدمت مثالًا بمكاييل سكوت الذي حلّ بطليطلة بغرض تعلم اللغة العربية، ودراسة أسرار الترجمة المزدوجة، أو المتحدة، وكانت الطريقة المتداولة في غالب الأحيان، أن يترجم يهودي في البدء النص العربي إلى لغة محلية مشتركة هي القشتالية، ثم يأخذ المسيحي تلك الصيغة، ويُترجمها إلى اللاتينية، ولم يقتصر المترجمون الآتون من مدرسة طليطلة على ترجمة نصوص مفردة، بل إنهم يترجمون الثقافة كلية، وكان المترجمون المسيحيون يُحسون تدريجيًا أن الأعمال التي يشتغلون عليها، إنما هي ترجمات إلى العربية من نصوص إغريقية، تعبق بالثقافة الأندلسية، وتؤكد المؤلفة على أن الترجمة قد لعبت دورًا كبيرًا خلال القرون التي كان فيها المسلمون يعتبرون العلوم العقلية، والفلسفة عنصرًا ضروريًا لمكانتهم، هذه الثقافة القائمة على الترجمة، المتسامحة بالضرورة، هي التي أسرت الآن المسيحية اللاتينية، وانتقلت بفضلها العلوم من قرطبة إلى سائر الأقطار الأوروبية، وأثرت على الصعيد العالمي ككل، وتؤكد أن مشروع الترجمة كان أكثر من مجرد ملائمة آلية بين الشرق والغرب، سواء من حيث نتائجه المباشرة أو البعيدة المدى، وفيما يتعلق بما تمت ترجمته فالكاتبة تشير إلى أن الأمر لم يكن يتعلق بمجرد ترجمات من العربية، لقد كانت هناك نصوص تستلهم دعائم ثقافة

1. المرجع نفسه، ص. 60.

لتجعلها تدخل ثقافة أخرى، وهكذا فقد حُررت دراسات عن تاريخ العالم، وعن مجاميع القوانين، وأبحاث علمية أغنت التراث القديم، بالإضافة إلى أنه كانت هناك مؤلفات لم يُسبق ترجمتها من قبل إلى اللاتينية، لعدم الاهتمام بها، فوجدت اهتمامًا كبيرًا بها، وانتشرت الكلاسيكيات التخيلية الأولى، ولقيت أصداء طيبة، وقبولًا واسعًا.

لقد أضحت الثقافة الإسلامية منتشرة في شتى أصقاع أوروبا في القرن الثالث عشر الميلادي، نظرًا لثلاثة عوامل رئيسة:أولها معرفة الأوروبيين للغة العربية، فهي لغة المعارف الإسلامية، والدين الإسلامي، وثانيها الاتصال الفلسفي بين أوروبا، والأمم الإسلامية، وثالثها معرفة الأوروبيين للعلوم الدينية الإسلامية، فاللغة العربية ساعد انتشارها على ربط الاتصال بين المسيحية، والإسلام، حيث نلفي الإسبانيين جيران المسلمين في الغرب، يتخذون كُتّابًا من العرب يكتبون عنهم بالعربية إلى المسلمين في الأندلس، والمغرب، إضافة إلى أن الاتصال الحربي دفع إلى تعلم اللغة العربية، لاقتباس المعارف الإسلامية، ولمُحاربة الإسلام، والتبشير بالمسيحية، فعلى سبيل المثال ريموند لول الإسباني كان يُحسن اللغة العربية، وأسس سنة:1276م كلية للرهبان في (ميرامار) لدراسة اللغة العربية، كما أسست أول مدرسة عرفتها أوروبا في (طليطلة) على يد المبشرين، وفيها كانت تُعلم العربية، فانتشار اللغة العربية ساعد على معرفة الأوروبيين للعلوم الدينية، ففي منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، تُرجم القرآن الكريم إلى اللاتينية، وذلك رغبة في نقده، ومناقشته، كان ذلك سنة 1143م، وريموند لول تأثر تأثرًا كبيرًا بالمصادر الإسلامية، وكذلك رايمون مارتان تأثر بكتابات المسلمين، ففي كتابه: «الدفاع عن الإيمان»، يبدو متأثرًا، وإلى حد كبير بكتاب: «تهافت الفلاسفة» للغزالي[1]، كما انتقلت المؤثرات الحضارية العربيَّة الإسلامية من الأندلس إلى أوروبا، عن طريق طلاب العلم الذين وفدوا إلى الأندلس، وقد أسهم في تلقي العلوم العربية، أنهم كانوا يأخذون عن المستعربين الأندلسيين، الذين كانوا على معرفة باللغة العربية، ومن بين هؤلاء الراهب جيربرت دي أورياك،

1. محمد الصمدي، تأثير الإسلام في التفكير الديني المسيحي خلال العصور الوسطى، دراسة منشورة ضمن كتاب: الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، تنسيق: محمد حمام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المغرب الأقصى، ط 1، 1995م، ص.204 وما بعدها.

الذي اعتلى فيما بعد كُرسي البابوية، وبيدرو الفونسو القطالوني، وقد أسهمت مدرسة الترجمة في (طُليطلة) بنقل الثقافة العربية الإسلامية بكل ما احتوته من عناصر معارف اليونان القديمة إلى أوروبا، بالإضافة إلى ما أبدعه العرب في حقول العلم، والمعرفة، وقد اشتهر على صعيد نشاط هذه المدرسة (غوندیسا لفو) أحد كبار اللاهوتيين في كاتدرائية طليطلة في الفترة مابين 1120و1170م، فقد قام بنقل كثير من المعارف الفلسفية إلى أوروبا، وكانت الترجمة من العربية إلى اللاتينية، تتم عن طريق الواسطة، بحيث تجري الترجمة الشفوية إلى الاسبانية الدارجة، ومن ثم يُترجم الكلام إلى اللاتينية، ويُسجل[1]، ومما يدل أيضًا على عناية الأوروبيين بكتب المسلمين أن كُتب (محيي الدين بن عربي) كانت حاضرة في بلاد اليمن، والروم، وقد ذاع صيتها بشكل عظيم، وكان المؤلفون الأندلسيون يعتمدون في مؤلفاتهم في كثير من الأحيان، على كتب الأوربيين، ومن ذلك لسان الدين بن الخطيب، عندما رغب في التعريف ببعض ملوك النصارى، وكذلك اعتمد أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي ابن جلجل في كتابه: «طبقات الأطباء والحكماء»، على بعض الكتب الأوروبية، مثل كتاب: هروشيوش، وكتاب ايسدور الاشبيلي، ومن جهة أخرى اعتمد الباحثون الأوروبيون على المصادر الأندلسية في مؤلفاتهم، فقد اعتمد ألفونسو العاشر الحكيم في كتابه: «التاريخ العام» على مصادر عربية، مثل كتاب: آداب الفلاسفة، لحنين بن اسحاق، وكتاب «المسالك والممالك» لأبي عبيد البكري، وكتاب إبراهيم بن ناصف شاه المصري عن تاريخ مصر[2]، وفي زمن ألفونسو العاشر المعروف بالحكيم، أو العالم ملك قشتالة (1252–1284م)، شهدت الترجمة من العربية نشاطًا واسعًا، حيث ترجمت كليلة ودمنة سنة:1251م، والسندباد سنة 1253م، وقد اقترن نشاط الترجمة بتأليف معاجم لغوية عربية أوروبية، من بينها ورقة مازالت موجودة في المكتبة الوطنية بمدريد من معجم عربي ألماني مؤرخة في شوال 906هـ/ أيار1501م، وقد اقتضت الأنشطة الثقافية، والعلمية المختلفة تعلم لغات الأوروبيين،

1. علي أحمد، المؤثرات الحضارية العربية الأندلسية والمغربية في الغرب الأوروبي وكيفية انتقالها خلال العصور الوسطى، دراسة منشورة ضمن كتاب: الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، ص.213، وما بعدها.
2. صلاح جرار، زمان الوصل: دراسات في التفاعل الحضاري والثقافي في الأندلس، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2004م، ص.45 وما بعدها.

وأن يتعلم الأوروبيون اللغة العربية، فقد كانت هناك ازدواجية لغوية داخل المجتمع الأندلسي، نظرًا للتعايش، والامتزاج الثقافي بين عناصر المجتمع الأندلسي من الإسبان، والعرب، وغيرهم، حيث عرفوا لغات بعضهم، وقد كان كثير من الأندلسيين الذين طافوا ببلاد أوروبا طلبًا للعلم يعرفون لغات كثيرة، وكان الصقالبة في الأندلس يعرفون العربية، وبعضهم كان يكتب، ويؤلف بها، فقد ألف حبيب الصقلبي كتابًا سماه: «الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضل الصقالبة»، وفي رحلة ابن جبير ذكر أن ملك صقلية كان يتحدث اللغة العربية، ويعرفها[1]. لقد كانت اللغة العربية، بوصفها لغة العلم، والمعرفة، والثقافة، والأدب، تحتل مكانة متميزة، وهي في طليعة اللغات في ذلك الزمن، مما دفع بغير أصحابها إلى تعلمها، والتمكن منها، وإجادتها، فبالنسبة إلى النصارى، فليس يُلفي الباحث شاهدًا دالًا على ما كان من حرصهم، و دأبهم على تعلم اللغة العربية أقوى من صيحة الاحتجاج التي رفع بها القسيس القرطبي (ألقرو) عقيرته مُستنكرًا على أبناء جلدته النصارى إفراطهم في حُب اللغة العربية، والشغف بأدبها، وجمع كُتبها، فيقول: «يا للحسرة، إن الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم إلا لغة العرب وآدابها، ويؤمنون بها، ويُقبلون عليها في فنهم، وهم يُنفقون أموالًا طائلة في جمع كُتُبها، يا للألم، لقد أنسي النصارى حتى لغتهم، فأما عن الكتابة في لغة العرب، فإنك واجدٌ فيهم عددًا عظيمًا يُجيدونها في أسلوب مُنمق...»[2]. لقد كان المجتمع الأندلسي مؤلّفا من عناصر بشرية شتى، وهم : العرب، والبربر، والنصارى، واليهود، والصقالبة، والغجر...، وغيرهم، وقد أدى هذا التلاحم في الحوار، والوئام إلى نقل الثقافة، والحضارة الأندلسية إلى الغرب المسيحي، فقد كان النصارى إبان الفتح الإسلامي يؤلفون أغلب سكان إسبانية، وكانوا على جانب من الانتظام أكثر مما كانوا عليه في بقعة إسلامية أخرى، وقد جرى بينهم، وبين الفاتحين من الاختلاط، والتأثير المتبادل الطويل ما لم يجر مثله في أي صقع إسلامي آخر. وقد أظهر الإسلام تجاههم كثيرا من التسامح على خلاف ما عاملوا به

1. صلاح جرار، زمان الوصل: دراسات في التفاعل الحضاري والثقافي في الأندلس، ص.46 وما بعدها.
2. تاريخ الفكر الأندلسي، ص.48، نقلا عن حسن الوراكلي، ياقوتة الأندلس-دراسات في التراث الأندلسي-، منشورات دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م، ص. 20.

العرب الفاتحين عندما زال سلطان الإسلام من تلك البلاد[1]، وتكثر الأدلة على التسامح العظيم الذي أبداه المسلمون نحو نصارى الأندلس، فقد تركوا لهم حرية العقيدة، والتعبد منذ الفتح الإسلامي، وظل العهد الذي أخذه عبد العزيز بن موسى بن نصير على نفسه قبلهم من حرية العبادة والحفاظ على معابدهم، قائما طوال عصور المسلمين في الأندلس، فقد كانوا يرحمون الضعفاء، ويرفقون بالمغلوبين، ويقفون عند شروطهم معهم، وما إلي ذلك من الخلال التي اقتبستها الأمم النصرانية بأوربة مؤخّرًا[2]، ومن مظاهر هذا التسامح، والوئام بين العناصر، والأديان في الأندلس، وهو يدعو إلى الإعجاب، المثال الذي يقدّمُه (أولاغي) المؤرخ الإسباني من قرطبة، فيقول: «فخلال النصف الأول من القرن التاسع كانت أقلية مسيحية مهمة تعيش في قرطبة، وتُمارس عبادتها بحرية كاملة[3]، فلقد بهرت الثقافة الإسلامية جماعة المسيحيين، الذين عاشوا في كنف المسلمين، فقلدوهم في كثير من مظاهر ثقافتهم، فاتخذوا أزياءهم، ولغتهم، ونمط حياتهم في كثير من الأحيان، برغم احتفاظهم بدينهم، وقد برز من شعراء النصرانية بالعربية في الأندلس (ابن المِرْعِزَّى الإشبيلي) شاعر المعتمد بن عبّاد، ومن أثر الثقافة الإسلامية في النصارى أيضًا أن بطره الأول ملك أرغونة)ت499هـ1104-م(كان لا يعرف الكتابة إلا باللغة العربية، وكذلك فقد كان العنصر اليهودي كبيرا في الأندلس، وقد استقبل اليهود الفاتحين المسلمين كمحرّرين، لأنَّ القوط كانوا يسومون اليهود أنواع العذاب، فكان ملوكُهم يعاملونهم نفس السوء الذي يعاملُهم به أهل سائر البلدان النصرانية في أوربة، بل إنَّ العامة كانت تعاملهم بمنتهى القسوة، وكان القائمون على الكنيسة وحُكام الدّولة ينهبون ويتلقون أموالهم بلا حياء ولا رحمة. ولهذا فقد كان إحساسُ اليهود صادقًا عندما توقَّعُوا خيرًا على أيدي المسلمين الفاتحين، فَقَدَّمُوا لهم المساعدة،

1. جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1966م، ص.41.

2. غوساف لوبون، حضارة العرب، ص. 342. وانظر أيضاً: حسن أحمد النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي، ص. 40، دار الجيل، بيروت، ونصر الدين البحرة، العرب لم يغزوا الأندلس، مقال منشور في مجلة: التراث العربي التي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد: 69، جمادى الأخير 1418هـ/أكتوبر 1997 م، ص.22. نقلًا عن سعد بوفلاقة، حوار الثقافات في الغرب الإسلامي، مجلة المنار الجديد، عدد مزدوج 32/31، صيف، خريف 2005م، القاهرة، مصر، ص.56 وما بعدها.

3. نقلًا عن: سعد بوفلاقة، حوار الثقافات في الغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص.56 وما بعدها.

وقد كان تأثيرُ الثقافة العربية الإسلامية في اليهود واضحا وجليا[1]، وقد لعبوا دورًا مهمًا في الأحوال السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، والثقافية، حيث تَمتَّع كثير منهم بالجـاه والمناصب السامية، وقد تولَّى ثلاثة من اليهـود الوزارة في الأندلس على الأقـل، ولعلَّ أوَّلهم الوزير الشاعر الكاتب (حسداي بن يوسف بن حسداي)، وكان وزيرًا للمستعين أحد الملوك الأمويين الذين عاشوا زمن الفتنة، وقد تولَّى المستعين إمرة الخلافة مرتين خلال سنتي(400) و(407)هـ، وقد لقّب حسداي نفسه بأبي الفضل بعد أن صار وزيرًا، وله شعر جميل يذهب في بعضه إلى الصورة الزاهية، ويعمد في البعض الآخر إلى الصنعة البديعية الغالية ... والوزيـر اليهـودي الثـاني الذي تـولى الوزارة في الأنـدلس هو (ابن نَغْرَالَّة) وذكره المقري تحت اسم نغدَلَّة، والاسم الأول، هو الأصوب، تـولّى (ابن نَغْرَالة) الوزارة في غرناطة (لباديس بن حـبـوس)، الذي ولي أمـرها سنة (429 هـ) بعد أبيه[2]. ومن بين الفلاسفة، والعلماء، الذين أسهموا في التنوع الحضاري، والثقافي بالأندلس ابن باجة)ت533هـ-1138م(، ففي عصر المرابطين كان الفيلسوف ابن باجة الذي افتتح عهدًا جديدًا في الفلسفة لما بني التفكير الفلسفي على الرياضيات، والطبيعيات، ثم فصل البحث في الدين عن البحث في الفلسفة، وكان لابن باجة أثر كبير في الفكر الغربي، بعد نقل كتابه:)تدبير المتوحد(إلى اللغة العبرية، واللاتينية، وكان لهذا الكتاب أثر بالغ في ألبرت الكبير، وفي التفكير الأوروبي من خلال فلسفة ألبرت الكبير، فابن باجة يعد رأس الفلاسفة العقليين في العصور الوسطى، وكذلك الشأن بالنسبة إلى ابن رشد، الفيلسوف صاحب الرؤى الثاقبة، والعميقة، فليس في تاريخ الفكر الإنساني مفكر ترك على التفكير الغربي (الأوروبي) أثرا مثل أثر ابن رشد، فحسبك أن تعرف أن الفكر الأوروبي قد خضع لأثر فلسفة ابن رشد أربعة قرون كاملة متوالية: كان الفكر الأوروبي قرنين كاملين يذهب مذهب ابن رشد، ثم جاء قرنان كاملان أيضًا

1. غوساف لوبون، حضارة العرب، ص. 342. وانظر أيضاً: حسن أحمد النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي، ص.40، دار الجيل، بيروت، ونصر الدين البحرة، العرب لم يغزوا الأندلس، مقال منشور في مجلة: التراث العربي التي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد: 69، جمادى الأخير 1418هـ/أكتوبر 1997 م، ص. 22. نقلًا عن: سعد بوفلاقة، حوار الثقافات في الغرب الإسلامي، مجلة المنار الجديد، عدد مزدوج 32/31، صيف، خريف 2005م، القاهرة، مصر، ص.56 وما بعدها.

2. سعد بوفلاقة، حوار الثقافات في الغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص.58.

نصبت الكنيسة الكاثوليكية في أثنائهما لابن رشد عداء شديدا، ومع ذلك فإننا نتبين في الفكر الأوروبي إلى اليوم ملامح من فلسفة ابن رشد، وإن كان هؤلاء المفكرون لا يقولون إنهم أخذوا من ابن رشد، فقد كان ابن رشد يرى أن الفلسفة شيء، وأن الدين شيء آخر. ولو كان الدين هو الفلسفة، لما كان لهما اسمان، ولكان لهم اسم واحد، غير أن ابن رشد قال إن المرء محتاج إلى الدين (وهو السلوك العملي في الحياة الدنيا ليعيش الفرد والمجتمع سعيدين نافعين)، ثم هو محتاج أيضا إلى الفلسفة (وهي التفكير النظري في المدارك العامة). وبينما نجد الدين – كما يقول ابن رشد أيضا – فرضا على جميع الناس، نجد الفلسفة خاصة بطبقة من الناس بلغ أفرادها من الاستعداد العقلي مبلغا يُمكنهم من البحث النظري من غير أن يُضر بحياتهم العملية. هذا الأخذ الكامل بما يوحيه الدين إلى جانب الأخذ المتفاوت من الفلسفة (بالمقدار الذي يحتاج إليه كل فرد بحسب استعداده العقلي)، قد سماه ابن رشد: «الجمع بين الحكمة» (الفلسفة)، والشريعة (الدين). ثم جاء نفر من الغربيين، ومن العرب أيضا فسموا هذا «الجمع» توفيقا، تسمية خاطئة[1]. وقد كان ابن طفيل من جبابرة الفكر في العصور الوسطى (في الشرق وفي الغرب، وفي الإسلام، وفي النصرانية). وقد ترك الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا منه، وهو قصة (حي بن يقظان)، أثرا بالغًا في الفكر الإسلامي، وفي الفكر المسيحي، و لقد نقلت (قصة حي بن يقظان)، على أنها قصة بارعة إلى عدد من اللغات، ثم قلدها نفر من مشاهير رجال العلم، والأدب. وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى كتاب: (إميل للكاتب الفرنسي جان جاك روسو)، وإلى قصة (روبنص كروزو للكاتب الإنكليزي دانيال ديفو)[2].

إن الأرضية الأولى التي مهّدت لظهور مدرسة طليطلة كانت عربية محضة؛ فقد عمل خلفاء بني أمية، وخاصة عبد الرحمان الناصر، والحكم المستنصر في القرن الرابع الهجري، والعاشر الميلادي، على جلب أمهّات الكتب العلميّة، والفلسفية من أماكن شتى، ولاسيما من بغداد، والقسطنطينية، فتكونت في قرطبة مكتبة من أغنى

1. عمر فروخ، الغرب المسلم في إطار التاريخ الإنساني، دراسة منشورة في مجلة المناهل المغربية، العدد 31، ربيع الثاني، 1405 هـ ص.44 وما بعدها، وص.47. وسعد بوفلاقة، حوار الثقافات في الغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص.60.
2. عمر فروخ، الغرب المسلم في إطار التاريخ الإنساني، ص.47، ود. سعد بوفلاقة، حوار الثقافات في الغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص.61.

المكتبات في كامل أوروبا، ولم تكن هذه المكتبة، وغيرها حكرًا على المسلمين، فقد كان للكثير من اليهود والمستعربين من نصارى الأندلس الحق في الإفادة منها، وفي المرحلة الأولى من تأسيس مدرسة الترجمة بطليطلة، ظهرت الترجمات الأولى التي أُطلق عليها الترجمات الطليطلية الأولى، وهي الترجمات التي نهض بها ابن داوود اليهودي، المعروف بيحيي الاشبيلي، وتنطلق المرحلة الثانية بمجيئ الإيطالي جيرارد الكريموني إلى طليطلة، وهو واحد من أشهر المترجمين في هذه المدرسة، فقد ترجم ما يزيد عن ستين كتابًا ترجمة موفقة[1].

خاتمة

إن دراسة وتقييم ظاهرة التواشج بين حركة الترجمة، وتحقيق الإقلاع الحضاري؛ ما تزال بحاجة إلى دراسات أخرى متتالية، وهي تستحق الأبحاث تلو الأبحاث؛ فلا يُمكن التغاضي عن الدور الكبير الذي تنهض به الترجمة في ترسيخ قيم التفاهم، والتقارب بين شتى الأمم، والحضارات، والثقافات، ففكرة الحوار بين الثقافات وتأثير الحضارات فيما بينها، لم تبن من فراغ، ولم تنطلق من العدم، ولم تكن أبدًا-ولن تكون-ضربًا من الاعتباط الفكري، والإغراءات الانفعالية، وإنما هي نتيجة حتمية، ومُباشرة، لجُملة من العوامل الموضوعية، التي نلفي في مقدمتها ازدهار الترجمة؛كونها تؤثر تأثيرًا عميقًا جدًا في خلق تعددية ثقافية، وتفاعل حضاري؛فهي بأبسط تعريف تنهض بدور تبادل المعارف بين الشعوب؛أي نقل ثقافة شعب من الشعوب، إلى ثقافة أمة أخرى، ومن خلال ذلك النقل يقع الانفتاح، والتأثير في الإنتاج الفكري، والعلمي، وهذا من شأنه أن يُحدث التلاقح، الذي يُفضي إلى التفاعل، ومدى قبول ثقافة أمة من الأمم، يكمن فيما تتضمنه تلك الثقافة من قيّم، وقضايا إنسانية، ومما لا يخامره أدنى شك أن فكرة التعددية الثقافية، لا تؤدي بالضرورة إلى الهيمنة، والعداوة، بل تؤدي إلى المشاركة، وتجاوز الحدود، وإلى التواريخ المشتركة والمتقاطعة، على حد تعبير المفكر (إدوارد سعيد)، في كتابه: (الثقافة والإمبريالية)، وقد يؤدي

1. جمعة شيخة، دور مدرسة التّرجمة بطليطلة في نقل العلوم العربيّة وبالتّالي في نهضة أوروبا، مجلة دراسات أندلسية، عدد 11، رجب 1414هـ/1994م، تونس، ص.38 وما بعدها.

zzzzzzzz

نقل الثقافة إلى تشكيل إرث ثقافي مشترك بين الشعوب، يخلق التلاحم، والتضامن والتواؤم؛ فالأفكار النيّرة هي تراث فكري إنساني تشترك فيه جميع الحضارات، وليس خاصًا بثقافة مُحددة، والتراث المشترك يتحقق من خلال الترجمة؛ فالحضارة قديمًا وحديثًا هي صرح مشترك شيّدته الإنسانية جمعاء، مع الإقرار بأن كلّ أمة راقية، ومتطورة تقوم بإضافة لبنة جديدة تؤدي إلى الاستقامة، وتحقيق حالة زمنية من القوة، والشموخ.

ومن المُسلم به أن الترجمة تعد ركيزة أساسة، وشرطًا رئيسًا من شروط النهضة، والتقدم، والارتقاء. لذلك نرى جملة من المفكرين والعلماء يقرنون النهضات العلمية العظيمة للأمم المختلفة في شتى المجالات، بمدى إسهاماتها في ترجمة مختلف العلوم، والآداب، والفنون، نظرًا للأهمية الكبيرة التي تُمثلها الترجمة، والدور البارز الذي تلعبه في التنمية البشرية، فالترجمة هي البنية القاعدية للأمم الراغبة في الإقلاع الحضاري، وفي عصرنا الراهن ما فتئت دائرة الاهتمام بحوار الثقافات، والحضارات تتسع وتتصاعد يومًا بعد يوم، حتى أضحى هذا الموضوع في الحقبة التاريخية الحالية هاجسًا إنسانيًا مشتركًا ومطلبًا عالميًا مُلحًا، لا يُمكن الحياد عن تداوله وتناوله والانخراط فيه، ومناقشة قضاياه وأبعاده، فقد تصدر سُلّم الأولويات، وتجاوز كل الحدود الجغرافية، و الفوارق المذهبية والاختلافات العقائدية، والعرقية، وأدرج ضمن أولويات المشاريع العالمية، ولا غرو أن إعلان الأمم المتحدة، ومنظمة اليونسكو تحديدًا أن تكون السنة الأولى من الألفية الثالثة سنة حوار الثقافات قد قدم الدليل الواضح على أهمية القضية، وحساسيتها، وأولويتها في أجندة اهتمامات المجتمع الدولي، وهذا ما يُلقي على الباحثين والكتّاب مسؤولية الكشف عن دور الترجمة في تحقيق التفاعل بين الثقافات، والحوار العميق بين الحضارات؛ عن طريق تركيز الاهتمام على العوامل التي جمعت بين الشعوب، ووحدت أهدافهم، ورؤاهم، ويدفعهم إلى التنقيب عن الأسس، والمرتكزات التي أفرزت قاعدة صلبة لحوار الحضارات، والثقافات عبر مراحل التاريخ، ولاسيما في ظل التحولات التي وقعت في العالم في السنوات الأخيرة، حيث احتد النقاش والجدل، وكثرت التساؤلات

على المستوى العالمي، وفي أوساط النخب، وداخل مؤسسات البحث، والتكوين عن القيّم التي ينبغي التركيز عليها، وترسيخها، والدفاع عنها في إطار ما أصبح يُصطلح عليه بزمن العولمة.

دراسات

دراسات

تنمية المعجم اللغوي وتعزيزه لدى الطفل في المرحلتين المدرسيّتين الأولى والثانية
دراسة تطبيقية

د. أحمد حاجي صَفَر[1]*

Abstract

A child's acquisition of the linguistic lexicon begins with their awareness of the world around them. It is the ideal tool for interacting with their surroundings using naming, depiction, and identification. However, a child's linguistic acquisition, like any cognitive acquisition, requires reinforcement and development. This occurs in one of two ways: "self-learning," or automatic development, and "education," or what they receive from their surrounding environment (home, street, school, etc.).

School plays a pivotal role in developing and enhancing a child's linguistic lexicon through activities, exercises, and lessons. This role, its scope, and dimensions can only be determined through applied field studies that adopt both quantitative and qualitative approaches. Accordingly, this study was conducted to serve as an additional scientific document in this field.

In this research, we first address the basic concepts related to its topic (A), followed by the second chapter, which presents the aspects and manifestations of lexical development (B).

1. * قسم اللغة العربية-كلية الآداب والعلوم (جامعة قطر).

المقدمة

يبدأ اكتسابُ الطفلِ المعجمَ اللغوي مع انطلاق وعيه بالعالم المحيط به؛ فهو الأداة الأمثل ليتفاعل مع محيطه مستخدمًا التسمية والتصوير والتحديد. لكنّ الاكتساب اللغوي لدى الطفل، حاله حال أي اكتساب معرفي، يحتاج إلى تعزيز وتنمية؛ ويجري ذلك بإحدى طريقين: «التعلم الذاتي» أو التنمية الآلية، و«التعليم» أو الذي يتلقاه من البيئة المحيطة به (المنزل، الشارع، المدرسة، وغيرها).

وللمدرسة دور مفصليّ في تنمية معجم الطفل اللغوي وتعزيزه من خلال الأنشطة والتدريبات والدروس. ولا يمكن تحديد هذا الدور ومداه وأبعاده إلا من خلال إجراء دراسات ميدانية تطبيقية تعتمد المنهجين الكمّي والكيفي؛ وبناء عليه أجريت هذه الدراسة لتكون وثيقة علمية إضافية في هذا المجال.

نتناول في هذا البحث بدايةً المفاهيم الأساسية المتعلقة بموضوعه (أ)، ومن ثم نعرِضُ في الفصل الثاني لمظاهر التطور المعجمي وتجلّياته (ب).

إشكالية البحث

إذا كان الطفل يكتسب معجمه الأول من المحيط الأُسريّ الذي يتحدث باللغة العامية، فهل تنمي المدرسة هذا المعجم وتعززه، أم ترفده بمعجم جديد؟ وإذا كانت التنمية هي الطريق الذي يسلكه، فهل تقوم التنمية على تقويم المعجم البدائي للطفل أم تقوم على استبداله؟

أهداف البحث:

1- استكشاف أهم وسائل تنمية المعجم لدى الطفل وتعزيزه.

2- التعرف على أهم المفردات المعجمية التي يستخدمها الأطفال.

3- تعرف الألفاظ المعجمية التي يكتسبها الطفل من خلال القراءة والكتابة.

4- تعرف الألفاظ المعجمية التي يلتقطها الطفل من المعلم وزملائه التلاميذ.

5- تصميم نموذج للمفردات التي اكتسبها الطفل خلال مرحلة البحث.

الفرضيات:

1- يُتوقّع أنّ الطفل يكتسب ألفاظًا جديدة خلال مرحلة البحث.

2- يُتوقّع أنّ الطفل يطوِّر ألفاظه المكتسبة سابقًا خلال مرحلة البحث.

مصطلحات البحث

1- مفهوم التنمية اللغوية:

أولًا - التنمية اللغوية نظريًّا هي «رفع مستوى أداء الطلاب في مواقف تعليمية/تعلمية مختلفة، وتتحدد التنمية على سبيل المثال بزيادة متوسط الدرجات التي يحصلون عليها بعد تدريبهم على برنامج محدد»[1]، والغاية منها «إحداث تغييرات محددة منشودة بعد رصد دقيق للواقع؛ لجعل الاستخدام اللغوي في الاتجاه المنشود، وتكوين السلوك اللغوي الصحيح»[2]. يتسم المفهوم إذن بطابع قياسي، مما يعني إمكان التفاوت والتفاضل فيه، كذلك فهو ذو طابع إجرائي لإحراز تغيير نحو الأحسن والأصح على صعيد السلوك اللغوي.

يربط آخرون التنمية اللغوية عند الطفل بالحاجة الاجتماعية؛ أي إثبات الذات ضمن المجتمع بوساطة التواصل، فهي إذن «اكتسابه المقدرةَ على الاتصال بالآخرين؛ وهو ما يمثل حجر الأساس لعملية التعليم».[3] تقوم هذه النظرية على فرضية أن اكتساب الطفل في المراحل الدراسية الأولى أي في سنّ 5-7 سنوات للمعجم اللغوي أسرع منه في المراحل العمرية الأخرى بُغيةَ بناء معجم لغوي غني بالمفردات الأساسية التي تعينُه على التواصل مع الآخرين.

ثانيًا - التنمية اللغوية إجرائيًّا: إنّها دراسة ارتقاء مستوى التلاميذ اللغوي والمعجمي، ومحاولة إكسابهم المهارات اللغوية المعجمية، لتحسين أدائهم القرائي، والكتابي، وتقليل أخطائهم بشكلٍ ملحوظ.

1. **شحاتة، حسن، والنجار، زينب (2003)**، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، **ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص. 157.**
2. **حجازي، محمود فهمي (1998)**، اللغة العربية في العصر الحديث: قضايا ومشكلات، **دار قباء، القاهرة، ص. 114.**
3. **أبو الروس، أيمن (1995)**، سنة أولى مدرسة: كيف تعد طفلك للالتحاق بالمدرسة، **ط1، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ص. 20.**

2- مفهوم المعجم اللغوي:

أولًا - المعجم اللغوي نظريًّا : ليس المعجم اللغوي مجرد كتاب ينظم الحصيلة اللغوية وفق الجذور، أو السوق، أو الصيغ، أو المشتقات، بل هو حصيلة التجربة الإنسانية من خلال علاقة الإنسان بالكون. بناء على ذلك يتجاوز مفهوم المعجم الحصيلة المفرداتية لدى الطفل، حيث إنّ التجربة الحياتية المحفوظة بشكل مخزون لفظي في ذهن الطفل تمثل معجمًا في حد ذاتها.[1]

ثانيًا - المعجم اللغوي إجرائيًّا: هو الحصيلة اللغوية التي تتكون في ذهن الطفل منذ ولادته، وتنمو من خلال اكتسابه ألفاظًا من محيطه اللغوي بوساطة المراقبة والتعلم.

أ. اكتساب المعجم وتنميته لدى الطفل: المقدمات النظرية

أولًا- المهارات اللغوية، اكتسابها وتنميتها

اللغة في بعض التصوّرات السلوكية عادةٌ من العادات، لا يمكن اكتسابها إلا بالاحتكاك بمحيط لغوي ما، وبالتدريس المنظم، وتتعزّز بالممارسة المستمرة؛ ولذلك فإن اكتساب اللغة لا يبعد كثيرًا عن اكتساب أي عادة أخرى. هذا المفهوم الحديث للغة تيار كان سائدًا في مطلع القرن العشرين، ينظر إلى اللغة بوصفها كتلةً من المعلومات والحقائق التي يتوجب على المعلم أن يزرعها في ذهن المتعلم، ومِن ثمَّ يكون دور المتعلم هنا الحفظ والاستظهار، وتمكنه من اللغة يكون على قدر حفظه لها. ولكنْ، هناك علماء ودارسون يرون غير ذلك. فمنهم من يدافع عن فكرة أن تعلم اللغة يختلف كل الاختلاف عن تعلم العلوم والموضوعات الأخرى كالجغرافيا والتاريخ والفيزياء... الخ[2]، فقضية تعلم اللغة ليست قضيةَ اكتساب حقائق بعينها، أو الحصول على معلومات معينة، وليست قضية بناء معرفة أكاديمية، بل هي قضية اكتساب أسس ومهارات لكل تلك العلوم والموضوعات.

1. **يُنظَر: الخطيب، عدنان (1994)**، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، **ط2، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان.**
2. **ينظر: جورنيه، نيكولا (2025)**، ما دون اللغة، ضمن: اللغة: طبيعتها، بنيتها، تعلّمها، استخدامها، **ترجمة: أحمد حاجي صَفَر، المنظمة العربية للنشر، بيروت، ص. 39-41.**

علماء اللغة الذين تأثروا بالمذهب السلوكي ينظرون إلى اللغة بوصفها سلوكًا يقوم على المثير والاستجابة، والثواب، والعقاب، وتتكرر هذه السلوكات حتى يثبت الصحيح منها. لكنّ بعض التربويين يرى أن تعلم اللغة بالانطلاق من المعرفة للوصول إلى العادة، نظام لا يتّسق مع الحقائق النفسية، لأنّ المهارات التي ترتكز على الوعي تتشكل العادات فيها من دون التفكير الواعي، ويتمثّل ذلك مثلًا في اختيار مفردات محدّدة دون سواها.

وتأسيسًا على ما سبق فإن المهارة تختلف عن العادة من حيث إنها ترتكز على الوعي، في حين أن العادة فعلٌ يؤديه الشخص من دون أن يتدخّل الوعي في إنجازه، أي أن الشخص يقوم به بطريقة تلقائية أو آلية؛ نظرًا إلى تراكم الخبرة المتحصّلة من تكراره.

ومن أهم ما يساعد على اكتساب المهارة اللغوية التكرار، وقد أكد ابن خلدون على أهمية التكرار في تكوين الملكات فهو يرى «أنّ اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان، للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة، للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصودة للسامع، وهذا هو معنى البلاغة، والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولًا وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالًا، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة.»[1]

ثانيًا- نظريات تعلم الطفل اللغة

هناك نظريات كثيرة تفسر النمو اللغوي لدى الطفل، وأهمّ تلك النظريات[2]:

1- النظرية السلوكية

تُكتَسَبُ اللغة عند السلوكيين بوساطة المحاكاة، والترابط أو الاقتران،

1. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (د. ت.)، المقدمة، تح: علي عبد الواحد وافي، ج3، ط3، دار النهضة، القاهرة، مصر، ص. 1278.
2. النقاط كلها خلاصة ما قدّمته كريمان بدير، إميلي صادق (2000)، تنمية المهارات اللغوية للطفل، عالم الكتب، القاهرة، ط1.

والاشتراط، والتكرار، والتدعيم أو التعزيز، ويوضح ذلك رأي سكِنر في تعلم اللغة: «تعلم معنى اللفظ يحدث من خلال الاقتران التكراري بين مثيرين لصدور استجابة ما»[1]. ويعني ذلك أن معنى اللفظ ينشأ نتيجة الارتباط بين اللفظ والمثير الذي يدل على اللفظ، أي أن المثيرات اللفظية تقترن مع مثيرات شيئية اقترانًا منتظمًا متكررًا. ويحدث اقتران منتظم ومتكرر بين مثيرين حسب الاشتراط السلوكي «حينما يسمع الطفل مثيرًا معينًا وليكن كلمة «لا» وذلك في اللحظة التي يراد فيها حدوث استجابة معينة مثل سحب اليد»[2] ونفهم من ذلك أن المثير السمعي «لا» يعدّ مثيرًا شرطيًّا لاستجابة لعملية سحب اليد، بينما عملية ضرب الأم يد الطفل مثير غير شرطي، أي أن الطفل حينما يسمع كلمة «لا» تتبعها مباشرة ضربة على يد الطفل، ومِن ثَمَّ تحدث علاقة اشتراطية بين كل من كلمة «لا» وسحب اليد، وذلك يتم بعد تكرار هذه العملية عدة مرات.

من الناحية العملية، يمكن تطبيق هذه النظرية، بُغيةَ ترسيخ بعض الألفاظ في أذهان التلاميذ في المرحلتين الابتدائيّتين الأولى والثانية، من خلال عرض صور أو مجسمات أمام التلاميذ، وتكرّر الألفاظ المقترنة بها، فيحدث ارتباط بين الدال الصوتي والمدلول الصوري أي اللفظ والشيء الذي يدل على هذا اللفظ.

المآخذ على النظرية السلوكية:

عُدّت المدرسة السلوكية قاصرة في تفسير اكتساب اللغة فهمًا وتعبيرًا، ووجهت إليها بعض المآخذ على المفردات واكتساب الجمل، ومنها[3]:

1. فهم اللغة أسبق من التعبير، الطفل يفهم الكلمات قبل أن يتكلم، أي يكتسب المفردات فهمًا من غير تدعيم؛ لأنه لا يحدث إلا بعد أن يلفظ الطفل الكلمة.
2. هناك أطفال عاجزون عن النطق، لا يستطيعون أن يحاكوا ما يسمعونه، ومن ثمَّ فهم تعلموا اللغة فهمًا من دون أي محاكاة أو تدعيم.

1. نفسه، ص. 48.
2. نفسه، ص. 48.
3. يُنظَر: كريمان بدير، إميلي صادق (2000)، ص. 50.

3. هنالك أطفال يحاكون ما يسمعون؛ لكنّ ما يلفظونه في بداية الأمر لا يكون مطابقًا لما سمعوه، والكبار يدعمونهم باللفظ الخطأ بدلًا من تصحيحه، وعندما يذكر اللفظ الصحيح أمامهم لا يصححون الخطأ لفظًا وإنما يظهرون الفهم.

4. يستعمل الآباء أحيانًا الكلمة الخاطئة التي يستعملها الطفل بدلًا من تصحيحها، وبذلك لا يتخلى الطفل عن الكلمة الخاطئة.

5. قد تصدق النظرية على تعلم مفردات مثل كطاولة، كرسي، كتاب...إلخ، لكن كيف يمكن أن ينطبق ذلك على الأدوات مثل (الـ) التعريف أو أين...إلخ.

6. يمكن للطفل أن يسمع كلمات مثل ما، ال، و، أو...إلخ، ولكنه لا يتعلمها ما لم يدرك معناها، ويتجاوز الطفل سن الثالثة دون أن يدركها، وهذا الأمر لم تفسره المدرسة السلوكية.

2- نظرية المدرسة الإدراكية أو المعرفية:

ترى المدرسةُ الإدراكيةُ أن الطفل يتعلم التراكيب اللغوية من خلال فرضيات معينة يبنيها وفق نماذج لغوية يسمعها، ويختبرها في استعماله، وعند إدراكه الخطأ يعدلها إلى الصيغ الأقرب إلى تراكيب الكبار، مثال ذلك في مبدأ القياس أستاذ-أستاذة، أصفر-أصفرة، وكذلك في توحيد العلامات الصرفية مثل استعمال (ات) للجموع كافة نحو دفتر، قلم، مسطرة...إلخ، ثم يعدّلها مع مرور الوقت وسماعه التقويم اللفظي الصحيح من محيطه اللغوي. يستخلص الطفل إذن القواعد اللغوية، ثم يطبقها، ويعدّلها تدريجيًّا لتطابق تراكيب الأكبر سنًّا.

يدافع أصحاب المدرسة الإدراكية عن فرضية فاعلية الطفل في تعلم اللغة، وأن النمو اللغوي يشبه النمو المعرفي، فالطفل يتعلم المفردات من خلال تفاعله مع الوسط المحيط.

يرى بياجيه أن الفكر يسبق اللغة وأن تكوين المعلومات المحسوسة لا يقوم

في البداية على الفكر، بل يقوم على الممارسة والتفاعل؛ مما يجعل التعليم في المقام الثاني بعد التفاعل، يبدأ الأطفال بالحديث مع أنفسهم أكثر من تحدث بعضهم مع بعض، ثم تأتي مرحلة اتصال الطفل بمحيطه، يلي ذلك المونولوج الجماعي، وهو ما يسمى بالصياح الجماعي، ويحدث ذلك عن طريق اللعب. هناك مرحلة أخرى من الكلام تُدعى الكلام الاجتماعي، الذي يتمثّل في اكتساب التفكير الصفة الاجتماعية، ويتجسّد في الحديث مع الكبار، فإن الطفل ينظر إلى الشخص الكبير بوصفه خبيرًا وقدوة؛ ممّا يساعد على تثبيت أفكاره ونفي مهارة الكلام من مفردات وقواعد لغوية من خلال هذه المحادثات، فاختلاف السن له أثر على اكتساب المفردات والقواعد باختلاف المفاهيم التي تمثلها هذه المفردات والقواعد.[1]

لدى تحقّقنا في بحثنا هذا من بعض جزئيات النظرية الإدراكية وجدنا أن الطفل يكتسب اللغة، في جانب كبير منها، من خلال النشاط التفاعلي مع البيئة المحيطة به، فقد لاحظنا في إجابة التلاميذ عن أسئلة الاستبانة أنهم اختاروا الألفاظ المرتبطة بمحيطهم، والتي تتسم بالعموم. فلدى الطلب إلى التلاميذ أن يستعملوا كلمة تدل على النوم لاحظنا أنهم استعملوا مفردة «نوم» بنسبة كبيرة، واستعمل بعضهم «غفى» بنسبة أقل بكثير، ونَدَر من استعمل «استلقى»؛ مما يعني اللجوء إلى المفردة اليومية التي تمثّل المفهوم العام.

أما من حيث اكتساب الطفل لمعجمه، فهو يقوم بذلك بوساطة عدد من الوسائل القائمة على الألوان أو الأشكال مثلًا. فالطفل قبل سن الثانية ونصف لا يمكنه التمييز بين الألوان والأشكال، ومِن ثمَّ لا يمكنه تعلم المفردات أبيض، أحمر، مثلث، أو مربع قبل أن يبلغ السن المناسب لمعرفة الألوان والأشكال، ومِن ثَمَّ، فإنّ التكرار للألوان والأشكال لا يجدي أي فائدة، والسبب لا يعود لصعوبة اللفظ بل لعدم وصول الطفل إلى مرحلة النضج التمييزي، والدليل على ذلك أن كلمة أصفر مثلًا ليست بأصعب من كلمة كلب لكنّ الطفلَ يتعلم كلمة كلب قبل كلمة أصفر؛

1. يُنظر: J. Piaget, Le Langage et la Pensée chez l'enfant, Delachaux et Niestlé, 2002.، نقلًا عن كتاب اللغة: مدخل إلى علوم اللسان، كتاب جماعي، ترجمة: أحمد حاجي صَفَر، قيد الصدور عن المنظمة العربية للترجمة.

لأن الطفل يتعلم المفردات الدالة على المحسوسات مثل أسماء الحيوانات وأغراض المنزل، لأنها تلفت انتباهه أكثر من غيرها أمثال حائط وسقف ومبنى...إلخ، ولعلّ المساحة البصرية وسهولة التحقق الحسّي منها يلعبان دورًا في اكتساب تلك الألفاظ وتخزينها.

بناء على ما سلف، لا علاقة تربط اكتساب المفردات بصعوبة الألفاظ الدالة عليها، بل بالنمو الذهني للطفل، وكلمة «ساعة» مثالٌ جيد لذلك، فيمكن للطفل اكتساب مفهومها بوصفها آلةً، لكن لا يمكنه تمثّلها بوصفها مفهومًا مرتبطًا بالزمن. الأمر نفسه ينطبق على الألوان، فيتفاوت اكتساب الألوان من لون إلى آخر. هناك ألوان أساسية يسهل على الطفل ملاحظتها مثل أحمر، وأصفر، وأزرق، وهنالك ألوان مرتبطة بأشياء مثل برتقالي ورمادي وذهبي الدالة على الرماد والبرتقال والذهب، إلّا أنه يكتسبها متأخرًا. يُلاحَظ أنّ الطفل يبدأ بالألوان التي على وزن «أفعل».[1]. هذه الملحوظة الأخيرة تدفعنا للسؤال عن دور الصيغة في بناء المعجم وتنميته وتعزيزه، وهو موضوع سنخصص له بحثًا مستقلًّا.

3- النظرية الإنسانية:

تهتم النظرية الإنسانية بتأثير العاطفة والوجدان على التعلم، ويفسر كل من أبراهام ماسلو وكارل روجرز مواقف التعلم والتعليم بأنّ كل فرد يولد بطبيعة أساسية تتشكل بالخبرات والأفكار اللاشعورية والمشاعر، ولكنها ليست محددة بهذه القوى،[2] أي أن القدرات التي تولد مع الإنسان تحتاج إلى إنماء وتطوير.

يساعد الوالدان والمعلمون على إشباع حاجات الأطفال، والنمو والتطور، فتنمو ذواتهم نتيجة تفاعلهم مع المحيط[3]؛ فالمعلم مثلًا يساعد الطفل من خلال إتاحة الفرصة أمامه ليكتسب الثقة بنفسه ويكشف عن مشاعره وانفعالاته أثناء عملية التعلّم.[4]

1. كريمان بدير، إميلي صادق (2000)، ص. 54، 55.
2. النوايسية، أديب عبد الله محمد، والقطاونه إيمان طه طايع، النمو اللغوي والمعرفي للطفل، دار الإعصار العلمي، عمان، الأردن، 2013، ط2، ص. 189.
3. نفسه، ص. 190.
4. نفسه، ص. 190.

ثالثًا- مراحل التنمية اللغوية عند الأطفال:

يمكن ترتيب مراحل النموّ اللغوي لدى الطفل، منذ الولادة وحتى سن الخامسة، كالآتي:

- عند الولادة: يبدأ الطفل لحظة ولادته بالصراخ، لإدخال أكبر كمية من الأوكسجين إلى جسمه، فتبدأ أولى خبراته الصوتية بالنمو، من خلال اكتشاف اهتزاز الحبلين الصوتيين، وسماع صراخه.
- من الأسبوع الأول إلى السادس: يبدأ اقتران الصراخ بأهداف معينة، ولا سيما عند وجود استجابة من المحيط.
- من الأسبوع السابع إلى الأسبوع العاشر: يبدأ التفريق بين صراخ الألم، أو الجوع، أو عدم الراحة.
- من الشهر الثاني إلى الشهر الخامس: يصبح أداء الطفل الصوتي أكثر وضوحًا من خلال تكرار بعض المقاطع الصوتية المكونة من تواتر الصوائت وبعض الصوامت، ويطلق على هذه المرحلة اسم «المناغاة».
- بين الشهرين السادس والثامن: يزداد الأداء الصوتي للطفل تعقيدًا، ويكثر تكرار الصوامت والصوائت دون وجود حاجة إلى الطعام أو الراحة.
- بين الشهرين التاسع والحادي عشر: تثبت بعض المقاطع المعتمدة على الصوامت بين الشفية أو اللثوية با- ما -دا.
- عند تمام السنة الأولى: تكتمل المقاطع الصوتية الدالة مثل بابا – ماما ؛ فتبدأ مرحلة البناء المعجمي والترسيخ.
- بين سنة ونصف وسنتين: تزداد حصيلة المفردات لدى الطفل فتصل إلى 200 كلمة. يبدأ الطفل بفهم الأسئلة البسيطة، وتكوين جملة مكوّنة من كلمتين.
- بين سنتين وسنتين ونصف: تتضاعف حصيلة المفردات فتصل إلى 400 كلمة. يبدأ الطفل بتكوين جمل مكونة من ثلاث كلمات.

- بين سنتين ونصف وثلاث سنوات: تتسارع وتيرة النمو المعجمي والنحوي فيكون جملًا من أربع كلمات، ويدخل الأفعال والضمائر بشكل سليم.
- بين ثلاث سنوات وثلاث سنوات ونصف: تصل الحصيلة المفرداتية لدى الطفل إلى 1000 كلمة، ويبني جملًا معقّدة من 10-12 كلمة، ويستعمل قواعد اللغة بشكل صحيح.
- بين ثلاث ونصف وخمس سنوات: يراعي الطفل في هذه المرحلة قواعد التركيب السياقي، ويدرك المفرد والمثنى والجمع ويُحسن استخدامها، يتعلم القراءة والكتابة.[1] ويبلغ الرصيد اللغوي للأطفال في هذا السن بين 1500 إلى 2000 كلمة.[2]

رابعًا- وسائل تنمية الحصيلة اللغوية:

1- التفاعل اللفظي:

يُعدُّ التفاعلُ اللفظيُّ من أهم وسائل تنمية المعجم لدى الطفل. يرتفع أثناء التفاعل اللفظي معدل الاستماع إلى المفردات المخزنة في الذاكرة، فيزداد رسوخها في الذهن، وتنشط أثناء التفاعل اللفظي عملية تعزيز المعجم. كذلك يجري أثناء التفاعل اللفظي استرجاع مجموعة كبيرة من المفردات بُغيةَ الحفاظ على عملية التفاعل، مما يعزز الذواكر القريبة والمتوسطة الخاصة بتخزين المفردات، وتحفيز المناطق الدماغية الخاصة بالربط المنطقي بين الدوال والمدلولات والسياقات.

كذلك فإنّ عملية التخاطب تتطلب استدعاء التراكيب النحوية والصيغ الصرفية التي لا يستطيع المتحدث أن يعبر بغيرها عما يجول في خاطره، وهذا يسهم بدوره في عملية تحريض الذاكرة لتحسين عملية الاستدعاء المباشر لما للمفردات والتراكيب اللغوية.

1. **كريمان بدر، إميلى صادق**، تنمية المهارات اللغوية للطفل، **عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2000، ص. 31،32.**
2. **أبـو معـال، عبـد المفتـاح**، تنميـة الاسـتعداد اللغـوي عنـد الأطفـال، **دار الـشروق للنـشر والتوزيـع، عـمان، الأردن، 1988م، ط1، ص. 53.**

يساعد التفاعل اللفظي على إبقاء كمية جيدة مما تحويه الذاكرة من حصيلة لغوية في حالة تحفز أو إثارة، وعند الافتقار إلى الرصيد اللغوي المطلوب لمتابعة التفاعل يقترض الطفل بعض العناصر اللغوية التعبيرية والمفردات المعجمية من محدثه أو محدثيه، «فعندما يتكلم أحدنا إلى متحدث جديد يحاول دائمًا، عمدًا أو عن غير عمد، أن يكتشف مفردات مشتركة بينه وبين الآخر، فهو يستعمل ألفاظ المخاطب، إما لإرضاء المتحدث أو للتفاهم معه فقط أو للتخلص منه. ذلك أن الملكية الخاصة لا وجود لها في ميدان اللغة: كل شيء مشترك، والتبادل الكلامي، مثله في ذلك كمثل أي شكل من العلاقات الإنسانية»[1]

إنّ كثيرًا مما يقترضه الطفل أو يتعلمه أو يكتشفه أثناء التفاعل اللفظي مع الآخرين يؤدي مهمتي البناء والتعزيز على صعيد المعجم لدى الطفل. إضافة إلى ذلك فإن الاستخدام اللغوي يُثبِّتُ المدلولات والمعاني التي ارتبطت بالمفردات في ذهن الطفل، أو في زيادة تخصيص هذه المعاني والمدلولات، حيث إن إيحاءات المفردات تختلف من الصورة المكتوبة إلى الصورة المنطوقة وتختلف في كيفيتها الموضحة في المعجم عن كيفيتها الموضحة في الاستخدام، فتساعد ممارسة اللغة المحكية على إبراز وتوضيح هذه الاختلافات وعلى التفريق بينها، كما تساعد على معرفة المجالات والكيفيات والمواقف المتعددة لاستعمالها.

يكتسب الطفل في تفاعله اللفظي اليومي كثيرًا من المفردات متعددة الدلالات أو مفردة الدلالات، إلّا أنّ بعض الدلالات التي سبق للطفل أن عرفها قد تتغير، أو قد تكتسب معاني جديدة تضاف إلى معانيها السابقة، وذلك يعني الرقعة المعجمية في ذهن الطفل أشبه بسطح مطاط يتسع ويتقلص وَفق الظروف التواصلية[2].

من ناحية أخرى تلعب الخصائص الصوتية في الكلام المنطوق الدور الأكبر في تشكيل معاني المفردات وفي تفرع هذه المعاني وتنوعها، فيمكن أن تحمل العبارة الواحدة مجموعة من المعاني والإيحاءات بسبب الإيقاع أو النمط الصوتي أو النبر

1. مردان، نجم الدين علي (2005)، النمو اللغوي وتطويره في مرحلة الطفولة المبكرة البيت الحضانة رياض الأطفال، ط1، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص. 107، 108.
2. يُنظر المرجع السابق.

الذي تنطق به، أو بسبب الموقع التي توجد فيه كتجاورها مع كلمة أخرى في الجملة. إن عبارة «يا إلهي!» مثلا قد تعني اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، وقد تعني التحسر، أو التوجع والتألم. يردُّ كمال بشر هذه الظاهرة : «إلى التلوين الموسيقي الذي يصاحبها والذي يأتي موائما لظروف الكلام في الوقت نفسه. والنتيجة الحتمية لهذا التلوين الذي يتتبع اختلاف المعنى من حالة إلى أخرى هي أن تصبح هذه العبارة عددا من العبارات ذات السمات الصوتية والنحوية المختلفة، بالرغم من اتفاقها في مكوناتها الصرفية... وفي الجملة (أنا لم أعرف هذا الرجل) مثلا يقع النبر القوي على الفعل واسم الإشارة الذي يليه. ولكن قد يحدث أن تتغير مواقع هذا النبر أو تتغير درجة قوته، بحسب الحالة المعينة والمعنى المطلوب، ويطبق هذا النهج خاصة إذا كان القصد تأكيد صيغة من الصيغ على وجه يفيد التباين والاختلاف، فقد ينتقل هذا النبر القوي إلى الضمير (أنا) أو إلى أداة النفي (لم)، على حين تقل درجة القوة في الكلمات المصاحبة لهاتين الصيغتين، والحصيلة الناتجة عن هذا التوزيع للنبر تتمثل في إبراز معان مختلفة للجملة»[1].

في المدرسة التي أجرينا بحثنا فيها، هناك العديد من الأنشطة التي تعزز جانب التفاعل اللفظي لدى الطفل، ولعلّ حصص التعبير الشفوي أكثرها أهمية، حيث يقوم فيها التلاميذ بالتعبير لفظيًّا عن صور معينة مستعملين أسلوب التفاعل اللفظي الجماعي لبيان أوجه الاختلاف والتشابه في مفردات الصور وعناصرها.

هناك أيضًا حصص المحادثة والحوار التي يستخدم فيها التلاميذ المفردات الجديدة التي اكتسبوها وقواعد اللغة للتعبير والحديث عن غاياتهم المختلفة وعن مشاعرهم وأفكارهم، أو محاورة المعلمة للحصول على المعلومات، وحل مسائل معينة. ومن أهم الأنشطة التي اعتمدتها المدرسة كذلك التمثيل المسرحي الذي يعمل بشكل ملحوظ على تقوية قدرات التلاميذ التواصلية والإبداعية. هناك أيضًا حصة كاملة خصصت للمناقشة، تقرأ فيها المعلمة قصة قصيرة، ثم تقوم تسأل أسئلة تتعلق بها، في صيغة حوار تديره بين التلاميذ. تسعى المدرسة من وراء ذلك إلى تحقيق مُخرجات

1. نفسه، ص. 266-267.

تتصدرها تنمية التفاعل اللفظي والتواصل الاجتماعي بين الأطفال، واكساب الطفل الثقة والقدرة على التحاور والتعبير.

2- الكتابة:

يُفترَضُ في الكتابة أن يطلق الطفل العنان لخياله وإبداعه من خلال انتقاء أنسب المفردات للتعبير عن مُرادِه، وهذا الذي يجعل الكتابة الفرصة الأكبر لتوارد المعاني والأفكار والألفاظ المرتبطة بها، كذلك فهي تسمح أكثر من التواصل اللفظي باسترجاع المخزون اللفظي من الذاكرة، ذلك أنّ الطفل يمتلك وقتًا أطولَ للتأمل بُغيةَ إيجاد المفردات المناسبة لما يودّ التعبير عنه.[1].

ومِمّا لا شكّ فيه أن استدعاء المفردات المخزّنة في الذاكرة يخلق فرصة استدعاء المفردات الأخرى المرتبطة بها، وَفق مبدأ الترابط الدلالي (المرادفات، الأضداد، ... إلخ). مهارة الكتابة إذن تساعد بشكل كبير على إعادة الحياة للعديد من المفردات وإنعاشها وجعلها جاهزة للاستخدام.

إن الكتابة باللغة العربية الفصحى تدفع الطفل في اتجاهين متعاقبين، فيبدأ باستخدام حصيلته اليومية، وقد يلجأ إلى العامية في ذلك، ثم يثبّت البديل الفصيح ويبني عليه؛ ذلك أنّ التفاعل اللفظي اليومي لا يدعم استخدام اللغة الفصحى ومفرداتها مثلما تفعل الكتابة[2].

3- القراءة:

القراءة رياضة ذهنية تقوم على فكّ ترميز اللغة بصريًّا، ومِن ثمَّ ربط الشكل الكتابي بالصورة الصوتية وبالدلالات المرتبطة بها، مع مراعاة السياق؛ ولذلك تُعدُّ القراءة عملية ذهنية فكرية نفسية مُركّبة، يقول فندريس : إنها «التوفيق بين الرسم والصوت وفي الجمع في دائرة الإدراك بين التصورات البصرية والتصورات السمعية»[3].

1. يُنظَر: زهران، حامد عبد السلام وآخرون (2007)، المفاهيم اللغوية عند الأطفال أسسها مهاراتها تدريسها تقويمها، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط3، ص. 398-399.
2. المعتوق، أحمد محمد، مرجع سابق، ص. 269-270.
3. نقلًا عن المعتوق، ص. 271.

من أهم وظائف القراءة أنها تثبّت رسمًا صور الكلمات المنطوقة؛ فيصير سهلا تحديد المعاني الوظيفية لتلك المفردات والتأكد منها وترسيخها. وممّا لا شكّ فيه أن اللغة المنطوقة غنية بالمفردات، لكنها تظلّ خاضعة للنزعات والاستعمالات الفردية والاختلافات اللهجية، فتبتعد عن اللغة الأصلية النقية، إذ ذاك يتعرض المعجم اللغوي إلى التحريف والتغيير وتتضارب فيه معاني المفردات تبعا لتباين اللهجات والمستويات الثقافية والاجتماعية، فيكون دور القراءة هو ترسيخ المشترك في شكل لغة ثابتة، محافظة على أصالتها ونقائها، فتبقى اللغة المكتوبة هي المرجع الرصين الذي يعتمد عليه الفرد. وعند القراءة تبقى الكلمات موجودة فيستطيع القارئ أن يعود إليها ويستدل على معناها إذا بدا فيه غموض أو تداخل مع معان أخرى، وهكذا تعمل القراءة على تقوية عملية استيعاب الفرد لمعاني المفردات وتقوية ربطها مع ألفاظها التي تعبر عنها على نحو صحيح، فتسهل بعد ذلك عملية تذكر الفرد لمعجمه اللغوي.

من جهة أخرى فإن المحصول المعجمي للفرد الذي يستخدم اللغة المنطوقة فقط يبقى حبيسا داخل إطار جغرافي وتاريخي محدود، وهي الحدود المكانية والزمانية التي يمارس فيها عملية التخاطب والتحاور، ولكنه يستطيع الانتقال من بيئة جغرافية لأخرى أو من عصر لآخر، ويتجاوز كل الحدود الثقافية الاجتماعية والجغرافية بممارسة القراءة.

تلعب القراءة دورا مهما في تنمية المخزون المعجمي، لأنّ القارئ يحتاج أثناء القراءة إلى أن يُفسِّر المفردات التي يمر بها بصفة مستمرة، حتى يدرك ما يقرأ، وأن تكون المعاني المعجمية لمفردات النص المكتوب مترابطة ومتسلسلة، وبهذا تكون عملية البحث والتنقيب في الذاكرة عن معاني المفردات المعجمية في فاعلية متواصلة وسريعة[1]. إضافة إلى ذلك فإن صور المفردات المعجمية التي يراها القارئ تعمل كمثيرات ومحفزات قوية تساعد على انتشال ما قد ترسب في قاع الذاكرة من مدلولات ومعان، ولا سيّما عند رؤية هذه المفردات مصوغة في جمل وفقرات لأن الذهن يميل

1. يُنظَر: عبد القادر، أحمد فهمي (1992)، الطفل والقراءة، دار الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات، ط1، ص. 121-122.

إلى تحليل المفردات تبعا لشكلها الخارجي[1]، فعندما يمر القارئ مثلا بكلمة (نوع) قد يتذكر كلمة (صنف) لأنها مرادفة لها، وعندما يقرأ كلمة (شهاب) قد يتبادر إلى ذهنه كلمة (شباب) أو (شعاب) لأنها تتشابه لفظًا، ويكون الاختلاف في صوت واحد فقط، فيرسل الشكل الذي تراه العين إشارات إلى المخ فتتحفز الذاكرة وتبدأ باسترجاع كل الأشكال المتشابهة من المفردات.

بالإضافة إلى كلّ ما سبق، هناك وسائل أخرى تعمل على تنمية المعجم وترسيخه، وأهمّها الألعاب الذهنية المبنية على اللغة، إذ إنّها تلعب دورا كبيرا في تطوير القدرات العقلية للطفل، ولا سيّما في مرحلة التعليم المبكرة[2]، ومن أهمّها: لعبة الكلمات المترادفة، لعبة الكلمات المتضادة، لعبة الكلمات ذات المقاطع المتشابهة في أصواتها، لعبة الكلمات التي تبدأ بحرف واحد، لعبة الكلمات المسجوعة، لعبة الكلمات ذات القاسم الحرفي المشترك، لعبة الحقول الدلالية، لعبة الكلمات الملونة، وغيرها من الألعاب.

ب- الدراسة التطبيقية: تجلّيات التطور المعجمي (الأدوات والإجراءات)

1- الاستبانة

تتكون العينة من أربعين تلميذًا: عشرين طالبًا من الصف الأول الابتدائي، وعشرين طالبًا من الصف الثاني الابتدائي، يدرسون في مدرسة ابتدائية حكومية. تضمّنت الاستبانة أحد عشر سؤالًا متنوعًا هي:

- السؤال الأول: ملء الفراغ بالكلمة المناسبة، وفيه عدد من الخيارات لمساعدة التلميذ في اختيار الكلمة المناسبة ووضعها في المكان المخصص لها.
- السؤالان الثاني والرابع: ربط الكلمة بمرادفاتها في العمود الثاني.
- السؤال الثالث: ملء الفراغ، من غير وجود خيارات. الهدف المرجوّ أن يستخدم التلميذ معجمه الخاص؛ لنتمكن من قياس النتائج.

1. المعتوق، أحمد محمد، مرجع سابق، ص. 274-275.
2. بينت، نيفيل، 2001، التعليم من خلال اللعب، ت: العامري، خالد، 2009، دار الفاروق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، ص. 9.

- السؤال الخامس: وضع الكلمة في الحقل المناسب لها، فقد وضعنا ثلاثة حقول هي حقل الحيوانات، وحقل البلدان، وحقل الصفات، واختيرت الحقول لكشف درجة خلط التلميذ بين مفرداتها. كان هناك جدولان: جدولٌ للحقول وجدولٌ فيه كلمات لتوضع في حقلها المناسب، وقد اختيرت هذه الكلمات وَفق استعمالات الطفل لها في حياته اليومية.
- السؤال السادس: ترتيب الألفاظ حسب حجمها؛ والغاية قياس مدى ربط التلميذ بين الدال ومدلوله، وقياس مساحة الخيال المعجمي لدى التلميذ.
- السؤال السابع: اختيار ضدّ الكلمة من ضمن القائمة.
- السؤال الثامن: اختيار الجمع الصحيح للكلمة.
- السؤال التاسع: الربط بين التعريفات والمصطلحات المناسبة.
- السؤال العاشر: التعبير عن صورة بكلمة واحدة فقط.
- السؤال الحادي عشر: توظيف كلمات في جمل مفيدة.

2- تحليل نتائج الاستبانة

كان السؤال الأول عبارة عن جملة تحتوي على فراغ (الطفل..... في حضن أمه) يطلب من التلميذ ملؤه بالكلمة المناسبة من الخيارات (وقف-نام-استلقى-غفا). جميع تلاميذ المستوى الأول استبعدوا الكلمة التي لا تناسب السياق (وقف). استعمل أغلبهم الكلمة المتوقعة (نام)، ووضع بعضهم المرادف (غفا)، ووضع واحدٌ منهم فقط الكلمة (استلقى). استخدم واحدٌ فقط كلمة من غير الخيارات المطروحة (قيلولة).

من الواضح أن الطلاب جميعهم يدركون أن كلمة (وقف) ليست من مرادفات (نام)، ولا تستقيم مع السياق. أمّا الذين استخدموا كلمة (نام) فقد لجؤوا إلى معجمهم العام القريب المتوقّع، أمّا اللذان استخدما (غفى) و(استلقى) فمن

الواضح أن معجمهم اللغوي أكثر نموًّا من غيرهم من التلاميذ. أمّا بالنسبة إلى التلميذ الذي خرج عن الخيارات المطروحة واستخدم (قيلولة) فهو أكثر تطورًا من حيث معجمه اللغوي، لكنّ هذا التطور لم يترافق مع تطوّر صرفي يسمح له بتحوير الجملة لتناسب خياره.

أمّا في المستوى الثاني فقد اختار أغلب التلاميذ كلمة (نام) أيضًا، واستخدم بعضهم كلمة (استلقى)، إلّا أنّ واحدًا قد اختار كلمة (وقف)، وآخر وضع كلمة ليس لها علاقة دلالية بكلمة (نام)، ولم تكن ضمن الخيارات (جلس).

تدلّ هذه الإجابات على أنّ التطور المعجمي من الصف الأول إلى الصف الثاني يظلّ رهن الوظيفية ورهن استعمال المعجم الأكثر شيوعًا؛ وبناءً عليه فإنّ الإبداع اللغوي لا يأخذ حيزًا ملحوظًا في التنويع المعجمي في هذه المرحلة.

السؤال الثاني يتكون من خانتين الخانة الأولى تحتوي على كلمة (النوم) والخانة الثانية تحتوي على ثلاث كلمات مرادفات لكلمة (النوم) وكلمة مضادة وكلمة ليس لها علاقة بالمفردة (الغفوة-القيلولة- الرقاد- الجلوس- الاستيقاظ). اختار أغلب التلاميذ في المستوى الأول الكلمات المترادفة، ولكن أحدهم اختار كلمة (الجلوس) التي لا علاقة لها بالمفردة (النوم)، وبعضهم اختار الكلمة المضادة لها (الاستيقاظ).

أمّا في المستوى الثاني فقد تشابهت أغلب اختيارات التلاميذ مع اختيارات المستوى الأول، من حيث اختيار الكلمات المترادفة، واختار بعض التلاميذ الكلمة المضادة. اختار واحدٌ فقط كلمة (الجلوس) التي لا علاقة لها بكلمة (النوم).

هذا التطابق بين المستويين لافت للنظر، ولكن يمكن تفسيره بأنّ الخيارات المطروحة كانت مقيّدة للجواب، ولا بُدّ من توسيع الخيارات وتنويعها في البحوث القادمة.

السؤال الثالث عبارة عن ملء الفراغ بالكلمة المناسبة (.....الطفل بالكرة)، ولم يوضع أي خيار للمساعدة. استخدم أغلب تلاميذ الصف الأول كلمة (لعب)،

وهناك تلاميذ كتبوا كلمة ليس لها علاقة بالجملة مثل (الرقاد) وكلمات غير واضحة (يهبكر). أما في الصف الثاني فقد أجاب التلاميذ جميعهم إجابة موحّدة (لعب).

تُعزى الإجابات غير الصحيحة في المستوى الأول إلى الضعف الكتابي لدى التلميذين. أمّا الاتفاق التام في المستوى الثاني فيدل دلالة واضحة على استقرار المعجم، مع غياب الناحية الإبداعية.

كان السؤال الرابع عبارة عن كلمة (لعب) وضعت إزاءها مترادفات (مرح- تسلى-لها). طُلب من التلميذ توصيل الكلمة (لعب) بما يناسبها من القائمة (مرح- تسلى-لها). الهدف من السؤال قياس مساحة التنوع اللغوي واتساع المعجم لدى الطفل بناء على المفردة الواحدة. تنوعت إجابات تلاميذ الصف فاختار 40% منهم (مرح) و40% (تسلى)، وواحد منهم اختار كلمة (لها). أمّا في المستوى الثاني فاختار 80% منهم كلمة (مرح)، و20% منهم اختار كلمة (تسلى).

يعود استبعاد كلمة (لها) من الخيارات في المستويين إلى حالة اللبس التي يخلقها إملاء الكلمة. كلمة (لها) مكتوبة بهذه الطريقة تشبه الضمير المفرد المؤنث الغائب مجرورًا بحرف اللام (لها). أمّا تقديم انتقاء (مرح) على (تسلى) فيعود إلى ارتباطه بالحالة النفسية المرافقة للعب، وكذلك الشبه الصوتي مع (فرح) التي تُعدُّ من المفردات الأساسية في معجم الطفل.

السؤال الخامس تصنيفي يقيس قدرة التلميذ على التصنيف، وهي مهارة أساسية في العلوم المعرفية. يُطلب إلى التلميذ وضع الكلمات في الحقل المناسب لها. هناك جدول يضمّ ثلاثة حقول (الحيوانات- البلدان- الصفات)، وجدول آخر فيه مجموعة من الكلمات من معجم الطفل الأساسي (كلب-السودان- طويل- دب – قصير – الكويت).

جاءت أجوبة تلاميذ المستوى الأول متفاوتة، فقد وضع 55% منهم الكلمات في حقولها المناسبة، ووضع 30% منهم الحيوانات في حقل الصفات (كلب، دب)، و15% منهم وضع البلدان في خانة الصفات (السودان).

أمّا بالنسبة إلى تلاميذ المستوى الثاني فقد أجابوا جميعهم عن هذا السؤال بشكل صحيح.

إنّ التطور الملحوظ في اكتساب مهارة التصنيف خلال عام دراسي واحد يعني أنّ استقرار المعجم في ذهن الطالب يبدأ في هذه المرحلة، وهي مرحلة تترافق مع اكتساب القدرات الذهنية الخاصة بالألوان والأشكال.

أمّا بالنسبة إلى تصنيف تلاميذ المستوى الأول لبعض أسماء الحيوانات في حقل الصفات فهو انتشارها بين الأولاد للوصف أكثر من دلالتها على مسمياتها الأصلية؛ فمن المعروف في هذه المرحلة ارتفاع نسبة النعت بأسماء الحيوانات للدلالة على الصفات (دب=كسول، حمار=غبي، كلب=غير محبَّب، ...)، وهو أمرٌ يكتسبه الأطفال من المحيط الأسري الذي يستعمل كثيرًا أسماء الحيوانات للدلالة على الصفات.

السؤال السادس كان سؤالًا جديدًا بالنسبة إلى التلاميذ، فقد بدا أنهم لم يفهموا المعنى الأساسي للسؤال: (صادق، صدوق، مُصدِّق، صِدّيق، صَديق)، هل هو قياس شكل الكلمة أو قياس المعنى الذهني، وكان المطلوب قياس الحجم الذهني بهدف قياس الخيال المعجمي لدى الطفل. فتلاميذ المستوى الأول جميع أجوبتهم كانت خاطئة باستثناء أربعة تلاميذ فقط. أما المستوى الثاني نصف الطلاب أجاب إجابات صحيحة والنصف الآخر أجابوا إجابات خاطئة.

يتّضح من خلال إجابات المستويين الأول والثاني أنّ اكتساب التصريف يأتي متأخرًا عن هذه المرحلة؛ ذلك أنّ تباين المعاني في الشدة والضعف، والكثرة والقلة، والكِبَر والصغر يتضح بعد السنة الرابعة للتعليم الابتدائي، حين تدخل المفاهيم الصرفية في المناهج التعليمية.

السؤال السابع يحتوي على كلمة (طويل) ويطلب اختيار المضاد لها من الخيارات المطروحة أمامهم (قبيح- قصير- صغير). جاءت جميع إجابات التلاميذ صحيحة في كلا المستويين الأول والثاني.

يبدو اكتساب المتضادّات أمرًا أوّليًّا في المراحل الابتدائية الأولى، ويرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمقاييس الأساسية للأعداد والمساحات والأحجام المادية؛ ولذلك فإنّ التمييز بين المتضادات المادية (صغير*كبير، طويل*قصير، بعيد*قريب، إلخ) من الأمور التي ترتبط ذهنيا بالقياس الجسماني (اليد، الرجل، إلخ).

السؤال الثامن عبارة عن اختيار الجمع الصحيح للكلمة (حديقة) من المفردات المقابلة (حدائق-حديقات-أحداق). أجاب تلاميذ المستوى الأول جميعهم إجابة صحيحة (حدائق) باستثناء ثلاثة منهم اختاروا (حديقات)، في حين أنّ تلاميذ المستوى الثاني جميعهم أجابوا إجابة صحيحة.

إنّ استقرار مهرة الجمع والإفراد في المعجم تُكتَسَب باكرًا فيما يخص المفردات الحياتية. أمّا المفردات الأقل استخدامًا أو الأكثر ندرة فتظل تشكِّلُ عائقًا عند التحقق منها؛ فعلى سبيل المثال، عند السؤال عن جميع (بعير)؛ وهو من المفردات التي يفترض أنها تشكل جزءًا من الحياة اليومية للطفل في البيئة الخليجية، تأتي الإجابات متضاربة وغير أكيدة، وتدل على حيرة الطلاب وعدم يقينهم، حتى المراحل الجامعية الأولى، فتأتي الجموع (أباعر، بعران، بعاعير، بعاير)، مع ظهور عدم يقين لدى الطلبة أثناء الإجابة.

السؤال التاسع عبارة عن وضع الكلمة الصحيحة إزاء التعريفين (أعالج المرضى، أعلم التلاميذ في المدرسة الكتابة والقراءة). جاءت إجابات تلاميذ المستوى الأول جميعها صحيحة (طبيب)، (معلم) ماعدا واحدة وضع الطالب فيها كلمة (ممرض) بدلًا من (طبيب)، وأخرى وضع فيها أحدهم كلمة (تلميذ) بدلًا من معلم. كذلك جاءت إجابات المستوى الثاني صحيحة ماعدا واحدة وضع فيها التلميذ كلمة (ممرض) بدلًا من (طبيب).

يُعزى وضع كلمة (ممرض) بدلًا من (طبيب) في بعض الإجابات إلى وجود ممرض في المدرسة يقوم بالإسعافات الأولية للطلاب والتلاميذ، مما يجعل ذهن التلميذ ينصرف أولًا إليه قبل الطبيب.

السؤال العاشر عبارة عن صورتين ويطلب من التلاميذ التعبير عن الصورة بكلمة واحدة، والهدف من هذا السؤال قياس مدى ارتباط المفردات المعجمية التي يستخدمها التلاميذ بالحقول الدلالية المرتبطة بالصورة. كانت الصورة الأولى عبارة عن شخصية كرتونية ترسم وهي سعيدة، أما الصورة الثانية فكانت بحالة حزينة ومصابة بجرح في قدمها.

عبّر 65% من تلاميذ الصف الأول عن الصورتَين بلفظتي (ترسم/ تبكي). وعبر 20% من التلاميذ بلفظتي (سعيد/ حزين). استعمل 10% من التلاميذ العامية نحو («تعوَّر» أي جُرِحَ/ «ضربتها الشوكة» أي جرحتها/ «انجرحت» أي جُرحت/ «دس شي في قدمها» أي دَخَلَ)، وهناك 5% عبروا بكلمات مبهمة نحو (المغرو/الخو).

أما تلاميذ الصف الثاني فعبروا عن الصور ب (ترسم/ تبكي) بنسبة 84%، وعبر 14% منهم بكلمتي (حزين وسعيد)، و2% أي إجابة واحدة وضع التلميذ فيها الرموز (/) و(×).

والسؤال الحادي عشر عبارة عن توظيف كلمتي (حزين/ سعيد) في جملتين مفيدتَين. جاءت إجابات الصف الأول بنسبة 82% في شكل جملٍ اسمية قصيرة تتكون من مبتدأ وخبر نحو (أنا سعيد/ عمر حزين)، وجاءت إجابة واحدة، أي 2%، لا تحتوي على أي من الكلمتين: (الولد يلعب بالكرة). 9% من التلاميذ ترك السؤال فارغًا. و7% من التلاميذ كرر الكلمات من دون توظيفها في جملة.

أما تلاميذ الصف الثاني فقد توسّعوا في صناعة الجمل: (عمر سعيد لأن والده اشترى له لعبة)، كما عبروا عن الصور بصيغة الجمع نحو (سعيدون، حزينون)، وهناك من استعان في هذا السؤال بالسؤال السابق الذي يحتوي على صور وحاول توظيف الكلمة بناءً على الصورة نحو (دورا حزينة)، وهناك من استعمل الصفة (سعيد) على أنها اسم علم نحو (سعيد يرسم لوحة جميلة) مع استعانته بالصورة التي في السؤال السابق، وهناك تلميذ اسمه محمد سعيد، أعاد كتابة اسمه رد على هذا السؤال على أنه جملة.

الخاتمة

إنّ أهمّ نتيجة يمكن تأكيدها في نهاية البحث هي أنّ تنمية المعجم في المدرسة أمرٌ لا جدال فيه، وأهمّ وسيلة فيه هي الألعاب اللغوية؛ ذلك أنها تحفّز النشاط الذهني للتلاميذ، وتربط اكتساب المفردات الجديدة بالتحدي الذهني للطفل. إنّ الأبحاث التربوية، ولا سيما القائمة على معطيات العلوم الإدراكية تؤكد على أنّ المحفزات النفسية، مثل التحدّي، تعزِّز اكتساب المعجم، بالإضافة إلى التطبيقات العملية الكتابية.

تبلغ نسبة التطوّر المعجمي بين مرحلتي الصف الأول الابتدائي والصف الثاني الابتدائي قياسًا إلى المجموع العام (من أول ابتدائي إلى ثاني عشر ثانوي) 30%، وهي نسبة مرتفعة للغاية، حيث تترافق مع التطور الذهني والنفسي والإدراكي للطفل في هذه المرحلة.

إنّ تعزيز المعجم اللفظي للطفل بوساطة الزيادة المتكافئة مع المرحلة يُعَدُّ أمرًا جوهريًّا في صناعة المناهج التعليمية؛ فقد لاحظنا أنّ حساب النسبة المئوية للزيادة في المستويات تكاد تكون ثابتة، ولا تراعي التطور الذهني والنفي للطفل في كل مرحلة؛ وهذا أمرٌ يُحدِث اضطرابًا في الاكتساب الصحيح للمعجم.

هذه الدراسة الأولية لنمو المعجم وتعزيزه لدى الطفل مساهمة تطبيقية بسيطة ترنو إلى توجيه طلبة الدراسات ما قبل العلي، وطلبة الدراسات العليا إلى تكريس جزء من البحوث التطبيقية هذه لرصد التغير السياقي ودور التعليم المدرسي في تنمية المعجم وتعزيزه، وهذا ما قمنا، ونقوم به مع بعض طالبات قسم اللغة العربية في جامعة قطر.

قائمة المراجع

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (د. ت.)، المقدمة، تح: علي عبد الواحد وافي، ج3، ط3، دار النهضة، القاهرة، مصر.
- أبو الروس، أيمن (1995)، سنة أولى مدرسة: كيف تعد طفلك للالتحاق بالمدرسة، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1.
- أبو معال، عبد المفتاح (1988)، تنمية الاستعداد اللغوي عند الأطفال، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.
- البشير، أكرم عادل (2006)، الحصيلة اللغوية لطفل ما قبل المدرسة في الأردن دراسة لسانية تربوية، مجلة الطفولة العربية، مج 8، ع 29، الكويت.
- بينت، نيفيل، (2009)، التعليم من خلال اللعب، تر: العامري، خالد، دار الفاروق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1.
- جورنيه، نيكولا (2025)، ما دون اللغة، ضمن: اللغة: طبيعتها، بنيتها، تعلّمها، استخدامها، تر: أحمد حاجي صَفَر، المنظمة العربية للنشر، بيروت، لبنان، ط1.
- حجازي، محمود فهمي (1998)، اللغة العربية في العصر الحديث: قضايا ومشكلات، دار قباء، القاهرة، مصر، ط2.
- الخطيب، عدنان (1994)، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1.
- زهران، حامد عبد السلام وآخرون (2007)، المفاهيم اللغوية عند الأطفال أسسها مهاراتها تدريسها تقويمها، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط3.
- الزهراني، مرضي بن غرم الله حسن (2010)، فعاليات مجمعات تعليمية في تنمية المهارات اللغوية لدى طلاب المستوى الأول في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى واتجاهاتهم نحوها، كلية التربية-جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية. على الرابط:

https//:www.quranicthought.com/ar/books%/D981%%D8%B9%D8%A7%D984%%D98%A%D8%A9%-D985%%D8%AC%D985%%D8%B9%D8%A7%D8%AA%-D8%AA%D8%B9%D984%%D98%A%D985%%D98%A%D8%A9%-D981%%D98%A%-D8%AA%D9-86%%D985%%D98%A%D8%A9%-D8%A7%D984%%D985%%D987%%D8%A7%D8%B1/

- شحاتة، حسن، والنجار، زينب (2003)، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1.

- عبد القادر، أحمد فهمي (1992)، الطفل والقراءة، دار الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط1.
- كاتبي، محمد عزت عربي (2010)، أثر الألعاب اللغوية في زيادة الحصيلة اللغوية لدى أطفال الرياض: دراسة تجريبية على أطفال الرياض ما بين 4-5 سنوات في مدينة دمشق، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، مج 32، ع 3، دمشق، سوريا.
- كريمان بدير، إميلى صادق (2000)، تنمية المهارات اللغوية للطفل، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1.
- مردان، نجم الدين علي (2005)، النمو اللغوي وتطويره في مرحلة الطفولة المبكرة البيت الحضانة رياض الأطفال، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.
- المعتوق، أحمد محمد (1996)، الحصيلة اللغوية أهميتها مصادرها وسائل تنميتها، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الصفاة، الكويت، ط1.
- النوايسية، أديب عبد الله محمد، والقطاونه إيمان طه طايع (2013)، النمو اللغوي والمعرفي للطفل، دار الإعصار العلمي، عمان، الأردن، ط2.

De la récurrence lexicale et la dimension sémio-sémantique et argumentative dans le discours de la presse francophone méditerranéenne: le cas du mot «enclave» désignant Gaza post-7 octobre 2023

Abdenbi LACHKAR & Yacine BOULAGHMEN [1]

Mots-clés : sémantique de corpus, analyse de contenu, monde arabe, grappes sémantiques, analyse de discours

Résumé

Cette contribution vise à illustrer le phénomène d'attribution de traits sémantiques à des mots par effet de récurrence de cooccurrences dans le discours avec d'autres mots, dont ils ne partagent pas initialement des traits sémantiques dans leurs définitions dictionnairiques respectives. Pour ce faire, il est essentiel de circonscrire un corpus discursif autour d'un ou plusieurs événements spécifiques mobilisant une notion particulière, et ce dans le but d'analyser la relation entre celle-ci et la lexie étudiée dans le cadre de cette recherche.

1 . Abdenbi LACHKAR est Professeur des universités en sciences du langage et médias arabes, Université de Montpellier Paul-Valéry.
Yacine BOULAGHMEN est Docteur en études arabes et sciences du langage, Unité de recherche ReSO (UR4582), Université de Montpellier Paul-Valéry.

Cette étude, s'inscrivant dans le contexte socioculturel et linguistique arabo-méditerranéen actuel, se base sur la mise en relief du contenu d'un échantillon représentatif de discours de presse (*Le Monde*, *El-Watan* et *l'Orient-Le Jour*) relatifs à l'événement du 7 octobre 2023, survenu dans des colonies israéliennes adjacentes à la bande de Gaza. Cette dernière est fréquemment désignée dans les médias comme une «enclave palestinienne ».

Étant donné que l'attaque du 7 octobre provient de Gaza, cette recherche postule que le mot « enclave » pourrait être associé à la notion de violence ou avoir une dimension argumentative de violence (Amossy, 2012 [2000], 2005 ; Rabatel, 2004, 2014, 2016, 2020), L'analyse de discours de presse sélectionnés permettra de valider cette hypothèse.

Dans cette optique, nous présenterons dans un premier temps une mise en perspective qui a motivé notre recherche. Nous proposerons par la suite l'outil théorique que nous avons adopté, ainsi que la méthode d'analyse du corpus sélectionné. Cette démarche nous permettra de proposer des conclusions et des perspectives de recherche en sémantique linguistique, pour ce qui est des traits sémantiques associés à des mots et de la notion de grappe sémantique en contexte, ainsi que dans d'autres disciplines ayant trait au discours.

Keywords: corpus semantics, content analysis, Arab world, semantic clusters, discourse analysis

Abstract

This contribution aims to illustrate the phenomenon of attributing semantic traits to words through the recurrence effect of co-occurrences in discourse with other words, with which they do not initially share semantic features in their respective dictionary definitions. To achieve this, it is essential to delimit a discursive corpus around one or more specific events mobilizing a particular concept, with the aim of analyzing the relationship between this concept and the lexical item studied in the context of this research.

This study, situated within the current socio-cultural and linguistic Arab-Mediterranean context, is based on highlighting the content of a representative sample of press discourse (*Le Monde*, *El-Watan*, and *l'Orient-Le Jour*) relating to the event of October 7th, 2023, which occurred in Israeli colonies adjacent to the Gaza Strip. The latter is frequently referred to in French-language media as a "enclave palestinienne."

Since the attack on October 7th, 2023 originated from Gaza, this research posits that the word "enclave" could be associated with the notion of violence or have an argumentative dimension of violence (Amossy 2012, 2000, 2005; Rabatel 2004, 2014, 2016, 2020). Analyzing selected press discourse will allow us to validate this hypothesis.

In this context, we will first present the perspective that motivated our research. We will then propose the theoretical tool we adopted, as well as the method of analysis for the selected corpus. This approach will allow us to offer conclusions and research perspectives in linguistic semantics, regarding the semantic features associated with words and the notion of semantic clusters in context, as well as in other disciplines related to discourse.

Mise en perspective

L'attaque du 7 octobre 2023, menée par des membres de la branche armée du mouvement palestinien Hamas, au pouvoir dans la bande de Gaza depuis 2006, a provoqué une onde de choc à l'échelle internationale. Cet événement a profondément polarisé l'espace public et médiatique et la sphère politique, notamment en Occident, entre ceux qui le qualifient d'« attaque terroriste » et ceux qui l'interprètent comme une conséquence de la situation d'oppression subie par la population palestinienne dans la bande de Gaza, un territoire enclavé dont les points de passage frontaliers avec Israël et l'Égypte sont strictement contrôlés et limités. Dans les deux cas, la bande de Gaza, est associée à la

notion de violence, à la fois subie par sa population et exercée depuis son territoire : cette zone géostratégique devient la source et la cible de « la terreur » avec la multiplicité des bombardements israéliens. Cette dynamique est fréquemment illustrée dans les médias par les tirs de roquettes lancés par la branche armée du Hamas contre des villes israéliennes, ainsi que par les frappes aériennes menées par l'armée israélienne sur Gaza. Dans une perspective similaire, lors d'une interview accordée à une journaliste française, le Premier ministre israélien, Benjamin Netanyahu, a établi un parallèle entre la bande de Gaza et la banlieue parisienne. Cette déclaration a été faite dans un contexte de conflit généralisé avec la bande de Gaza et le Liban, à la suite de l'attaque du 7 octobre 2023 en provenance de l'enclave palestinienne. L'extrait pertinent de l'interview est présenté ci-dessous :

> …Quoi qu'il en soit Israël a le droit et utilisera le droit d'intervenir pour se défendre et que va faire la France… que ferait la France si dans les banlieues de Paris il y avait 20000 soldats, 120000 roquettes qui tirent sur Paris et sur les autres …et sur les autres villes ? Bien sûr que vous agiriez… (Benjamin Netanyahu, 23 octobre 2024)[1]

En plus de la volonté de masquer la gravité d'un conflit chez soi par la tentative d'en créer un autre ailleurs (les banlieues de Paris), ce parallèle peut renvoyer à l'expression « enclave de la République » que Giles Kepel (2012) emploie pour désigner les banlieues françaises progressivement autonomisées et développant des systèmes de valeurs et des normes distinctes de celles de la République française. Et lors d'une interview en 2019, Kepel déclare que « Nous sommes entrés dans un terrorisme endogène qui se fabrique en France dans les enclaves de la République... »[2]. Par conséquent, le mot « enclave » employé par

1 . Europe 1. (2024, 23 octobre). Benjamin Netanyahu : « Notre guerre est aussi la vôtre » (interview exclusive Europe 1/CNews) [Vidéo]. YouTube. https://www.youtube.com/watch?v=a7Adz99macg

2 . P., Mansat. (s. d.). Gilles Kepel « ; Nous sommes entrés dans un terrorisme endogène qui se fabrique en France dans les enclaves de la République. . .» ; - Pierre Mansat et les Alternatives. Pierre Mansat et les Alternatives. https://www.pierremansat.com/201910//gilles-kepel-nous-sommes-entres-dans-un-terrorisme-endogene-qui-se-fabrique-en-france-dans-les-enclaves-de-la-republique.html

Giles Kepel renvoie aussi à la notion de violence, tout comme lorsque celui-ci est mis en relation par Netanyahu avec la bande de Gaza.

Ce bref aperçu nous mène à postuler que le mot « enclave » peut être associé à la notion de violence dans le discours publique et politique actuel. Et pour établir ce postulat il est nécessaire d'analyser un échantillon représentatif de discours de presse francophone de France, du Maghreb et du Moyen Orient, ce qui donne un aperçu de l'usage de la lexie « enclave » dans l'espace francophone arabo-méditerranéen actuel. Ainsi, le 7 octobre 2023 constitue la date de début de sélection des données, et le 7 octobre 2024 la date de leur fin. Pour ce faire, nous allons étudier les cooccurrences du mot « enclave » avec ceux renvoyant à la notion de violence. Ceci nous permettra de rendre compte du sens et de la tonalité que le texte étudié attribue à cette lexie, c'est-à-dire l'influence que peut avoir le contexte sur le sens de ce mot (Tauveron, 2012, §1).

Outils méthodologiques

L'attribution de sens par effet de récurrence repose sur l'idée que la répétition des mots ou d'expressions dans un discours n'est pas seulement une question de fréquence, mais participe aussi à la structuration du texte et à la fixation des significations. Les approches variées - linguistiques, sémiotiques et pragmatiques - mettent en lumière des mécanismes comme la cohérence et la cohésion textuelles, la construction des champs sémantiques et l'effet de cadrage interprétatif.

L'analyse du discours met en lumière le fait que la récurrence lexicale joue un rôle central dans la construction du sens en agissant comme un mécanisme d'ancrage sémantique. La répétition des lexies ne se limite pas à une fonction structurante ; elle participe également à l'orientation du discours en attribuant des traits sémantiques et des tonalités spécifiques aux mots récurrents. En effet, en réapparaissant tout au long du texte, certaines unités lexicales acquièrent une charge

argumentative implicite, contribuant ainsi à orienter la lecture et l'interprétation du discours (Maingueneau, 1996, 2014). Autrement dit, la récurrence lexicale ne se contente pas d'assurer la cohérence du texte en liant ses différentes parties autour de notions récurrentes ; elle façonne également la dynamique argumentative en influençant la manière dont les concepts sont perçus et interprétés.

L'effet de texte repose sur cette double articulation : une organisation linéaire, contrainte par la syntagmatique de la langue, et une structuration non linéaire du sens. Cette dernière se déploie selon deux modalités complémentaires : d'un côté, une structuration configurationnelle, qui donne au texte son unité sémantique globale, et de l'autre, une structuration « réticulaire », qui repose sur la mise en réseau des vocables récurrents et cooccurrents (Legallois, 2006 & Viprey, 2006). Or, ce maillage lexical ne se réduit pas à un simple effet de cohésion ; il introduit une hiérarchisation des significations et infléchit l'interprétation en orientant implicitement la réception du discours.

Dans cette perspective, la dimension argumentative du discours ne peut être dissociée de la récurrence lexicale. Celle-ci ne se contente pas de renforcer la structure textuelle : elle participe à l'élaboration de l'argumentation en imposant une lecture spécifique des termes répétés. C'est dans cette optique que les travaux d'Amossy (2012 [2000], 2005) et de Rabatel (2004, 2014, 2016) s'inscrivent, en analysant comment le discours argumentatif mobilise des stratégies discursives comme la dimension argumentative ou l'argumentation indirecte[1]. Ces approches permettent d'explorer les mécanismes linguistiques et socio-discursifs qui façonnent les représentations, les modes de pensée et les cadres d'interprétation à travers la sélection et la récurrence des lexies. Ainsi, le discours ne se contente pas d'informer ou de structurer des idées : il façonne activement le sens en attribuant aux mots des

1 . « Les textes de Rabatel théorisent et exemplifient à de nombreuses reprises l'argumentation indirecte, qui est synonyme de dimension argumentative. » (Amossy, 2018, §1)

tonalités argumentatives spécifiques, qui influencent la réception et la persuasion.

D'un point de vue sémantique componentiel, les champs sémantiques se construisent à travers des récurrences contextuelles dans un texte ou un corpus. Chaque occurrence d'un mot ou d'un groupe de mots enrichit ou nuance son sens, selon les relations qu'il entretient avec d'autres éléments discursifs (Rastier, 1987). Ainsi, les champs sémantiques sont organisés par des oppositions et des proximités, renforcées par les répétitions. Cette dernière a tendance à réduire l'ambiguïté d'un mot en affinant son interprétation dans un contexte donné.

Pour ce qui est de l'approche pragmatique, les mots acquièrent un sens spécifique dans un cadre interprétatif, où la récurrence joue un rôle essentiel. Par exemple, un mot répété dans un cadre polémique peut se charger d'une connotation spécifique (Ducrot, 1980). Ceci rejoint le fait que la répétition dans les actes de langage contribue à la fixation des intentions communicatives, renforçant ainsi l'interprétation du mot comme porteur d'une fonction discursive particulière (Searle, 1969).

En sémiotique, la récurrence lexicale est un moteur de la structuration sémiotique dans un récit. Les réseaux de sens qui se forment à travers la répétition lexicalisée participent à la cohésion globale du texte et au développement de thématiques (Greimas, 1983). Dans une perspective analogue, le sens des mots est façonné par leur emploi dans le discours. La récurrence permet une stabilisation progressive des significations dans un contexte donné (Benveniste, 1966).

A vrai dire, ces différentes approches semblent s'accorder sur le fait que la récurrence joue un rôle crucial dans la fixation et la modulation du sens. Mais il importe de préciser que ce phénomène n'est pas seulement linéaire, il est aussi interactif et est influencé par les relations contextuelles, les attentes interprétatives et les structures discursives. En conséquence, la notion de grappe sémantique (cf. Tour-

nier, 1996, 2002 ; Cartier 2018) en analyse de contenu peut constituer un outil adapté à l'étude de corpus sélectionné pour cette recherche. Une grappe sémantique désigne un ensemble structuré de mots, expressions ou concepts reliés entre eux par des relations de proximité sémantique, de co-occurrence ou de thématique. Ces relations se forment dans le contexte discursif et permettent de dégager des thèmes ou des idées principales. Une grappe sémantique est constituée d'un noyau central représenté par une notion ou un terme qui agit comme point de convergence. Elle est aussi constituée d'éléments périphériques associés au noyau par répétition, par synonymie, par antonymie ou par des relations contextuelles. L'organisation dynamique d'une grappe réside dans l'évolution de celle-ci en fonction des textes ou corpus analysés, reflétant des tendances ou des structures discursives propres au contexte étudié.

La grappe sémantique se forme dans l'interaction entre les mots dans un texte ou un corpus donné. En ce sens, la grappe met en évidence des configurations spécifiques au discours analysé, souvent liées à des stratégies rhétoriques, des choix d'interprétation, ou des réseaux de co-occurrences.

De ce fait, la méthode de grappe sémantique sera adoptée pour l'étude de la relation co-textuelle entre le mot « enclave » et des lexies voisines associées à la notion de violence.

Méthode de recherche

La construction d'une grappe sémantique en analyse de contenu nécessite tout d'abord le repérage de mots-clés. Ainsi, le mot « enclave » constitue le terme central de cette recherche. Une fois le mot-clé repéré, l'on procède à la recherche de co-occurrences, c'est-à-dire identifier les mots ou expressions apparaissant dans son voisinage sur la surface textuelle. Il sera question dans cette recherche de se focaliser sur des co-occurrences immédiates ou dans un même paragraphe. Ceci permettra

ainsi de former des grappes autour du noyau central en tenant compte des proximités thématiques ou des relations lexicales. Nous verrons en ce sens à quel point les termes répétés autour d'un noyau enrichissent le sens de ce dernier et le lient à des notions spécifiques, en l'occurrence celle de violence pour le mot « enclave ».

Le corpus analysé est tiré de l'agrégateur « Europresse.com » qui regroupe divers titres de presse. Nous avons donc retenu les archives du quotidien français *Le Monde*, ainsi que des journaux quotidiens francophones *El-Watan* (Algérie) et *L'Orient-Le Jour* (Liban). Une recherche préliminaire nous a permis de rendre compte de l'importance de ces trois titres auprès de leurs lectorats respectifs représentant trois contextes socioculturelles distincts.

L'agrégateur « Europresse » intègre des outils de calcul d'occurrences et de cooccurrences (immédiates ou dans un même paragraphe) dans les contenus sélectionnés et durant des périodes personnalisables. Le choix de paragraphe comme unité maximale à traiter coïncide avec le fait que le lecteur traite l'information par cycles (Ghiglione, Kekenbosch & Landré, 1995, p.52), avec un nombre variable de propositions traitées à la fois. En ce sens, une phrase de complexité moyenne correspond à environ cinq à dix propositions par cycle. Ainsi la mémoire à court terme (MCT) du lecteur permet en moyenne de mettre en relation le mot « enclave » avec des mots employés dans un même paragraphe.

Avant de présenter les résultats de cette recherche, nous présenterons un bref aperçu de quelques définitions dictionnairiques du mot « enclave » pour comparer entre le sens attribué à ce mot dans le dictionnaire et celui pouvant être interprété en contexte. Il convient ici de préciser que nous employons dans cet article le mot « connotation » pour désigner principalement la tonalité positive ou négative des mots étudiés. Ceci correspond en partie à la connotation en tant qu'ensemble des significations supplémentaires attachées à un message. Il s'agit, en général,

d'une valeur ajoutée qui dépasse le sens strict véhiculé par les signes lexicaux et les structures grammaticales. En revanche, la signification proprement dite, appelée dénotation, est celle que l'on retrouve dans le dictionnaire (Gandon, 1980, p. 121). En d'autres termes, la connotation recherchée pour le mot « enclave » est la tonalité négative associée à la notion de violence, exprimée par des lexies ajoutant cette valeur par effet de récurrence de cooccurrences.

La mot « enclave » dans le dictionnaire de la langue française

De nombreux dictionnaires s'accordent sur une origine remontant au XIVe siècle, dérivée du verbe « enclaver », lui-même issu du latin médiéval *inclausura* (terme désignant un espace fermé ou inclus).

Le recueil en ligne du centre national de ressources textuelles et lexicales (CNTRL) précise que le terme est attesté dès 1312 sous la forme « encleve », désignant un territoire ou terrain dépendant d'un autre propriétaire ou État.

Le *Dictionnaire de l'Académie française* mentionne l'origine au XIVe siècle avec le sens général de terrain inclus. Il s'agit ici du sens central commun que partagent tous les dictionnaires de la langue française que nous avons consulté, soit « un terrain ou territoire complètement entouré par un autre ».

Le *Dictionnaire de l'ancienne langue française et de tous ses dialectes du IXe au XVe siècle*, (Godefroy, 1880-1895) présente les exemples historiques suivants illustrant l'usage ancien pour désigner des territoires dépendant ou situés à l'intérieur d'un autre :

> Avecques les heritages desus dis il y a une **encleve** qui est tenant dites maisons. (1312, Cartul. de S. Martin de Pontoise, f° 30 v°; Duc., Inclausura.)
>
> Bourguet Neuf est assis et situé en et dedans ung pays de

> **enclave**, et entre les pays de Lymosin et de la Marche. (Mai 1449, Ord., XVI, 56.)
>
> Touchant Mascon, Lyon, limites en nostre royaume et de l'empire, **enclaves** de Bourgogne, limites de Picardie et de Flandres. (28 sept. 1461, Lett. de Louis XI, II, 13, Soc. Hist. Fr.)

Quant au *Dictionnaire universel de Furetière* (1690), il définit l'enclave comme « une portion de terre ou de Seigneurie qui est enfermée dans une autre », en illustrant cette définition par le fait que le Comté d'Avignon est une Enclave dans le Royaume de France.

En même temps, *Le Littré* (2024) fait une distinction claire entre un terrain entouré et un territoire juridiquement dépendant. *Le Robert* (2024) et Le dictionnaire *Larousse* (2024) insistent sur l'idée d'un terrain ou territoire complètement inclus dans un autre, sans mention explicite des dépendances historiques ou juridiques.

Évolution du sens

Le sens de terrain dépendant dans les textes anciens (Godefroy, 1880-1895) a évolué vers une définition plus neutre de terrain entouré dans les dictionnaires contemporains.

Extensions métaphoriques et spécialisées

Plusieurs dictionnaires étendent le sens d'« enclave » à des domaines variés ou à des métaphores.

Métaphores spatiales et sociales

Le dictionnaire *Larousse* (2024) introduit des extensions métaphoriques comme un îlot ou domaine isolé par rapport à son environnement (ex. : « une enclave dans une administration »).

Quant au *Dictionnaire universel de Furetière* (1690), il ne mentionne

pas d'usages figurés, alors que le recueil du CNTRL évoque l'idée d'un territoire soumis à des lois morales ou sociales en citant les exemples suivants :

> La Samarie formait en Palestine une espèce d'enclave, où se conservait le vieux culte de Garizim (Renan, Vie Jésus,1863, p. 239)
>
> Jérusalem et Bethléem devenaient une enclave chrétienne dans la Judée restée musulmane (Grousset, Croisades,193 9, p. 330).

Spécialisations techniques

Géologie

Le *Robert* (2024), Le *Larousse* (2024) mentionnent l'usage en géologie pour désigner un fragment de roche inclus dans une masse d'une autre nature.

Architecture et construction

Le *Littré* (2024) et le *Dictionnaire de l'Académie française* (1992) définissent une enclave comme une avancée ou empiètement d'un espace sur un autre, par exemple un escalier empiétant sur un vestibule. Le recueil du CNTRL étend cette définition à un encastrement pour loger un objet (ex. : portes d'écluses).

Physiologie

Le CNTRL introduit une définition spécifique en biologie (ex. : vacuoles ou grains inclus dans le cytoplasme).

Domaine juridique

L'aspect juridique, particulièrement pertinent dans les contextes anciens, est mentionné explicitement par *Le Littré* et *Le Dictionnaire de l'Académie française*, soulignant l'état d'un terrain entouré sans accès

direct à une voie publique et les implications en droit de passage (Code civil).

Le Dictionnaire de l'ancienne langue française et de tous ses dialectes du IXe au XVe siècle, (Godefroy, 18801895-) mentionne implicitement l'aspect juridique, l'illustrant avec des exemples de dépendances entre territoires. En revanche, *Le Robert* et *Larousse* ne développent pas cet aspect.

Comparaison des aspects définitionnels du mot « enclave » dans les dictionnaires consultés

Cet aperçu nous permet de constater que le terme « enclave » conserve une définition fondamentale commune, mais son usage s'est enrichi avec des extensions techniques (géologie, physiologie) et métaphoriques (îlot social ou culturel). Les dictionnaires contemporains (*Le Robert, Larousse*) mettent davantage l'accent sur ces extensions, tandis que les sources anciennes (ex. *Godefroy, Furetière*) insistent sur les notions de dépendance territoriale ou juridique. Nous avons résumé ces aspects dans le tableau ci-après (Tableau 1) :

Source	Sens principal : territoire	Métaphores sociales	Domaines spécialisés	Aspects juridiques	Étymologie détaillée
Godefroy	Oui (terrain dépendant)	Non	Non	Implicite	Oui
Furetière	Oui (terres, juridictions)	Non	Non	Oui (dépendance)	Non
Le Robert	Oui	Oui	Géologie	Non	Non
Larousse	Oui	Oui	Géologie, architecture	Non	Non
Littré	Oui	Non	Architecture	Oui	Non
CNTRL	Oui	Oui	Architecture, physiologie	Oui	Oui
Dictionnaire Académie	Oui	Non	Géologie, architecture	Oui	Oui

Tableau 1 : Comparaison des aspects définitionnels du mot « enclave » dans quelques dictionnaires de la langue française

Dans ces définitions dictionnairiques, aucun rapport entre la lexie « enclave » et la notion de violence n'est relevé. Cependant, le cas dans le discours de presse actuel risque d'expliciter la relation entre la lexie (désignant ici un espace) et les différentes connotations, notamment de violences qu'elle peut susciter. Nous présentons ainsi un échantillon de la presse francophone pour rendre compte de ce rapport.

Etude de corpus de presse francophone

Le mot « enclave » est fréquemment utilisé dans le corpus de presse sélectionné pour décrire des territoires spécifiques, souvent dans des contextes géopolitiques, humanitaires ou conflictuels. L'étude comparative des usages dans trois sources médiatiques majeures (*Le Monde*, *El-Watan*, et *L'Orient-le Jour*) met en lumière la récurrence de ce terme, particulièrement pour désigner Gaza durant la période entre le 7 octobre 2023 et le 7 octobre 2024. Cette analyse explore les occurrences, les contextes d'utilisation ainsi que les connotations associées à ce mot, afin d'identifier les tendances et les perceptions véhiculées par ce type de médias.

Les figures ci-après laissent constater les nuages de mots représentant les concepts clés gravitant autour du mot « enclave » dans les trois titres de presse sélectionnés (Figures 1, 2 et 3).

Figure 1- Concepts clés autour du mot « enclave » dans le journal « Le Monde »

Figure 2- Concepts clés autour du mot « enclave » dans le journal « El-Watan »

Figure 3 - Concept clés autour du mot « enclave » dans le journal « L'orient-Le jour »

Les trois figures révèlent une forte présence des thématiques de la violence sous différentes formes : guerre, terrorisme, manifestations et criminalité. Cependant, les priorités varient selon les sources. Certaines mettant davantage l'accent sur les conflits armés, d'autres sur la politique et les relations internationales. Dans cette optique, les parties suivantes permettent de rendre compte des mots exprimant ces concepts clés gravitant autour du mot « enclave », tout en prêtant une attention particulière à ceux ayant trait à la violence.

Analyse des cooccurrences immédiates du mot « enclave » avec des mots renvoyant à la notion de violence

Cette première partie d'analyse s'intéresse aux cooccurrences immédiates du mot « enclave » avec des expressions ou adjectifs renvoyant explicitement à la violence. L'objectif est de déterminer comment le terme « enclave » est directement associé à des conditions de souffrance ou de conflit dans les trois sources étudiées (*Le Monde*, *El-Watan, et L'Orient-Le Jour*). Ces observations permettront de rendre compte de la charge émotionnelle et de la violence véhiculées par les locutions étudiées. Une deuxième partie d'analyse, plus globale, explorera les cooccurrences au sein d'un même paragraphe, afin d'examiner les relations récurrentes entre « enclave », « violence » dans des contextes spécifiques souvent relatifs à Gaza.

Dans *Le Monde*, l'expression « enclave palestinienne » apparaît dans 26,17 % des cas (145/554 occurrences). Les locutions violentes ou chargées émotionnellement y sont rarement en cooccurrence immédiate avec le mot « enclave », suggérant ainsi une approche rédactionnelle axée sur l'objectivité. Les autres occurrences, telles que « enclave du Haut-Karabakh » ou « enclave de Kaliningrad », bien que marquées par des tensions politiques, ne font pas directement référence à des actes de violence. Cette modération dans les cooccurrences immédiates peut refléter une représentation mesurée de la notion de violence en lien avec le mot « enclave ».

En contraste, *El-Watan* se distingue par une forte intensité dans l'association entre « enclave » et des expressions évoquant la violence et la souffrance. Les locutions telles que « enclave dévastée » (13 occurrences), « martyrisée » (23 occurrences), ou encore « assiégée » (54 occurrences) témoignent d'un traitement journalistique axé sur la gravité des conditions de vie dans l'enclave palestinienne, qui représente 58,39 % des mentions d'enclave (320548/ occurrences).

La fréquence des adjectifs comme « meurtrie », « sous le feu », ou « sous blocus » renforce la perception d'un espace soumis à une violence extrême et durable. Comparativement, les autres enclaves mentionnées (Haut-Karabakh, Ceuta, Melilla) sont évoquées de manière beaucoup plus neutre, ce qui souligne une focalisation particulière sur Gaza et les souffrances palestiniennes.

L'Orient-Le Jour, pour sa part, compte 361 occurrences du syntagme « enclave palestinienne », soit 56,40% des occurrences du mot « enclave ». Les cooccurrences immédiates avec des mots évoquant la violence, comme « enclave assiégée » (11 occurrences) et « sous blocus » (9 occurrences), restent présentes dans ce sous-corpus, mais sont moins nombreuses que dans *El-Watan*. Par ailleurs, l'utilisation d'expressions neutres ou géographiques telles que « enclave côtière » atténue la charge émotionnelle. L'absence d'expressions comme « martyrisée » ou « dévastée » a tendance à réduire l'intensité de la violence évoquée, offrant une représentation plus modérée de l'enclave palestinienne. Cela traduit une approche descriptive et analytique, qui reconnaît la gravité de la situation sans insister systématiquement sur ses aspects les plus violents.

De ce fait, cette première analyse des cooccurrences immédiates révèle des différences dans la manière dont les trois sources associent le terme « enclave » à la notion de violence (Tableau 2). *Le Monde* adopte un ton factuel et peu chargé émotionnellement, *El-Watan* met en avant des locutions soulignant une violence extrême et une souffrance humaine marquée, tandis que *L'Orient-Le Jour* se positionne dans un équilibre entre émotion et description. Ces constats préparent l'analyse suivante, qui examinera comment ces associations se manifestent à l'échelle des paragraphes, notamment dans les représentations récurrentes liant « enclave », « violence », et « Gaza ».

Tableau 2 - Cooccurrences immédiates principales avec le mot « enclave » dans les journaux « Le Monde », « El-Watan » et « L'Orient-Le Jour entre le 7 octobre 2023 et le 7 octobre 2024

Locution	Le Monde	El Watan	L'Orient-Le Jour
Enclave palestinienne	145	320	361
Enclave dévastée	0	13	3
Enclave martyrisée	0	23	0
Enclave asphyxiée	0	1	0
Enclave appauvrie	0	1	0
Enclave assiégée	0	54	11
Enclave meurtrie	0	1	0
Enclave encerclée	0	3	0
Enclave martyre	0	3	0
Enclave sous blocus	0	3	9
Enclave sous le feu	0	1	0
Enclave côtière	0	0	6
Totaux occurrences "enclave"	554	548	640

Analyse des cooccurrences dans le même paragraphe du mot « enclave » avec des mots renvoyant à la notion de violence

Une recherche manuelle révèle que le terme « enclave » renvoyant à Gaza représente entre 85 % et 95 % des occurrences et s'inscrit dans des grappes sémantiques spécifiques, c'est-à-dire des réseaux de mots coexistant dans les textes pour construire un sens global. Nous avons vu auparavant que cette lexie est souvent accompagnée dans *El-Watan* et *L'Orient-Le jour* de qualificatifs comme « assiégée », « martyrisée » ou « dévastée », soulignant une tonalité émotionnelle forte et négative, notamment dans le journal *El-Watan*.

Le tableau suivant (Tableau 3) illustre la répartition, dans chaque journal, des cooccurrences du terme « enclave » avec d'autres mots évoquant la violence au sein d'un même paragraphe. Il s'agit ici

juste des cooccurrences principales avec le mot « enclave » dans les contextes relevés. Nous avons fourni plus loin une liste plus détaillée de ces cooccurrences (voir Tableau 4). Ces associations forment des grappes sémantiques dont le mot « enclave » constitue le noyau.

Tableau 3 - Proportions d'occurrences du mot «enclave» liées à Gaza et aux autres enclaves dans les journaux «Le Monde», «El-Watan» et «L'Orient-Le Jour entre le 7 octobre 2023 et le 7 octobre 2024

Journal	Total Occurrences	Occurrences liées à Gaza	% Occurrences liées à Gaza	% Autres Enclaves	Connotation Négative	Autres Enclaves Mentionnées
Le Monde	554	474	85,56	14,44	Bombardements, blocus, massacre	Haut-Karabakh, Kaliningrad
El-Watan	548	518	94,53	5,47	Enclave martyre, assiégée	Ceuta, Melilla
L'Orient-le Jour	640	610	95,31	4,69	Enclave sous blocus, guerre	Haut-Karabakh

Autres occurrences notables

Nous relevons également dans ce corpus les syntagmes « enclave du Haut-Karabakh », « enclave de Kaliningrad », « enclave de Ceuta », et « enclave de Melilla » mentionnés sporadiquement. Les contextes, dans lesquels ces syntagmes sont mentionnés, sont souvent associés à des tensions géopolitiques ou des conflits.

> …Huit anciens dirigeants de **l'enclave** séparatiste **du Haut-Karabakh** sont toujours en prison à Bakou, sans date de procès… (Le Monde, 4 juillet 2024)[1]

> …environ 4 000 Marocains – dont près de 150 mineurs – soupçonnés d'avoir voulu entrer illégalement dans **l'enclave** espagnole **de Ceuta** ont été arrêtés ou refoulés,

1 . F., Vincent (2024, 4 juillet). L'Azerbaïdjan accusé de « torture et mauvais traitements » sur des détenus arméniens. Le Monde.

> selon une source sécuritaire… les ressortissants marocains représentaient un quart des arrivées illégales à la frontière sud de l'Espagne en 2023 ; à Melilla (l'autre enclave espagnole, plus à l'est). (Le Monde, 21 septembre 2024)[1]
>
> …plus d'une quarantaine de Subsahariens, dont une majorité de soudanais, avaient été tués, au moment où plus d'un millier de migrants tentaient de passer par la force dans **l'enclave** espagnole **de Ceuta**. (El-Watan, 27 août 2024)[2]
>
> …une élection perturbée par des dégradations de bureaux de vote et des attaques dans les régions frontalières de l'Ukraine. Les bureaux de vote ont ouvert à 08h heure locale vendredi… Ils fermeront dimanche à 20h à **Kaliningrad, enclave russe au sein de l'Union européenne**. (L'Orient-Le Jour, 16 mars 2024)[3]

Grappes sémantiques liées à Gaza

Dans les trois journaux analysés, Gaza domine largement les cooccurrences avec le mot « enclave » (Tableau 4). Ce terme est systématiquement associé à une grappe sémantique à connotation négative, comprenant des mots comme : « bombardements », « blocus », « guerre », « massacres », « génocide », « victimes », « entassés », etc.

Ces termes traduisent la violence, la souffrance et l'isolement liés au territoire de Gaza. Par exemple, dans *El-Watan*, des expressions comme « enclave martyre »[4] ou « enclave asphyxiée »[5] renforcent cette charge émotionnelle en mettant en avant les conditions de vie dramatiques des habitants.

1 . A., Aublanc. (2024, 21 septembre). L'enclave de Ceuta sous la pression des migrants marocains. Le Monde.
2 . C., Berriah. (2024, 27 août). Cimetière de Nador (Maroc) : Des tombes de migrants sans épitaphe. El-Watan.
3 . AFP. (2024, 15 mars). Les Russes à la présidentielle pour réélire l'inamovible Poutine. L'Orient-Le Jour.
4 . O., Berbiche. (2023, 7 décembre). L'interventionnisme américain, l'isolationnisme russo-chinois...El-Watan.
5 . M., Benfodil. (2024, 13 avril). Au moins 274 morts en trois jours, dont trois fils d'Ismaïl Haniyeh : Un Aïd noir à Ghaza. El Watan.

Dans le journal *Le Monde*, bien que l'approche soit plus analytique, des mots comme « offensive », « raid », « combat » et « blocus » apparaissent fréquemment aux côtés de « enclave », formant une grappe qui illustre à la fois l'aspect militaire du conflit et l'isolement géopolitique de Gaza.

Quant à *L'Orient-Le jour*, nous avons constaté son recours fréquent à la presse internationale dans la rédaction d'articles (ex. Agence France Presse), ce qui peut expliquer la posture équilibrée de sa ligne éditoriale, déduite du calcul de cooccurrences immédiates du mot « enclave » et des lexies à charge négative, et ce malgré la proximité géographique du Liban avec Israël et les raids aériens menés récemment par Tsahal sur le Liban.

Grappes sémantiques géopolitiques et régionales

Comme démontré auparavant, le mot « enclave » est également utilisé pour désigner d'autres régions du monde, avec des connotations spécifiques. Le Haut-Karabakh, souvent accompagné de termes comme « séparatiste », « pro-russe », reflète les tensions ethniques et politiques liées à ce territoire. Kaliningrad, décrite dans certains cas comme une enclave « stratégique », fait émerger une grappe sémantique associant le mot « enclave » à des enjeux militaires et géostratégiques, notamment en raison des tensions entre la Russie et l'Europe.

Dans *El-Watan*, les enclaves espagnoles comme Ceuta et Melilla apparaissent dans des contextes évoquant la migration et la gestion des frontières, avec des mots comme « isolement » ou « blocus ».

Grappes sémantiques métaphoriques et poétiques

Outre les usages géopolitiques, certains articles utilisent rarement le terme « enclave » dans des contextes plus figuratifs. Dans *Le Monde*, des expressions comme « enclave luxuriante » ou « enclave exotique » évoquent des espaces isolés mais positifs, comme des lieux naturels

ou culturels préservés. Ces grappes sémantiques contrastent fortement avec les contextes conflictuels, mettant en lumière la polysémie du mot et sa capacité à générer des représentations variées selon les thèmes abordés.

Tableau 4 - Grappes sémantiques autour du mot «enclave» dans les journaux «Le Monde», «El-Watan» et «L'Orient-Le Jour entre le 7 octobre 2023 et le 7 octobre 2024

Terme associé (dans (le même paragraphe	Occurrences dans *Le Monde*	Occurrences dans *El-Watan*	Occurrences dans *L'Orient-le Jour*
Affrontement.s	11	1	21
Bombardement.s	153	125	119
Raid.s	26	73	42
Attaque.s	175	82	237
Pilonner.ée.é	9	20	13
Mort.s	190	139	182
Blessé.s	55	106	58
Offensive.s	84	44	111
Conflit.s	77	24	149
Génocide	18	29	38
Combat.s	59	35	107
Guerre.s	297	189	431
Réfugié.s	77	50	85
Entassé.s	5	2	8
Agression.s	3	137	16
Nettoyage ethnique	16	3	9
Massacre.s	30	62	39
Blocus	64	28	54
Victime.s	36	64	35
Total occurrences du "mot "enclave	554	548	640

Connotation négative dominante attribuée au mot « enclave »

L'analyse des cooccurrences immédiates et à l'échelle des paragraphes met en évidence une association fréquente du terme « enclave » avec

des expressions à connotation négative, en particulier dans le contexte de Gaza. De manière similaire, les résultats obtenus à l'aide d'un outil spécifique intégré à « Europresse » confirment cette observation. Cet outil évalue les proportions de tonalités en fonction du nombre de documents du corpus de presse sélectionné contenant le mot « enclave » (Figures 4, 5 et 6).

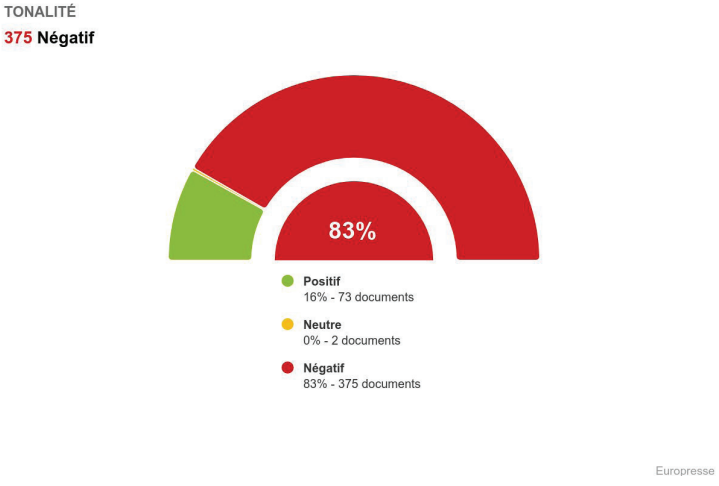

Figure 4- Tonalités du mot « enclave » dans la sélection d'articles du journal le Monde

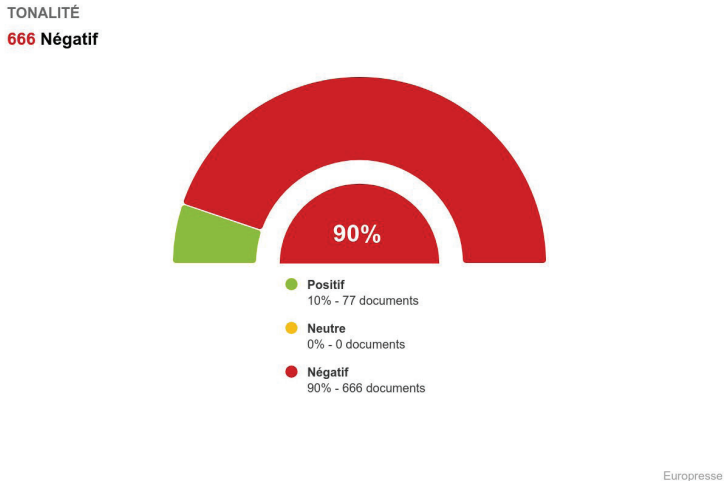

Figure 5- Tonalités du mot « enclave » dans la sélection d'articles du journal El-Watan

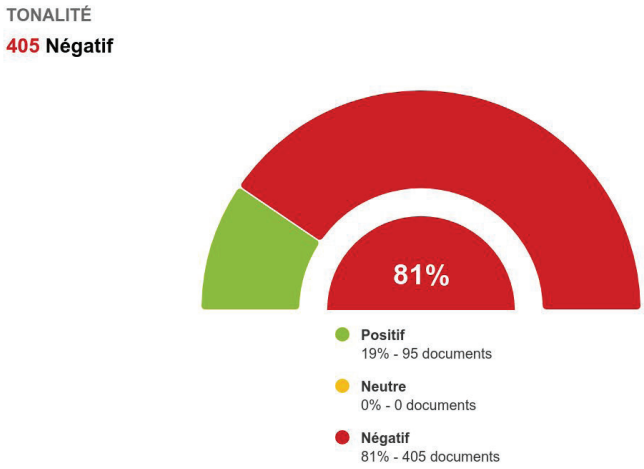

Figure 6- Tonalités du mot «enclave» dans la sélection d'articles du journal l'Orient-Le Jour

L'analyse de la tonalité des articles publiés par *L'Orient-Le Jour*, *El-Watan* et *Le Monde* révèle une prédominance des contenus négatifs dans les trois sources. Ces documents présentent la tonalité attribuée au mot « enclave », illustrant ainsi la perception de ce terme dans le discours de presse recueilli après le 7 octobre 2023. *El-Watan* affiche la proportion la plus élevée d'articles négatifs avec 90 % (666 documents), suivi du journal *Le Monde* avec 83 % (375 documents) et de *L'Orient-Le Jour* avec 81 % (405 documents). En ce qui concerne la tonalité positive, *L'Orient-Le Jour* se distingue avec 19 % d'articles positifs (95 documents), contre 16 % pour *Le Monde* (73 documents) et seulement 10 % pour *El-Watan* (77 documents). L'absence de documents neutres est notable dans les trois cas, à l'exception du journal *Le Monde* qui en compte seulement deux.

Ces résultats indiquent que la couverture médiatique du mot « enclave » est largement orientée vers une perception critique, bien que *L'Orient-Le Jour* semble légèrement plus équilibré en intégrant une proportion plus importante d'articles positifs.

Comparaison entre les trois titres de presse

Le Monde

D'une manière globale, ce journal adopte une approche relativement analytique, utilisant le terme « enclave » dans des contextes variés. Par exemple, il évoque la Transnistrie comme « une enclave séparatiste prorusse »[1] dans un cadre géopolitique et « enclave luxuriante des Cévennes »[2] dans un registre plus descriptif. Cependant, Gaza demeure la référence majeure, avec des expressions comme « l'enclave palestinienne, prise sous un déluge de feu israélien »[3].

El-Watan

El-Watan met l'accent sur la gravité de la situation à Gaza, en utilisant des qualificatifs émotionnels tels que « l'enclave martyrisée »[4] ou « l'enclave dévastée et assiégée »[5]. Ces formulations visent à sensibiliser le lecteur à la souffrance des populations. À côté de Gaza, les autres occurrences sont peu nombreuses mais marquent également des contextes négatifs, comme « l'enclave de Ceuta »[6], souvent associée aux tensions migratoires. Il est à noter ici qu'à la différence des deux autres titres, la ligne éditoriale d'*El-Watan* a tendance à faire référence à l'enclave palestinienne par le mot « Ghaza » au lieu de « Gaza ».

L'Orient-le Jour :

Dans *L'Orient-le Jour*, l'usage du mot « enclave » se concentre fortement sur Gaza. Les expressions comme « l'enclave sous blocus »

1 . S. Kauffmann. (2024, 9 mars). Il n'y a rien de plus important que d'aider l'Ukraine à gagner. Le Monde.
2 . I., Mériel & Y., Sultan-R'bibo. (2023, 27 novembre). Cinq nouveaux hôtels à Paris, pour toutes les envies : La Fantaisie, bain de verdure. Le Monde.
3 . H., Sallon. (2024, 2 octobre). Le Hezbollah se dit « prêt » face à une offensive terrestre. Le Monde.
4 . M., Benfodil. (2024, 12 septembre). Alors que les négociations sont dans l'impasse : Les opérations humanitaires de plus en plus difficiles à Ghaza. El-Watan.
5 . M., Abdelkrim. (2024, 7 juillet). Au moins 87 palestiniens ont été tués en 48 heures : L'armée israélienne s'acharne sur Ghaza. El-Watan.
6 . M., Makedhi. (2024, 6 octobre). Ils sont pour leur grande majorité originaires du Sahel et du Maroc : Les flux de migrants clandestins de l'Afrique vers l'Europe ne faiblissent pas. El-Watan.

ou « l'enclave palestinienne dévastée » soulignent les problématiques humanitaires et géopolitiques. Contrairement aux deux autres médias, ce journal accorde moins de place à des enclaves situées dans d'autres régions du monde, ce qui réduit la diversité des contextes d'utilisation. Il n'empêche que l'emploi de ce terme reste à charge négative tout comme pour les deux autres titres de presse mentionnés auparavant.

Cet aperçu démontre que la récurrence lexicale ne se limite pas à une simple répétition ; elle s'inscrit dans une stratégie discursive qui oriente et influence implicitement la réception des discours médiatiques. De ce fait, la récurrence lexicale sert de levier argumentatif en attribuant aux termes répétés une charge sémantique spécifique selon la ligne éditoriale de chaque journal.

Conclusion

L'analyse des occurrences et des contextes d'utilisation du terme « enclave » dans les trois titres de presse sélectionnés met en évidence des tendances significatives. Dans un cadre géopolitique, ce terme est fréquemment associé à des situations de conflit, d'isolement ou de tensions humanitaires, comme l'illustrent les nombreuses références à Gaza, et dans une moindre mesure, au Haut-Karabakh et à Kaliningrad. Cette connotation négative se manifeste à travers des cooccurrences récurrentes avec des lexèmes tels que « bombardements », « blocus », « massacres » ou encore « guerre ». Par ailleurs, certains toponymes jouent un rôle de passerelle sémantique entre le mot « enclave » et la notion de violence, Gaza occupant une place centrale dans le corpus étudié.

Cette recherche met ainsi en lumière le fait que, bien que la signification dictionnairique d'un mot puisse être stable, son interprétation en contexte peut varier selon la charge émotionnelle qui lui est associée. L'emploi du terme « enclave » pour désigner Gaza après le 7 octobre 2023 tend à renforcer une tonalité négative, contribuant ainsi à enrichir

la définition lexicale par l'ajout de sèmes spécifiques influençant son interprétation.

Cette observation s'inscrit dans une réflexion plus large sur la dynamique du sens en contexte, en écho aux travaux de Rastier (2011), qui souligne que la définition d'un concept dépend non seulement du cadre discursif dans lequel il est mobilisé, mais aussi de l'expérience et des représentations de l'interlocuteur. Cette perspective rejoint les études avançant que la sémantique linguistique ne repose plus sur des certitudes absolues, mais s'inscrit dans un champ complexe, articulant conventions lexicales et interprétation individuelle (Larrivée 2008, p. 13). Ainsi, la sémantique linguistique, en tant que discipline, constitue une tentative d'explicitation des propriétés linguistiques permettant d'évoquer l'univers de l'expérience humaine.

Dans cette optique, l'étude du sens ne peut être dissociée de son contexte d'énonciation et de réception. Le modèle de situation devient une représentation cognitive des événements, des actions et des acteurs décrits dans un texte, intégrant à la fois des expériences antérieures et des connaissances générales (Van Dijk et Kintsch 1983, p. 12-13). Ainsi, tout discours renvoie à une situation du monde réel dont l'individu construit une représentation mentale à partir de ses observations, de sa participation ou de son exposition à des informations sur le sujet traité (Van Dijk 1987, p. 161).

Dans cette perspective, l'équation, selon laquelle le discours est le produit du texte et des conditions de production et de réception (Adam, 2005), éclaire la manière dont les lecteurs interprètent les références à Gaza dans les corpus étudiés. L'interprétation de la lexie « enclave » est ainsi influencée par les connaissances et les représentations préalables stockées en mémoire à court terme, renforçant son association au concept de violence. Les degrés de cette relation, mise en exergue par les divers traitements médiatiques de la situation gazaouie, varient

toutefois selon la ligne éditoriale de chaque titre de presse. Dans tous les cas, l'association entre la violence et le terme « enclave » est bien établie. Il convient toutefois de souligner que cette corrélation ne découle pas uniquement de la simple récurrence de la lexie, mais surtout de la formation de grappes sémantiques[1] à travers des cooccurrences. Ces dernières peuvent constituer un arsenal argumentatif (Angenot, 2012) indirect, façonnant le noyau central de chaque grappe en lui attribuant des traits sémantiques spécifiques.

D'un point de vue théorique, ces conclusions ouvrent la voie à de nouvelles recherches en sémantique linguistique et en psychologie cognitive, soulignant l'intérêt d'une approche interdisciplinaire de l'analyse du discours. Un défi majeur consisterait à déterminer la scalabilité de la violence exprimée par le langage, ce qui permettrait d'affiner l'analyse des fréquences lexicales et d'évaluer leur corrélation avec différents degrés de violence représentés discursivement.

1 . « La fréquence d'un terme ne signifie rien ; une liste commence à parler ; une grappe révèle des valeurs sous-jacentes. Comparaison fait raison. Ces listes tiennent de la grappe, c'est-à-dire d'un ensemble de signes fonctionnant en dépendance ». (Tournier, 2002, §30)

Références bibliographiques

- Académie française. (1992). *Dictionnaire de l'Académie française* (9e éd.). Paris : Imprimerie de l'Académie française.
- Adam, J.-M. (1999). *L'analyse des discours : De la linguistique textuelle à la sociolinguistique*. Paris : Nathan.
- Adam, J.-M. (2019). La notion de texte. *Encyclopédie Grammaticale du Français*, en ligne : http://encyclogram.fr.
- Amossy, R. (2005). « The argumentative dimension of discourse ». Van Eemeren, Frans H. & Peter Houtlosser (eds). *Practices of Argumentation* (Amsterdam: John Benjamins), 8798-
- Amossy, R. (2007). « Les récits médiatiques de grande diffusion au prisme de l'argumentation dans le discours : le cas du roman feuilleton », *Belphégor, Idéologie et stratégies argumentatives dans les récits imprimés de grande consommation*. XIXème – XXIème siècles 54 (en ligne)
- Amossy, R. (2008). « Argumentation et Analyse du discours : perspectives théoriques et découpages disciplinaires », *Argumentation et Analyse du Discours*, mis en ligne le 06 septembre 2008
- Amossy, R. (2009). « Argumentation in Discourse : A Socio-discursive Approach to arguments », *Informal Logic* 29:3, 252-267
- Amossy, R. (2010). *La présentation de soi. Ethos et identité verbale* (Paris : PUF)
- Amossy, R. (2012) [2000]. *L'argumentation dans le discours* (Paris : Colin)
- Amossy, R. (2018). Introduction : la dimension argumentative du discours – enjeux théoriques et pratiques. *Argumentation et Analyse du Discours, 20*. https://doi.org/10.4000/aad.2560
- Angenot, M. (2012). La notion d'arsenal argumentatif – L'inventivité rhétorique dans l'histoire. *RÉTOR, 2*(1), 1–36.
- Bardin, L. (1977). *L'analyse de contenu*. Paris : Presses Universitaires de France.
- Benveniste, É. (1966). *Problèmes de linguistique générale*. Paris : Gallimard.
- Cartier, E. (2018). *De l'extraction d'information à la représentation sémantique : Dossier pour l'Habilitation à Diriger des Recherches : Liste annotée des publications*. Université Paris 13. Disponible sur https://tal.lipn.univ-paris13.fr/neoveille/html/data/ecartier/ecartier_liste_publications_final_09122018.pdf
- CNTRL. (n.d.). *Centre National de Ressources Textuelles et Lexicales*. Disponible sur https://www.cnrtl.fr

- Delormas, P. (2015). Dominique MAINGUENEAU Discours et analyse du discours. Introduction Paris, Armand Colin, 2014. *Langage Et Société*, *N° 154*(4), 159–161. https://doi.org/10.3917/ls.154.0159
- Ducrot, O. (1980). *Les échelles argumentatives*. Paris : Les Éditions de Minuit.
- Europe 1. (2024, 23 octobre). *Benjamin Netanyahu : « Notre guerre est aussi la vôtre » (interview exclusive Europe 1/CNews)* [Vidéo]. YouTube. https://www.youtube.com/watch?v=a7Adz99macg
- Furetière, A. (1690). *Dictionnaire universel*. Paris : Chez la veuve Furetière.
- Godefroy, F. (18811902-). *Dictionnaire de l'ancienne langue française*. Paris : Imprimerie Impériale.
- Gandon, F**.** (1980). *La connotation, par C. Kerbrat-Orecchioni*. *Communication et langages, 47*(3122-121 ,(4-.
- Greimas, A. J. (1983). *Du sens II : Essais sémiotiques*. Paris : Seuil.
- Kepel, G. (2012). *Banlieue de la République*. Gallimard.
- Larousse. (2024). *Larousse en ligne*. Disponible sur https://www.larousse.fr
- Le Robert. (2024). *Le Robert en ligne*. Disponible sur https://www.lerobert.com
- Legallois D. (2006). Des phrases entre elles à l'unité réticulaire du texte. *Langages* 163, 5670-. Littré, É. (18721877-). *Dictionnaire de la langue française*. Paris : Librairie Hachette.
- Maingueneau, D. (1996). *Les termes clés de l'analyse du discours*. Paris : Seuil.
- Mansat, P. (s. d.). *Gilles Kepel « ; Nous sommes entrés dans un terrorisme endogène qui se fabrique en France dans les enclaves de la République. . .» ; - Pierre Mansat et les Alternatives*. https://www.pierremansat.com/201910//gilles-kepel-nous-sommes-entres-dans-un-terrorisme-endogene-qui-se-fabrique-en-france-dans-les-enclaves-de-la-republique.html
- Rabatel, Alain. (2004). *Argumenter en racontant* (Bruxelles : De Boek)
- Rabatel, Alain. (2014). « Quelques remarques sur la théorie argumentative de la polyphonie » *Arena romanistica,* 14, 204222-
- Rabatel, Alain. (2016). « En amont d'une théorie argumentative de la polyphonie, une conception radicale de l'énonciation comme énonciation problématisante », *Verbum* XXXVIII, 1-2, 131-150
- Rabatel, Alain. (2020) Appel à la pitié, questionnement problématologique et paradoxe pathémique. *Argumentation et analyse du discours*. DOI: 10.4000/aad.4087

- Rastier, F. (1987). *Sémantique interprétative*. Paris : Presses Universitaires de France.
- Searle, J. R. (1969). *Speech acts: An essay in the philosophy of language*. Cambridge : Cambridge University Press.
- Tauveron, M. (2012). De la cooccurrence généralisée à la variation du sens lexical. *Corpus*, *11*. https://doi.org/10.4000/corpus.2236
- Tournier, M. (1991). *Introduction à l'analyse de contenu*. Paris : Presses Universitaires de France.
- Tournier, M. (1996). Français à l'extrême-droite, un mot habité. In S. Rémi-Giraud & P. Rétat (eds.), *Les Mots de la nation* (1–). Presses universitaires de Lyon. https://doi.org/10.4000/books.pul.1823
- Tournier, M. (2002). Français à l'extrême droite, un mot habité. In *Propos d'étymologie sociale. Tome 2* (1–). ENS Éditions. https://doi.org/10.4000/books.enseditions.1719
- Viprey, J-M. (2006). Structure non séquentielle des textes. *Langages* 163, 71-85.

Reenactment in (Moroccan) Arabic storytelling: Towards an embodied approach

Dris Soulaimani[1*]

Abstract

This study examines embodied reenactments in storytelling. Drawing on theories of discourse analysis, the study examines the ways in which a Moroccan narrator displays embodied stances through reenactments to actively engage his addressee and achieve alignment and co-participation. Data used in this study is derived from an eight-hour video recording of the story participants in their natural work environment. Analysis shows how story reenactments are constructed through a coordinated system of speech, embodied acts and prosody, which increase alignment and present story events in an entertaining manner. The narrator and his addressee collaboratively construct alignment through nonlinguistic elements such as pauses and laughter, which function not only

1.* Dris Soulaimani is associate professor of Linguistics and Asian/Middle Eastern Languages at San Diego State University (SDSU). He is currently the director of the Arabic program at SDSU and the president of the American Association of Teachers of Arabic (AATA). He received his Ph.D. in Applied Linguistics from the University of California Los Angeles (UCLA). His research interests include discourse analysis, language ideologies and Arabic sociolinguistics.

as temporal extensions but also as embodied acts of stance display. This collaborative framework in storytelling, or in language interaction overall, presupposes going beyond the stream of speech or linguistic structure to examine embodied performances in which various semiotic resources are combined and mutually elaborate one another.

Keywords: Semiotic resources; storytelling; reenactment; embodiment; Arabic; Morocco

1. Introduction

This study examines animated storytelling that took place in southern Morocco. Three merchants are seated in a small store, reminiscing about events from the past. One of them, Ali, relates the narrative of a group of men having tea after dinner time in the countryside. In the story, one of the group members is a snake charmer, who is requested to showcase the snakes in a room where they are seated. During his performance, the light accidentally went out, causing the audience to run and chaotically exit the dark room. The narrator reenacts these story events and expresses various types of spoken and embodied stances to actively engage his addressee and achieve alignment and co-participation (Streeck, 2009; Mondada, 2011). In the telling, he initially demonstrates how the attendees are appreciating the calm atmosphere and enjoying their communal tea. He subsequently describes the group's terrifying experience with snakes when the light extinguishes. His depiction of story events is articulated through words, but it is demonstrated more vividly through his embodied actions. Additionally, the narrator uses not only talk but also voice qualities and pauses to animate elements of the telling. For example, his story punchline (line 22 below) is animated through different forms of prosody and various lengths of pauses. As noted by Heritage (2002), the pauses serve, among other functions, as a temporal extension, enabling the storyteller to attain mutual alignment in interaction (See also Sacks, 1992).

هو طفى الضوء22 **A**

huwa *ṭə*(0.1)*fa* *hh ḍḍuw (0.2) ((laughing))

The light went out

In this example, which will be examined further below, the pause is atypically situated within the word boundary (*ṭəfa* "extinguish"), segmenting it into two distinct syllables, namely /*ṭə*/ and /*fa*/. Such phonemic pauses are generally associated with disfluency or hesitation (Chafe, 1980). Here the pause is completely functional and quite deliberate to highlight the most significant part of story events (see also Matzinger et al. (2023) on the cognitive properties of pauses). Ali's storytelling is intensified by other semiotic resources, including laughter, through which the narrator displays a particular stance (Goodwin, 2015), inviting his interlocutor to join (align) in his laughter. This alignment is collaboratively built as a stance display that is integrated into broader contextualized frameworks of the interactants' bodies in respect to one another (Günthner, 1997; Goodwin, 2003; Hayashi, 2005; Du Bois and Kärkkäinen, 2012; Author, 2024). Hence, the storytelling components are executed through a coordinated system of speech, embodied acts and prosody. This combination increases expressions of recipiency and alignment (Sidnell, 2006), and consequently presents story events in the most engaging and enjoyable manner.

This study is organized into four main sections. After the framework section, data and methodology are presented. Subsequently, the results and discussion section is structured with a focus on 1) the integrated complex of embodied telling, 2) pauses and sounds as units of story interaction, and 3) the dynamics of laughter in storytelling. Each of these subsections explore the multimodal aspects of storytelling. These story properties are constructed upon different semiotic resources which establish the framing between the addressor and addressee in order to achieve co-participation. The final section provides a summary of the study's main components and outlines prospects for further research.

2. Framework

Analysis of talk in interaction provides a nuanced understanding of the cultural and social features of language (Fitch et al., 2004; Goodwin, 2015; Schegloff, 1997, 2020). This approach is especially emphasized in discourse analysis and conversational analysis, which integrate nonlinguistic features in language analysis. Such methods are ideal for analyzing storytelling, which typically involve reenactments of narratological events during natural interactions (Goodwin, 1986; Good, 2015; Caronia, 2021). These reenactments are performed linguistically and enhanced through embodied gestures, prosody and other semiotic resources which operate in complementary distribution (see Good, 2015; Goodwin, 2007; Author, 2018). These performances serve as discursive tools aimed at securing the addressees' alignment and co-participation (Heritage, 2002; Streeck, 2009; Mondada, 2011; Bertrand and Goujon, 2017).

Reenactments are units of telling, which evoke increased *attention* and *recipiency* (Sidnell, 2006: 405). The narrators perform these reenactments to stimulate responses from their interlocutors and consequently engage in a collaborative build of action (Goodwin, 1986; Good, 2015, Author, 2016; Dressel, 2020). For Holt, 2000, direct reporting involves enacting events while indirect reporting shows only spoken narratives. In Goffman's framework (1981), the narrator not only reports the events, but also metaphorically animates the different types of voices which emerge in the telling. When telling a story, the narrator reenacts its events and may even approximate the physical sounds produced by the characters. Just like photos record objects in the environment, such phonological representations provide a portray of human interaction (Sternberg, 1982; Streeck, 2021) and enregister the voices of particular social persona in the process of storytelling (Agha, 2005; see also Author, 2021).

The narrators also draw on prosody, which accompany the talk, to provide other forms of embodied actions (Sidnell, 2006; Kendon, 2009;

Niemelä, 2011; Goodwin, 2015; among others). As such, narrative is not confined to verbal expressions or language grammar; rather it is built through embodiment as part of various semiotic resources that elaborate one another. Accordingly, ungrammatical linguistic items like prosodic sounds are rendered grammatically accurate when considering context, gestures, and other semiotic resources in interaction (Goodwin, 2007; Prior et al., 2006).

In this study, the focus will be on the way embodiment fosters the interactive and social properties of storytelling (Goodwin and Goodwin, 1992; Sidnell, 2006; Du Bois, 2007). To convey meaning in storytelling (or in other interactional situations), an ensemble of tools is warranted, which encompass speech, embodied gestures and other objects that are available in the environment (Goodwin and Goodwin, 1996; Goodwin, 2007). Embodiment enriches the process of communication tasks while speech alone may be inadequate to perform all interactions effectively (Goodwin, 2007). While this argument might appear straightforward at first, it is frequently overlooked in linguistic research, including in studies on language and society (Bucholtz and Hall, 2016; Pratt, 2018). This view shows how language is a multimodal social field that is formed by different speakers or social actors, who employ a variety of semiotic objects in communication (Sacks, 1992; Ochs et al., 1992; Schegloff, 1997; Sidnell, 2000; Norris, 2004; Goodwin, 2015; among others).

Similar to the properties attributed to speakers, hearers fulfill a comparably important role, shaping conversational units through both their actions or inactions (Goodwin and Heritage, 1990). The significance of all parties involved in conversation gives more evidence about the interactive quality of language as a social phenomenon situated within broader environments in which all participants co-construct meaning in conversation (Goodwin, 2000; Heath, 1986; Goodwin and Goodwin, 2000; Goodwin, 2015).

Successful narratives typically establish alignment between the narrator and the recipient who both achieve a congruent stance display (Goodwin, 2007; Author, 2016; among others). Stance refers to forms of evaluating talk and action of different participants in social interactions (Du Bois and Karkkainen, 2012). Alignment, as a process of mutual understanding between the teller and the recipient, is manifest through several linguistic and nonlinguistic tools, permitting the narrator to build storytelling in a collaborative manner (Stivers, 2008; Guardiola & Bertrand, 2013; Bertrand and Goujon, 2017; Author, 2021). In this regard, Mondada (2011) notes that alignment is a collaborative action defined by - among other things, its situational and embodied nature. The current paper builds on these studies to discuss the ways in which alignment is collaboratively achieved verbally. It demonstrates, however, that alignment is constructed more efficiently through embodied actions and prosodic properties of speech.

3. Method

Within discourse, the significance of embodiment can be highlighted through visual examination of real-life data situations such as family gatherings, workplaces and dinner tables (Sacks, 1992; Goodwin and Goodwin, 1996). Accordingly, a video camera was utilized to gather data that informs this study. The camera was positioned within a small jewelry store in a southern city in Morocco, capturing the embodied actions, gestures and verbal conversations of the participants in their authentic workplace environment. The recording was conducted in multiple sessions, totaling eight hours. The analysis in this article is limited to one set of data, which spans less than two minutes.

In the recording, Ali (A), Omar (O), and Moha (M), all of whom are merchants, discuss their daily lives and recount stories from their personal and community experiences. Ali and Omar are the main participants in the analyzed storytelling. In their conversation, they use

Moroccan Arabic, one of the language varieties spoken in Morocco. Berber/Amazigh dialects and Standard or Classical Arabic are among the other varieties in the country. As previously stated, Ali's story revolves around a group of men who demand that a snake charmer perform to entertain their social gathering. To give context, snake charming is known in Morocco as a social and traditional practice. Practitioners in this field are called Issawa (plural form of Issawi), a term which expresses affiliation to Mohamed Ben Issa (also Ben Aissa), a religious scholar, known historically from the 16 Century CE for his ability to control venomous snakes and ferocious animals. Issawa's ability to tame snakes is not just attributed to bravery or individual skills; it is also said to be linked to the spiritual connection to Ben Issa's way of life (Tingle and Slimani, 2017).

4. Analysis and discussion

Ali's story takes place in Morocco, depicting a joyful tea gathering that turns into a terrifying experience. In this country, especially in rural areas, drinking tea is not merely a consumption activity, but also a sociocultural event that follows certain rituals and traditions. People typically convene at tea tables to share stories and obtain updates on community affairs. The following is the exchange and storytelling presented by Ali (A) who interacts with Omar (O), his main recipient.

1 A دخلوا لداك البيت وتعشاوا وداك الشي

dexlu ldak lbit u tʕeʃʃaw u dak ʃʃi=

They entered that room and had dinner and so on

2 وڭالوا ليه أربي العيساوي إلا ما جبد لِنا الحناش

=u galu lih arbbi al ʕisawi ila ma jbed lina leħna:ʃ (0.2) ((posture, hand gestures and looking))

They told him: Snake charmer, for God's sake why don't you show us the snakes

O 3 أييه

ayyih= ((smiling))

Yes

A 4 وهمَ معمرين أتاي ومعمرين داك الشي وڭالسين وداك الشي وبقوا

°=u huma mʕemrin atay u mʕamrin dak ʃi u galsin u dak ʃi u bqaw, (0.1) ((monotonoous voice))

And they were having tea and having that, sitting and staying

5 المهم كلوا وشبعوا

LMUHIM klaw u ʃebʕu:, (0.4) ((hand bouncing and change in prosody))

Anyway, they had enough food

O 6 أه ((nodding and smiling)) =ah))

Yes

A 7 وهو ڭال ليهم أودي أنا ما ڭَد أنا كنت في السوق

=u huwa gal lihum awddi ana ma gadd ana kunt fi ssu:q=

He told them, please I'm tired. I [just] came back from the *souq* (weekly market)

ڭالوا ربي إلا ما غير جبدهم نتفرجوا عليهم شي شوية8

=galu rbbi ila ma γir jbedhum netferju ʕlihum ʃi ʃwiyya (0.2) ((looking at Omar))

They told him for God's sake just pull them out so we can see them for a short time

O 9 أه

ah (0.1)

Yes

10 **A** هم يكحازوا لداك الداخل د البيت

huma yekħazu ldak ldaxel d lbit ((sweeping gesture))

So they moved towards the back of the room

11 ((square gesture)) وڭلس هو وجبد دوك الصنيدقات

u gles huwa (0.1) u jbed duk ṣnidqat= ((hand gestures))

He sat down and brought those little boxes

12 وبدا كيجبد دوك الحناش كيحطهم

=u bda kayjbed duk leħnaʃ kayħeṭhum (0.3) ((sliding and bouncing hand gestures))

And he started taking out those snakes and putting them down [on the floor]

13 وكيضرب ديك تڭنزا ديال تاك أتاك أتاك أتاك أتاك

U KAYḌreb dik tagenza dyal tak atak atak atak atak = ((clapping hands rhythmically)

And he was hitting the drum [sound]

14 **O** أه

=ah= ((nodding rhythmically))

Yes

15 A وهادوك الحناش هكدا من هنا

=uhaduk leħnaʃ hakda men hna=

And those snakes this way from here

16 وهمَ كيضحكوا فهمتِ

=u huma kayḍeħku fhemti, (0.1)

And they were laughing you know

17 أرا أزڭاع أرا داك الكحل

=ara azggaɣ ara dak lekħel

Show us the red one, show that black one

18 اسمُ بالشلحة تا يڭول له وكدا

=asmu beʃelħa taygulu lih u kada (0.2)

Whatever they call it in Berber and so on

19 شوية هو يضرب شي واحد الشمعة

ʃwiyya huwa yeḍreb ʃi waħed ʃʃemʕa (0.4) ((hand gesture and looking))

Suddenly, someone hit the candle

20 بيديه فوڭ المايدة

BIYDDIH fug lmayda ((hand gesture)) (0.3)

With his hand on top of the table

21 **O** آه

aah

Ye:s

22 **A** هو طفى الضوء

huwa *ṭə*(0.1)*fa* *hh ḍḍuw (0.2) ((laughing))

The light went out

23 O كو كو كو كو بسم الله الرحمن الرحيم يا لطيف

ku ku ku ku ku bismillahi rraħmani rraħim ya laṭi:f = ((smiling then laughing))

ku ku ku ku ku **[sounds] Oh merciful God**

24 هادي ما عاودتيهاش لي أ علي هادي

=hadi ma ʕawdtihaʃ ɾliya a Ali hadi,

This one you didn't tell me about this one, Ali

25 A طفى الضوء وتسمع زدردر داف درداف باق

ʟ ṭəfa ḍḍu u teSMEʕ *ZDER DER DAF DER DAF BAQ* *hhh= ((laughing))

The light went out and you hear [sound]

26 ما عاودتيش لي هادي

=ma ʕawdtiʃ liya hadi (0.4)

You didn't tell me about this one

27 ومول الدار ملّي سمع داك الشي جا

u mu:l ddar melli smeʕ dak ʃʃiy ja (0.3) ((laughing))

The host came when he heard that

28 ڭال له أش

gal lih aʃ (0.1)

He said what

29 ملّي شعل شعلوا شي شمعة أولا أش داك الشي

°melli ʃʕel ʃeʕlu ʃi ʃemʕa aw la aʃ dak ʃʃiy, (0.2)

When they lit some candle or something

30 **O** آه

aah=

Ye:s

31 لقى لقَوا عرفتِ أش داروا

=lqa lqaw ʕrefti aʃ daru, (0.1)

He found, you know what they did

32 حيّدوا الباب ديال البيت

ĦAYdu lbab dyal lbit (0.1)

They removed the door of the room

33 **O** آه

a::h=

Ye:s

34 **A** مع داك البيت كيكون غير داك البويب الصغيور

=mʕa dak lbit kaykun ɣir dak lbuweb ṣɣiwer (0.2) ((drawing square gestures))

Since that room only has a very small door

35 **M** طيروه

ɾṭayru:h

They flew with it

37 **A** خرجوا منه دقة وحدة كاملين

└xerju mennu deqqa weħda kamli:n=

They all exited at the same time

38 **O** يا لطيف يا لطيف

=ya laṭi:f ya laṭi:f=

Oh my God, oh my God

39 **A** داك القجر وداك الشي مليوح في المراح

=dak leqjer u dak ʃʃiy melyuħ fi lemraħ, (0.1)

The door frame and that was thrown in the house yard

40 **O** وا اخوي راه الخلعة

=wa: xuya rah lxelʕa,

That's a scare, my brother

Integrated complex of embodied telling 4.1

Ali demonstrates intricate ways of telling that encompass different bodily movements and sound properties. His narrative starts with an account of the way attendees entered the room to have tea and engage in activities typical of such gathering. Among the attendees is a snake charmer, who is present not in his professional role, but rather as a guest. Specific examples from the storytelling exchange are selected for examination in each analytic section. Here, the group asks the charmer to show his snakes and insists in their request. He initially declines as indicated below, but ultimately agrees to their request.

2 **A** وڭالوا ليه أربي العيساوي إلا ما جبد لِنا الحناش

=u galu lih arbbi al ʕisawi ila ma jbed lina leħna:ʃ (0.2) ((posture, hand gestures and looking))

They told him: Snake charmer, for God's sake why don't you show us the snakes

7 **A** وهو گال ليهم أودي أنا ما گَد أنا كنت في السوق

=u huwa gal lihum awddi ana ma gadd ana kunt fi ssu:q=

He told them, please I'm tired. I [just] came back from the *souq* (weekly market)

8 ڭالوا ربي إلا ما غير جبدهم نتفرجوا عليهم شي شوية

=galu rbbi ila ma γir jbedhum netferju ʕlihum ʃi ʃwiyya (0.2) ((looking at Omar))

They told him for God's sake just pull them out so we can see them for a short time

The attendees' request (lines 2 above) is expressed politely, using the religious expression *arbbi ... ila* ma, which most likely derives from the Classical Arabic expression *bi rabbi lima laa…* "for God's sake why not..." The attendees' politeness is as well reenacted in the

Figure 1. Embodying the request

Figure 2. Bouncing gesture

reporting where Ali bends down in a submissive mode, embodying an exaggerated humility, and looking down while making the request. He drops his chin and then looks up at his interlocutor in an intense manner, so demonstrating the act of persuading the snake charmer to accept the request (figure 1).

The reenacted request is organized into different embodied structures that include 1) the intense looking at the interlocutor, 2) the tilting of the head to display humility as a means for persuasion, 3) the gesture of pulling the snakes out of the boxes (line 2), which demonstrates the feasibility of fulfilling the request, and 4) the long pause, which follows the narrator's embodied actions. This moment of silence could be attributed either to the characters in the original story or to the present narrator who ensures the recipient's alignment. Through his eloquent telling and vivid embodied performance, Ali effectively maintains his interlocutor's attention, who continues to smile, looking expectantly at the narrator for the unfolding of story events.

The charmer initially disapproves of the group's request (line 7). His refusal is expressed discursively through the affective term *awddi* "please," a Moroccan Arabic form or address that originates from

the Classical Arabic vocative phrase *a wuddi* "O my love." Instead of an outright rejection, he mentions his visit to the *souq* as a ground for soliciting empathy. Souqs in Moroccan villages are known for high level of activity; people purchase vegetables, meat and their weekly essentials. Souqs are also sites for various entertainment events including *halqas* (theatrical circles) and snake charming. For the charmer, the souq can be an exhausting professional site, which necessitates some rest after a demanding workday. His reluctance to firmly decline the group's request, however, indicates that there is a possibility for negotiation.

The group seems insistent to view the snakes and take advantage of the *Issawi*'s presence in the party, so they repeated their request (line 8). The repeats are verbally reported and bodily reenacted by Ali, who tries to present a coherent story in the most enjoying form. Ali's reported repeats are not identical but quite necessary for an interactive storytelling. The second request contains more information than the first; it involves persuasive elements of discourse such as *ɣir* "only" to mitigate the request, and *ʃwiyya* "a little" to assure the group is not anticipating an extended or exhausting snake charming show.

The charmer eventually agrees to perform. His agreement is implied in Ali's reporting rather than explicitly stated; it is indicated through the group's moving backward in preparation for the show. Ali says, *huma yekħazu ldak ldaxel d lbit* "so they moved aside to the back of room" (line 10). He adds *u gles huwa* (0.1) *u jbed duk ṣnidqat* "he sat down and brought those little boxes (line 11). To signal the group's move, Ali makes a sweeping gesture with his left hand towards the back of the store in which he and his interlocutor are seated. He also draws a square gesture with both hands to depict the boxes from which the snakes are taken. The embodied act of moving backward and the virtual box drawing are both designed for the addressee to see, and to understand the story events with utmost clarity.

The snakes are now being removed from their boxes. To describe this scene, Ali states: *u bda kayjbed duk leħnaʃ kayħeṭhum* (0.3) "he started taking out those snakes and putting them down [on the floor]" (line 12). In his reporting, Ali pauses for a while before resuming the narrative and shifting his prosody, raising his voice in a stark contrast to his low monotonous voice depicting the quite atmosphere earlier in the story (line 4). He also pulls his hands backward mimicking the act of sliding snakes out of their boxes, then he bounces the hands palm-down to depict the act of putting snakes on the floor (figure 2). These embodied actions are again performed to ensure the addressee is aligning himself with the narrator and story events. The bouncing gesture also indexes its significance in the progression of his reporting (Kendon, 2009; Author, 2016), foreshadowing the state of fear and chaos that unfolds in subsequent story lines.

Typically, people show gestures or body movements to achieve reciprocal alignment from other participants. When this form of alignment is not attainable, people turn away from the targeted participants. In such cases, *disalignment* occurs, indexing difficulty in comprehension and a break in an ongoing action (Bertrand and Goujon, 2017). In contrast, alignment is mutually manifest as a shared stance display that is embedded within a larger framework of the bodies in interaction (Mondada, 2011). In this storytelling, the narrator knows how to organize his body in a way that further sustains his alignment. The addressee is using his body not only to display his understanding, but also to create an environment in which other discursive actions are possible. Looking at Ali's narratological embodiment, we can go as far as to say that his words could be removed, and the meaning of his storytelling could still be to a large extent available.

22 **A** هو طفى الضوء

huwa *ṭə*(0.1)*fa* *hh ḍḍuw (0.2) ((laughing))

The light went out

29 **A** ملّي شعل شعلوا شي شمعة أولا أش داك الشي

°melli ʃʕel ʃeʕlu ʃi ʃemʕa aw la aʃ dak ʃʃiy, (0.2)

When they lit some candle or something

31 **A** لقى لقَوا عرفتِ أش داروا

=lqa lqaw ʕrefti aʃ daru, (0.1)

He found, you know what they did

32 حيّدوا الباب ديال البيت

ḤAYdu lbab dyal lbit (0.1)

They removed the door of the room

34 **A** مع داك البيت كيكون غير داك البويب الصغيور

=mʕa dak lbit kaykun ɣir dak lbuweb ṣɣiwer (0.2) ((drawing square gestures))

Since that room only has a very small door

37 **A** خرجوا منه دقة وحدة كاملين

└xerju mennu deqqa weḥda kamli:n=

They all exited at the same time

In the subsequent lines, Ali describes the terrifying moments when the light went out in a room containing snakes. During his reporting, Ali embodies the actions of the snake charmer and incorporates other individuals' speech into his own (Goodwin, 2007). As noted by Sidnell (2006), the act of reporting is frequently accompanied by reenactments of reported events as units of storytelling that induce heightened

Figure 3. Square gesture

displays of recipiency and attention. Reenactment in Ali's telling is performed with an orchestrated complex of talk, embodiment, and prosody to present the story in the most entertaining manner.

In line 32, the story reveals more humorous but also tragic events, when the party host (presumably not in the room) discovers that the group broke the room's door during their chaotic escape. Ali explains that the door was broken given its small size (line 34) and describes how the individuals all exited at the same time (line 37). The dimensions of door are portrayed by Ali verbally, but they are depicted more vividly in hand gestures, drawing a small square twice with the index finger of both hands (figure 3). Hence, the smallness of the door is conveyed grammatically through the diminutive noun *bweyeb* "small door" and the diminutive adjective ***ṣ****yiwer* "very small" (line 34). The meaning of the diminutives is parallelled by a double hand gesture of drawing small squares. Embodiment of the small door in such a way is designed for the addressee to see and it functions as a discursive instrument for emphasis and an invitation for alignment.

4.2 Pauses and sounds as units of story interaction

A 4 وهمَ معمرين أتاي ومعمرين داك الشي وكّالسين وداك الشي وبقوا

°=u huma mʕemrin atay u mʕamrin dak ʃi u galsin u dak ʃi u bqaw, (0.1) ((monotonoous voice))

And they were having tea and having that, sitting and staying

5 المهم كلوا وشبعوا

LMUHIM klaw u ʃebʕu:, (0.4) ((hand bouncing and change in prosody))

Anyway, they had enough food

6 **O** أه

ah= ((nodding and smiling))

Yes

Ali makes certain the interlocutor is following his story before he resumes the telling. His strategies include both talk and non-talk, complemented through particular embodied actions. Ali describes the moments of tranquility that precede the turmoil into which the group will fall. The narrator highlights this situation through not only words and gestures but also through prosody, lowering his pitch and speaking in a monotonous tone as mentioned before. Upon finishing his utterance in line 5, he immediately pauses for an extended period of time, staring at his addressee to confirm the latter is following the story events. Omar, his addressee, eventually confirms verbally by saying *ah* "yes" (line 6), and nonverbally through a nod of recognition and a soft smile.

In line (5), Ali uses the expression *LMUHIM* "the important thing," which can also be interpreted as "anyway." This is a discursive devise which marks a shift in topic or an end of an exchange (Park, 2010). The expression here marks the end of the descriptive phase of the narrative, serving as a mechanism that prepares the addressee for the story punchline. The shift in topic is marked discursively by both the

lexicon and prosodic features, characterized by the narrator's increased volume. Following this multimodal shift, the addressee responds positively, demonstrating his attention through repeated nods, an expectant look and a continuous smile.

19 **A** شوية هو يضرب شي واحد الشمعة

ʃwiyya huwa yeḍreb ʃi waħed ʃʃemʕa (0.4) ((hand gesture and looking))

Suddenly, someone hit the candle

20 بيديه فوك المايدة

BIYDDIH fug lmayda ((hand gesture)) (0.3)

With his hand on top of the table

While the group were enjoying the snake show, the candlelight suddenly went out (line 19). Until recent years, candles and other conventional fuels have been the primary sources of illumination in different parts of rural Morocco. Currently, however, electricity has been introduced in most villages. In Ali's story, the candle seems to be the only source of light in the room. This means that when the candle is blown out the group will be surrounded by snakes in a room with no light.

The gravity of this situation is dramatically portrayed by the narrator in lines (1922-) through different semiotic resources, including verbal and nonverbal actions. He strategically uses exaggerated pauses to divide his utterances. The first pause took place after *ʃʃemʕa* "candle," the significant lexical element in the telling. The second comes after the noun *lmayda* "table," indexing completion of his sentence, and possibly functioning as a prolongation to establish alignment (Heritage, 2002). The third pause is unusually placed within the verb itself (*ṭəfa* "extinguish"), dividing it into two separate syllables, namely /*ṭə*/ and /*fa*/. Such phonemic pauses are typically attributed to

disfluency or hesitation in speech production (Knudsen at al., 2018). Here, however, the word-internal pause seems intentional to highlight the most significant event, producing highly articulate and entertaining narrative. Hence, talk and non-talk are both important in analyzing discourse. Ali's moments of silence are crafted for narratological purposes, enhancing the alignment between the present speaker and the addressee, while also amplifying narrative events through increased suspense.

13 **A** وكيضرب ديك تڭنزا ديال تاك أتاك أتاك أتاك أتاك

U KAYḌreb dik tagenza dyal tak atak atak atak atak = ((clapping hands rhythmically)

And he was hitting the drum [sound]

14 **O** أه

=ah= ((nodding rhythmically))

Yes

25 **A** طفى الضوء وتسمع زدردر داف درداف باق

ṭəfa ḍḍu u teSMEʕ *ZDER DER DAF DER DAF BAQ* *hhh= ((laughing))

The light went out and you hear [sound]

Ali's voice intensifies at the time he reports the snake charmer's performance, producing sounds of hitting a hand frame drum. In his reenactments, Ali repeatedly claps the palm of his right hand with the upper part of his left hand to make a rhythmic beat (line 13 and figure 4). His clapping actions are enhanced through his musically toned sounds *tak atak atak atak atak,* which make vivid the action of hitting drums. These animated actions not only captivate the addressee's attention, but also make him produce rhythmic nods in concert with

Figure 4. Clapping hands

Figure 5. Embodying the chaos

Ali's embodied actions and sounds (line 14). In the course of an activity, social actors try to persuade their interlocutors to share the same stance as them. Such attempts seem to be more visible in the way they organize their bodies. Here Ali's embodied movements and gestures not only elaborate the story content, but in fact take up stance toward that content and the character who carried out the reported actions. Ali's performed stance is multimodal encompassing different semiotic resources, but it is primarily conveyed through sound effects and embodied expressions characterized by a persistent smile that

permeates his telling. The interlocutor equally expresses a congruent stance following that of the narrator (Good, 2015). As such, the narrator has achieved his addressee's co-participation through these collaborative reenactments.

In line 25, following the verb *teSMEʕ* "you hear," Ali adds enacted sounds (*ZDER DER DAF DER DAF BAQ*). Through these onomatopoeic phonemes and embodied actions, Ali attempts to effectively portray the chaos that spread following the candle incident (figure 5). These sounds are grammatically meaningless parts of speech, but they become completely meaningful if other semiotic resources including context and embodiment are taken into consideration. Structurally, the verb *teSMEʕ* "you hear" in this sentence requires an object, but instead we have phonetically mimicked sounds of people colliding as they flee a dangerous site. These sounds, like the pauses before, are multifaceted discursive devices used as nonlinguistic units that both reenact and intensify story events to achieve the addressee's co-participation (Author, 2024).

4.3 The dynamics of laughter in storytelling

Ali laughs while repeating the climax of the story (*ṭəfa ḍḍu* "the light went out"). The repeats fulfil the discursive parameters of interaction between addresser and addressee (Goodwin, 2006). During laughter, people try to extend the duration of the objects seen as the sources for the laugh. The prolongation may be possible through different strategies including repetition of particular story events, which creates a framework that is available to be operated on by the addressee (Author, 2017). Such repetitions are organized with reference to what the addressees are doing, extending the time when particular kinds of stance are possible. This dialogic framework places emphasis not only on the speaker, but also on the recipient who possesses the power to shape the narrative.

22 **A** هو طفى الضوء

huwa *ṭə*(0.1)*fa* *hh ḍḍuw (0.2) ((laughing))

The light went out

23 **O** \كو كو كو كو بسم الله الرحمن الرحيم يا لطيف

ku ku ku ku ku bismillahi rraħmani rraħim ya laṭi:f = ((smiling then laughing))

ku ku ku ku ku **[sounds] Oh merciful God**

As discussed before Ali embodies the act of hitting the candle, looks intensely at his interlocutor, and subsequently bursts out laughing (line 22). When we approach such laughter, we inquire for the reason it is happening. So far, Ali has been depicting the scenes for his interlocutor as precisely and accurately as possible. It is highly unlikely laughter could be attributed to the characters who are afraid of the snakes in the story events. Laughter here does not seem to be the appropriate reaction that goes with such a scene. Ali's laughter has to be a reflection of the narrator's assessment of the situation and a stance display he wants his interlocutor to share.

Laughter is a context-dependent social phenomenon, which transcends the mere experience of joy or amusement (Rychlowska et al., 2022). In the course of an interaction, people provide hints on laughter and invitations to laugh through their own laughing, which establishes a stance toward the content of the telling (Jefferson, 1979). Through laughter, the narrator establishes a framing and a stance toward the event in progress, publicly asking others to participate in that stance and thus ratifying it, getting the interlocutor to join with the narrator in taking on the laughing. When discursively analyzing such narratological interactions, the focus shifts from the humorous value of the story to the types of stances or framing that take place. Ali's laughter is an

invitation and proposition, in which the narrator is visibly presenting the action to the interlocutor who is able to accept it, treat it, and laugh along with the narrator at the time he is performing it. In other words, Ali tries to persuade Omar to laugh (align) with him at the sudden turn of events, in which the party enjoying the snakes is suddenly the one being laughed at.

The addressee displays his alignment and laughs along with Ali. Prior to his laugher, his mouth drops open in shock and astonishment. He seems concerned about the group, as evidenced by his loud repetitive sounds, *ku ku ku ku ku* followed by religious (Muslim) supplications *bismillahi rraħmani rraħim* "In the name of God the most merciful the compassionate" and *ya laṭi:f* "o graceful." The first expression, which is a qur'anic invocation, is used in daily conversations across different contexts, such as before meals, to begin an action, and for seeking divine help or direction. The interlocutor is utilizing these words as a reaction towards unexpectedly tragic events. Such expressions do not only signal grave danger from which people are trying to escape, but they also discursively index the individuals' linguistic, cultural, and religious identities (Nazzal, 2005). The addressee is showing the narrator the high level of understanding of story events he reached through these supplications, used in Standard Arabic, the language of religion and formal contexts in Morocco.

Omar's repeated utterance *ku* (line 23), is a regional expression used, particularly in the south, as a cry for help during periods of calamity or disaster. As such, the addressee takes on the role of the group, enacting their fear and expressing his alignment with them (see Kupetz, 2014 on empathy as manifestation of interactional achievements). While invoking his rescue expressions, he initially smiles and starts laughing, which may appear to be an incongruent sentiment. Participants in storytelling may experience mixed feelings of both sorrow and joy regarding story events (Voutilainen et al., 2014). This ambivalent

stance display is only retrievable if embodiment is taken into account. Here, Omar's joy is visibly shown on his face, the adaptable discursive device and powerful tool for stance display (see Bavelas et al., 2000; Chovil, 1991; Ruusuvuori, 2009). His smile and laughter are both constructed in concert with Ali's embodied stance. Here, as in previous parts, the addressee seems to demonstrate not only his comprehension of story events, but also his ability to collaboratively build storytelling along with the narrator and achieve co-participation.

As a comment on the story as a whole, Omar, the recipient, said: *hadi ma ʕawdtihaf liya a Ali hadi* "This one, you didn't tell me about this one, Ali" (line 24). His remark, which may appear to be a question or a request for additional information, is merely an expression of appreciation for Ali's storytelling. In a way the addressee is complaining to the narrator for not having previously shared such an entertaining story. Omar's final comment (*wa: xuya rah lxelʕa "*that's a scare, my brother" line 40) summarizes the story. This concluding sentence serves as a connecting link between narratological events that took place in the past and the present interaction between the narrator and the addressee. Through his closing sentence, Omar is assuming a significant role in storytelling and confirming his collaborative stance.

5. Conclusion

Analysis focused on the nonlinguistic features of the storytelling, which contain an integrated complex of embodied reenactments and prosodic structures. Throughout storytelling, the narrator increasingly combines semantic content and embodied stance displays. For every word he says, he supplements an embodied gesture that clarifies, elaborates or intensifies the situation. For instance, the audience's request to the snake charmer was reenacted by Ali through intricate forms of gazing, head tilting, hand gestures, and prosody as persuasive discursive elements in interaction. These embodied acts are performed by the

narrator to present an entertaining story and achieve the addressee's co-participation. Other strategies in storytelling encompass deliberate pauses, which not only divide sentence or phrase structures, but segment highly significant words in storytelling. Such pauses are designed to enhance suspense in the telling (Sidnell, 2006; Du Bois, 2007) and increase the alignment between the narrator and his addressee.

Similarly, the study discussed laughter as an embodied act and stance display performed by the narrator as a comment on particular story events. As discussed in the article, the laughter is typically an invitation for the addressee's alignment. When the recipient laughed at the scene of the attendees fleeing from the snakes, he simultaneously displayed profound concern and solidarity with the group in the story through religious supplications and expressions of crying out for help. Such ambivalent feeling can only be captured through analysis of both verbal and embodied acts in storytelling.

While there is a preference in fields like theoretical linguistics or even in conversational analysis to take the talk as primary in analysis, storytelling is more clearly displayed through the body than speech. Verbal communication serves as a medium for expression; yet it does not provide a comprehensive overview of the events occurring during an interaction. Integrating the body into analysis clarifies the semantic content and social context of human interaction as a whole (Bucholtz and Hall, 2016; Pratt, 2018). Such multilayered approach allows for a more nuanced understanding of the interaction and its implications. Therefore, it is this combination of performing the embodied action by the addressor and the collaborative build of action by the addressee that creates the interactive framework within which language operates.

References

Author 2024

Author 2021

Author 2018

Author 2016

- Agha, A. (2005). Voice, Footing, Enregisterment. *Journal of Linguistic Anthropology, 15*(1), 3859-.
- Bavelas, J. B., Coates, L., & Johnson, T. (2000). Listeners as co-narrators. *Journal of Personality and Social Psychology*, *79*(6), 941–952. https://doi.org/10.10373514.79.6.941-0022/
- Bertrand, R., & A. Goujon. (2017). (Dis)aligning for improving mutual understanding in talk-in-interaction. *Revue francaise de linguistique appliquee*, *22*(2), 53-70.
- Bucholtz, M., & Hall. (2016). Embodied sociolinguistics. In Nikolas Coupland (ed.), *Sociolinguistics: Theoretical debates*, 173197-. Cambridge: Cambridge University Press.
- Caronia, L. (2021). Language, interaction and culture. An introduction. *Dialogue Studies,* 136-.
- Chovil, N. (1991). Discourse-oriented facial displays in conversation. *Research on Language & Social Interaction*, 25(1194-163 ,(4-.
- Dressel, D. (2020). Multimodal word searches in collaborative storytelling: On the local mobilization and negotiation of coparticipation. *Journal of Pragmatics*, 170, 3754-.
- Du Bois, J. W. (2007). The stance triangle. *In* R. Englebretson (Ed.), *Stancetaking in discourse: Subjectivity, evaluation, interaction* (pp.139182-). Amsterdam: John Benjamins.
- Du Bois, J. W., & Kärkkäinen, E. (2012). Taking a stance on emotion: affect, sequence, and intersubjectivity in dialogic interaction. *Text and Talk*, *32*(4), 433-451. https://doi.org/10.1515/text-20120021-
- Chafe, W. L. (1980). Some reasons for hesitating. In H. W. Dechert & R. Manfred (Eds.), *Temporal Variables in Speech* (86). New York: De Gruyter Mouton.
- Fitch, K. L., & Sanders, R. E. (2004). *Handbook of language and social interaction*. Psychology Press.

- Goffman, E. (1981). Footing. In E. Goffman (Ed.), *Forms of Talk* (pp. 124159-). Philadelphia:
- University of Pennsylvania.
- Holt, E. (2000). Reporting and reacting: Concurrent responses to reported speech. *Research on*
- *Language and Social Interaction,* 33, 425454-.
- Good, J. S. (2015). Reported and enacted actions: Moving beyond reported speech and related concepts. *Discourse Studies,* 17(6), 663681-.
- Goodwin, C. (2015). Narrative as talk-in-interaction. In A. De Fina & A. Georgakopoulou (Eds.), *The handbook of narrative analysis* (pp. 197218-). Malden: John Wiley & Sons.
- Goodwin, C. (2007). Environmentally coupled gestures. In S. Duncan, J. Cassel & E. Levy (Eds.), *Gestures and the dynamic dimensions of language* (pp.195-212). Amsterdam: John Benjamins.
- Goodwin, C. (2003). The semiotic body in its environment. *Discourses of the body*, 1942-.
- Goodwin, C. (1986). Audience diversity, participation and interpretation. *Text & Talk,* 6, 283316-.
- Goodwin, C. & Goodwin, M. H. (2000). Emotion within situated activity. In A. Duranti (Ed.), *Linguistic anthropology: A reader* (pp. 239257-). Malden, MA: Blackwell.
- Goodwin, C. & Goodwin, M. H. (1996). Seeing as a situated activity: Formulating planes. In Y. Engeström & D. Middleton (Eds.), *Cognition and communication at work* (pp. 6195-). Cambridge: Cambridge University.
- Goodwin, C. & Goodwin, M. H. (1992). Assessments and the construction of context. In C. Goodwin & A. Duranti (Eds.), *Rethinking context: Language as an interactive phenomenon* (pp. 147189-). Cambridge, UK: Cambridge University.
- Goodwin, C. & Heritage, J. (1990). Conversation analysis. *Annual Review of Anthropology*, 19, 283307-.
- Goodwin, M. H. (2006). *The hidden life of girls: Games of stance, status, and exclusion.* Oxford: Blackwell.
- Guardiola, M. & Bertrand, R. (2013). Interactional convergence in conversational storytelling: when reported speech is a cue of alignment and/or affiliation. *Frontiers in Psychology*, 4(705), 117-.

- Günthner, S. (1997). The contextualization of affect in reported dialogues. In S. Niemeier & R. Dirven (Eds.). *The Language of Emotions: Conceptualization, Expression, and Theoretical Foundation* (pp. 247–276). Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.
- Hayashi, M. (2005). Joint Turn Construction through Language and the Body: Notes on Embodiment in Coordinated Participation in Situated Activities. *Semiotica,* 156, 21–53.
- Heath, C. (1986). *Body movement and speech in medical interaction*. Cambridge, UK: Cambridge University.
- Heritage, J. (2002). Oh-prefaced responses to assessments: A method of modifying agreement/disagreement. In C. Ford, B. A. Fox & S. A. Thompson (Eds.). *The language of turn and sequence* (pp. 196224-). Oxford: Oxford University.
- Jefferson, G. (1979). A technique for inviting laughter and its subsequent acceptance/declination. In G. Psathas (Ed.). Everyday Language: Studies in Ethnomethodology (pp. 7996-). New York, London: Irvington,
- Kendon, A. (2009). Language's Matrix. *Gesture,* 9(3), 355372-.
- Knudsen, T, Billewicz, A. & Di Giovanni, B. (2018). Digital body language: Exploration of corporal expression in digitally mediated written communication. *Proceedings of the 10th Nordic Conference on Human-Computer Interaction*.
- Kupetz, M. (2014). Empathy displays as interactional achievements. Multimodal and sequential aspects. *Journal of Pragmatics,* 61, 434-.
- Matzinger, T., Pleyer, M., & Żywiczyński, P. (2023). Pause Length and differences in cognitive state attribution in native and non-native speakers. *Languages*, *8*(1), 26.
- Mondada, L. (2011). Understanding as an embodied, situated and sequential achievement in interaction. *Journal of Pragmatics*, 43, 542552-.
- Nazzal, A. (2005). The pragmatic functions of the recitation of Qur'anic verses
- by Muslims in their oral genre: The case of Insha' Allah, 'God's willing'. *Pragmatics,*
- 15(2273-251 ,(3-.
- Niemelä, M. (2011). Resonance in storytelling: Verbal, prosodic and embodied practices of stance taking [Doctoral dissertation]. University of Oulu.

- Norris, S. (2004). *Analyzing multimodal interaction: A methodological framework*. London: Routledge.
- Ochs, E., Taylor C., Rudolph, D. & Ruth S. (1992). Storytelling as a theory-building activity. *Discourse Processes*, 15, 37–72.
- Park, I. (2010). Marking an impasse: The use of anyway as a sequence-closing device. *Journal of Pragmatics,* 42(12), 32833299-.
- Prior, P., Hengst, J., Roozen, K. & Shipka, J. (2006). 'I'll be the sun': From reported
- speech to semiotic remediation practices. *Text & Talk,* 26, 733766-.
- Pratt, T. C. (2018). *Affective sociolinguistic style: An ethnography of embodied linguistic variation in an arts high school* [Doctoral dissertation]. Stanford University.
- Ruusuvuori, J. & Peräkylä, A. (2009). Facial and verbal expressions in assessing stories and topics. *Research on Language and Social Interaction*, 42(4), 377-394.
- Rychlowska, M., McKeown, G. J., Sneddon, I., & Curran, W. (2022). The role of contextual information in classifying spontaneous social laughter. *Journal of Nonverbal Behavior*, 46(4), 449466-.
- Sacks, H. (1992). In G. Jefferson (Ed.). Lectures on conversation, vol.2. Oxford: Basil Blackwell.
- Schegloff, E. A. (2020). Interaction: The infrastructure for social institutions, the natural ecological niche for language, and the arena in which culture is enacted. *Roots of human sociality*. Routledge. 7096-.
- Schegloff, E. A. (1997). 'Narrative analysis' thirty years after. *Journal of Narrative and*
- *Life History,* 7, 14-.
- Sidnell, J. (2006). Constructing gesture, talk and gaze in reenactments. *Research on*
- *Language and Social Interaction*, 39(4), 377410-
- Sidnell, J. (2000). Primus inter pares: Storytelling and male peer groups in an Indo-Guyanese
- rumshop. *American Ethnologist,* 27(1), 7299-.

- Sternberg, M. (1982), Proteus in quotation-land: Mimesis and the forms of reported discourse. *Poetics today,* 3(2), 107156-.
- Stivers, T. (2008). Stance, alignment, and affiliation during storytelling: When nodding is a token of affiliation. *Research on language and social interaction,* 41(1), 3157-.
- Streeck, J. (2021). Gesture, mimesis, and the linguistics of time. In C. Gordon (Ed.), *Approaches to Discourse Analysis* (pp. 37–54). Georgetown University Press. https://doi.org/10.2307/j.ctv1wdvwzn.8
- Streeck, J. (2009). *Gesturecraft: The manufacture of meaning.* Amsterdam: John Benjamins.
- Tabensky, A. (2008). Non-verbal resources and storytelling in second language classroom interaction. *Journal of Applied Linguistics,* 5(3), 321348-.
- Tingle, J. L., & Slimani, T. (2017). Snake charming in Morocco. *The Journal of North African Studies,* 22(4), 560577-.
- Voutilainen, L., Henttonen, P., Kahri, M., Kivioja, M., Ravaja, N., Sams, M. and Peräkylä, A., (2014). Affective stance, ambivalence, and psychophysiological responses during conversational storytelling. *Journal of Pragmatics*, *68*, 124-.

Appendix

The preceding transcription is based on prior analysis developed by Sacks (1992). See also Schegloff (1997) and Jefferson (1978). Additional symbols are added to represent specific Arabic sounds.

Transcription conventions

. Falling intonation

, Continuing intonation

(( )) Nonverbal activity

(0.1) Silence in tenths of a second

[Overlap

= Latched or contiguous utterances (no pause between the previous utterance and the next)

: Vowel lengthening

? Rising intonation

Capitalization Increased volume (e.g. KAY)

° Low volume

Capital italics Increased volume and some type of emphasis (e.g. *WAL*)

*hh Inbreath

Arabic transcription symbols

خ	ح	ص	ض	ط	ع	غ	ڤ
x	ħ	ṣ	ḍ	ṭ	ʕ	ɣ	g

دراسات

في التَّضَايُف اللُّغوي بين البَلاغة والفلسفة
(تحليل عينية ابن سينا)

د.سنوسي سامي[1]*

ملخص: إن غاية كل فيلسوف هي إصابة الحقيقة، ومهما تعددت إليها السبل فإن السالك نحوها لا يفتأ يُعَوِّلُ على آليتين هما؛ المنطق واللغة، ولما اختص المنطق بالفلسفة تفكيرا، واختصت اللغة بالأدب تعبيرا، فلا مناص لطالب الحقيقة إذْ ذَّاك من الانطلاق منهما معا؛ ونحن هاهنا وقفنا على نموذج ابن سينا وهو يدعِّم أقاويله الفلسفية حول حقيقة النفس بمنطق الإشارة في بناء العبارة، صانعا بذلك تضايفا بين القول الفلسفي والقول الأدبي البلاغي، واستدلالا بالقصيدة العينية نستفيد أن البلاغة الأدبية قد تتحول بلاغة فلسفية، ولاشك في ذلك والغرض هنا هو البيان والبرهان، فلا سبيل إلى القول بالتعاض بين معقول الفلسفة وخيال الأدب. بل إن ابن سينا هنا برز كشاعر الفلاسفة. وقصيدته كفلسفة شعرية.

الكلمات المفتاحية: البلاغة الفلسفية، الإشارة والعبارة، الأدب، ابن سينا. النفس.

مقدمة:

لئن مرت القرون الزمنية على إنتاج الفلسفة الإسلامية إلا أن ذلك

1. * قسم الفلسفة: جامعة الجزائر 2.

لم يُبْل منها إلا قليلا، فالآتي على قراءة هذا الإنتاج لا يفوته يتوقف على أعاجيب ما بلغت عقول منتجيها من درجات الحكمة والمعقولية، ولعل من هؤلاء الحكماء نستشهد بابن سينا؛ هذا الحكيم الذي خُلد اسمه في صناعة الطب، وفي الآن ذاته لم تمنعه إمامته في هذه الصناعة أن يتضلع في سائر الصناعات الذائعة في ذلك الزمان وأخصها صناعة الفلسفة.

يُعد ابن سينا الفيلسوف، من الفلاسفة القلائل الذين بلغوا في الحكمة درجات عالية، فقها وشرحا وتصنيفا، إذ هو من المشائين المسلمين أو من رواد الأرسطية في الحضارة الإسلامية، ومن الآخذين عن الفلسفة الأفلاطونية المحدثة وفلسفتها الإشراقية الفيضية، وعلم الكلام الإسلامي والتصوف، وبهذا التنوع شُهد له في الحكمة وأعجب بذكائه أيما إعجاب، وما ذلك عليه بتوكيد، فشهادات كتبه الموسوعية دالة على ذلك، ألم تر كيف جمع كل مباحث العلوم في موسوعة الشفاء، بدءً بالحكمة المنطقية، فالحكمة الطبيعية، وتاليا الحكمة الإلهية، ملخصا وشارحا في كل مرة جميع ما تعلق بصناعة الفلسفة. حتى أن الغزالي حجة الإسلام لما راح يدرس الفلسفة اتخذ من ابن سينا مرجعا أصيلا، مُضافا إليه ـ بالطبع ـــ الفارابي أبو نصر. فتفقه الغزالي الفلسفة والفضل عائد للشيخ الرئيس، وبعد التهفيت الذي عمد به الغزالي ضد أقاويل هؤلاء المشائيين، جاء ابن رشد مهفتا تهفيت الغزالي، وكثيرا ما نجده يشير إلى ابن سينا مُتَّهما إياه بإخراج الأرسطية عن حقيقتها، نحو الاستغراق في الأفلاطونية المحدثة. وإسناد ذلك كله لأرسطوطاليس.

ولما كان هذا، يبقى ابن سينا رائدا وغامضا في أكثر مقالاته، وفي تقديري واعتقادي الرجل تضلع في المنطق واللغة والحكمة بأصنافها المعرفية؛ طبيعية، إلهية؛ ومن ثمة ليس من العجيب أن يتثوب بلون صوفي تارة، وبلون فلسفي تارة، وبلون أدبي رمزي بلاغي ثالثة. وحول هذا اللون الأخير سنجعل لأنفسنا مدخلا لابن سينا، ونلج حكمته من زاوية تطعيمه الفلسفة بالأدب، والأدب بالفلسفة، ونتخذ قصيدته العينية نموذجا لذلك، ونؤشكل موضوعنا كمايلي: لماذا عمد ابن سينا في قصيدته العينية إلى الرمز والإشارة ؟ أين نلتمس البعد الأدبي البلاغي في القصيدة؟ وأين

تتجلى الفلسفة الأدبية والبلاغية ؟ وبتعبير جامع؛ لماذا عزم ابن سينا أن يعيد قصة النفس وحقيقتها في قالب شعري ورمزي إشاري، رغم أنه بسط حولها الكلام في كتبه بنفس المستوى في سائر الموضوعات أو يفوق؟ وفي كلمة موجزة العبارة سديدة الإشارة: أين تتجلى بلاغة الفلسفة وفلسفة البلاغة في قصيدة ابن سينا العينية وهو يتكلم عن حقيقة النفس وجدل رحلتها من العالمين هبوطا ورجوعا؟

إذن؛ حول النص السينوي الفلسفي والرمزي سنبسط كلامنا.

أولاً ـ المداخل التأسيسية والمفاهيم مفصلية

ابتداء لا بد من الوقوف على أهم التأسيسات المنهجية والمفاهيمية الخاصة بالموضوع المطروح، والمقصود هاهنا بالمداخل التأسيسية هو محاولة بيان المؤسِّسَات العبارية اللغوية والمفاهيمية الفكرية للخطاب البلاغي الفلسفي، أما المفاهيم المفصلية فسنحاول في الآن ذاته إيراد معاني البلاغة الفلسفية وملازمة المنطق الإبلاغي للقول الفلسفي، وكذلك معنى الاستعارة في تبليغ العبارة.

1. البلاغة والفلسفة

تُعد البلاغة علما تابعا للغة والأدب، فالمصطلح من حيث اللغة مشتق من بَلَغَ الشيء، يبلغ بُلوغا وبلاغا، وصل وانتهى، والبلاغة: الفصاحة، والبليغ، حسن الكلام فصيحه، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، والجمع بُلغاء[1].

وفي الاصطلاح قال الجاحظ:» **قيل للفارسي: ما البلاغة ؟ قال: معرفة الفصل من الوصل، وقيل لليوناني:** ما **البلاغة ؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام، وقيل للرومي: ما البلاغة ؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة**[2]»، بهذا تكون البلاغة وصفا للكَلام والمُتكلم، لأن الخطاب يؤدي إلى مآلات للسامع يستدرك من خلالها المعنى، أو المعاني، ثم أن المتكلم أو المُتميز بالفصاحة أو البلاغة هو الأقدر على صناعة الكلام الحامل والحاوي للمعاني

1. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مادة: بلغ .
2. الجاحظ، البيان والتبيين، ج.1، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط7، القاهرة، 1998، ص. 88.

الجاذبة للسامع، أو المقنعة له، أو المُحاججة لحججه إن كانت الممارسة مناظرة كلامية، والفصاحة جزء من البلاغة، والكلام الفصيح يصف المفرد والكلام والمتكلم، بينما الكلام البليغ يصف الكلام والمتكلم فقط[1].

والبلاغة عند اليونانيين تقابل مصطلح الخطابة وهي من الكتب المنطقية لأرسطو، وقد حدّ البلاغة أو الخطابة بقوله:«**الريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور الممكنة**»[2] وبالجملة البلاغة هي الأقاويل المقنعة للسامع، ويعرض للمبَلِّغ أن يصنع كلاما يليق بمقام ما يريد تبليغه. هنا يظهر جليا أن البلاغة غرضها نقل الأقاويل إلى السامع وجعله يتقبلها وهو العمل الإقناعي للمُبلغ، ومن ثمة يتمركز دور الخطابة في التبليغ والإقناع.

ومن جهة القول الفلسفي فإنه يتميز بمستويات ثلاثة؛ المستوى التصوري الذي يعني استعداد الإنسان بقوة إدراك حقائق الأشياء، والمستوى التصديقي المبتغى في نَحْت القضايا لغرض التحقق منها، وآخرا المستوى الاستدلالي الفلسفي القاضي ببرهنة الانتقال من حكم إلى حكم آخر[3]، وبهذا يكون القول الفلسفي متميزا عن القول البلاغي الاستعاري بصفة خاصة في حيّز ابتغاء التَّحقّق، إذ الفلسفة مقصدها الأكبر هو إصابة الحقيقة. أما البلاغة فمقصدها تبليغ الخطاب والتعرض بشدة إلى إقناع السامع، ولنا أن نكتشف ذلك في مخيالية الأديب ومعقولية الفيلسوف، لكننا أحيانا نجد أحدهما يتوسل بوسيلة نظيره؛ على شاكلة أن يتأدب الفيلسوف بأدب الأديب، أو يتفلسف الأديب بفلسفة الفيلسوف.

والبلاغة هاهنا اخترناها من الحقل الأدبي لقربها إلى مرتبة الإقناع الفلسفي ولغتها الإشارية القريبة إلى مقولات المنطق، وبالتالي يتسنى لنا أن نلتمس في القول الإبلاغي لونًا فلسفيا، واخترنا أقاويل ابن سينا وابن عربي لتميُّزهما بالعبارات الإشارية واللغة الرمزية، الحاملة للبعد الأدبي الاستعاري، وفي الآن ذاته تبتغي نصوصهما إقناع السامع بالحقائق الصوفية والفلسفية على حدّ سواء.

1. محمد علي زكي صباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 1998، ص.141.
2. أرسطو، الخطابة، تحقيق وتعليق، عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، 1979، ص. 9.
3. توفيق فائزي، الاستعارة والنص الفلسفي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2016، ص. 51.

2. العبارة الإشارية والرمز

من أبجديات اللغة الإنسانية أنها تحمل معانٍ سواءً أكانت مكتوبة أو مسموعة، لكن المتأمل المتبصر كالفلاسفة والصوفية، يجد أن العبارة اللغوية ذات بطون كثيرة من حيث أغوار معانيها، وأدركوا إذْ ذاك أن العبارة اللغوية تعود إلى حالة وجدان صانعها أو قائلها، ومن هنا تتمايز درجات اللغة الإنسانية وفق تلك البطون والمعاني، وهو الأمر ذاته الذي يحيل الأكثرية إلى التأويل ابتغاء إصابة المعنى أو المعاني المقصودة من العبارة، ويشتد هذا الفعل كلما اتسم النص بطابع الرمزية والقول الاستعاري، ألم تر أن الشعر يختلف عن النشر بناء وسياقا عن النثر؟ ثم ألم تر أن اللغة تتفاوت مقاصدها حسب موضوعات العلوم والمعارف، ولما حاولنا تمييز النص الفلسفي والنص الصوفي، لمقارنة مدى قوة الاستعارة الفلسفية فيهما، نقف على حقيقة الرمز» **إذ هو معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر، لا يظفر به إلا أهله»**[1] وهذا التبيان يختص أكثر بالصوفية لأنهم أصحاب الإشارة في العبارة, وكلما ضاقت الإشارة، اتسع معنى تلك العبارة. وفي حدود إدراك الفلاسفة والصوفية أنهم يسعون إلى إصابة الحقيقة مهما كانت الوسائل إليها، حتى لو كانت عباراتهم رمزية إشارية لا يفقهها سوى أهل خاصتهم، أو الوالج إلى عالمهم ومن ثمة المتذوق لحالاتهم الوجدانية التي لا تسمح حينئذ بترجمتها بلغة دارجة، بل لا سبيل إلى التعبير عن تلك العوالم العقلية عند الفلاسفة والعوالم الروحية عند الصوفية إلا بلغة تنبع من تلك العوالم نفسها، تفهم بين أهلها دونما تأويل، أما إذا أراد غريب عنها فقهها وقراءتها فإن الإعجاب سيأخذ به ولا مناص من تعبيرها (تأويلها) نحو المقاصد، لكن هيهات أن يدرك المؤول كلاما لم يذق طعم نفسية قائله.

وهنا تأتي حكمة الأدب كتجربة باطنية يعبر بها الإنسان عن عوالمه التي يحياها لوحده، ويتوسل الفيلسوف والمتصوف بالأدب أيما توسل، ويتخذانه آلية ناجحة في تعبير رؤيتهم، وطالما أن عوالمهم فسيحة ومعقدة، فإن لغة الأدب العادية والبسيطة لا تفي بالغرض عندهم، بل إنهم يقابلون تلك العوالم الكبيرة والتي

1. رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، 1999، ص. 411.

تكبر عن الوصف، بالعبارات الأدبية الخيالية في ظاهرها والحقيقية في باطنها، أو نقول بتعبير فلسفي، يعرض للمتصوف والفيلسوف أن يتوسلا بالمصطلحات الأدبية استعاريا ورمزيا لمطابقتهما تلك العوالم التي تُعجِزُ مُدركها بأن يصفها بلغة العوالم المُعاشة يوميا. وفيما يلي سنبين كيف قرأ ابن سينا قصصهُ الرمزية وكيف عبرها مستعيرا من الأدب، وكيف رمز ابن عربي إلى حقائقه الذوقية مستعيرا هو الآخر من الأدب، وأنشأ كلاهما بلاغة فلسفية منقطعة النظير، تبين تجلي الأدب كتجربة باطنية لغوية في الإنسان في ممارساته المعرفية لإدراك الحقيقة أنى كان الطريق إليها فلسفة أو تصوفا.

ثانياً: فلسفة اللغة في البلاغة الإشارية عند ابن سينا

قبل الخوض في فلسفة اللغة الرمزية والاقاويل الإستعارية، لابد أولا من إيراد قصيدة إبن سينا التي اشتهرت بـ« **العينية**» قياسا على رويِّها حرف العين، وإليك القصيدة.

هبطت إليك من المحل الأرفع ❊ وَرْقـاء ذاتُ تَـعَزُّز وتَمنُّعِ
محجوبة عـن كـــل مقلة عارف ❊ وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت عـــلى كـره إليك وربـــما ❊ كرهت فراقك وهي ذات تفجع
أنفت ولا أنـست فلـــما واصلت ❊ ألفت مجاورة الخراب البلقع.
وأظنها نسيت عهودا بالـــحمى ❊ ومـنازلا بفـراقها لـم تقنع
حتى إذا اتصلت بـهاء هبوطهـــــا ❊ عـن ميم مركزها بذات الأجرع.
علقت بهاء ثاء الثقيل فأصبحت ❊ بين المعالم والطلول الخضع.
تبكي إذا ذكرت عهودا بالـحمى ❊ بمدامع تـهمى ولـم تتقطع.
وتظل ساجعة على الدمـن التي ❊ درست بتـكرار الرياح الأربع

إذ عاقــها الشرك الكثيف وصدهــا ❊ قفص عن الأوج الفسيح المربع
حتى إذا قرب المسير عــن الــحمى ❊ ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
وغدت مفـــــارقة لكل مخلـــــف ❊ عنها حليف الترب غير مشيع.
سجعت وقد كشف الغطاء فأبـصرت ❊ مـــا ليس يدرك بالعيون الهجع.
وغدت تغرد فوق ذروة شـــاهق ❊ والعلم يرفع كـل من لم يرفع
فلأي شيء أهبطت مـــن شـــامخ ❊ عالٍ إلى قعر الحضيض الأوضع
إن كان أهبطهـــا الإله لحكمـــــة ❊ طويت عــلى الفذ اللبيب الأروع
فهبوطــها إن كـان ضربة لازب ❊ لتكون ســامعة لما لم تسمع
وتعود عالمة بــكل خفيـــــــــة ❊ في العــالمين فخرقها لم يرقع.
وهي التي قطع الزمان طريقها ❊ حــتى إذا غربت بغير المطلع
فكأنهـــا برق تألق بالحمـــى ❊ ثـــم انطوى فكأنه لم يلمع.
أنعم برد جواب ما أنا فـــاحص❊ عنه فنار العلم ذات تشعشع.»[1]

شروح أولية : في هذه القصيدة معانٍ مبهمة نذكر منها بعض الاصطلاحات.

- **المحل الأرفع:** هو عالم الأرواح.
- **الورقاء:** الحمامة الضارب لونها إلى الرماد، وقدر رمز بها ابن سينا هاهنا إلى النفس الإنسانية.
- **التعزز:** عزة النفس، وغلبتها في تدبير الجسم وتسيس شؤونه.
- **التمنع:** تمنُّع النفس عن كشف حقيقتها وجوهرها، ودليل ذلك اختلاف الفلاسفة حولها.

1. ابـن سـينا، نقـلا عـن السـيد نعمـة اللـه الجزائـري، شرح عينيـة ابـن سـينا، تحقيـق: حسـين عـلي محفـوظ، مطبعـة الحيـدري، طهــران، 1954، ص. 13-15.

- لم تتبرقع: لم تتحجب عن العقل فالقوة الناطقة تدركها باستمرار.
- التفجع: الوجع والتألم أثناء الهبوط . بسبب عدم مناسبة دخول النفس وهي جوهر نوراني والبدن جسم ظلماني، فتوجعت النفس من ضيقه.
- البلقع: البلدة الخالة من النبات.
- **الحمى**: المقصود به هنا عالم الأرواح.
- **هاء هبوطها**: الاتصال بالمواد الجسمانية.
- **ميم مركزها**: العالم الروحاني.
- **الأجرع**: أرض رملية لا نبات فيها ولا ماء,
- **الطلول** : ما بقي من آثار الديار.
- **الرياح الأربع**: المقصود بها الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة.
- **المربع**: المنزل الذي يقام فيه في الربيع وهو إشارة إلى عالم الأرواح.
- **معاهدة الترب**: أي النفس ألفت الجسم.
- **الهجع**: وهو نوم الغفلة كنوم النفس في الجسم.
- **ضربة لازب**: نوع لازم.
- **التألق**: اللمعان.
- **ذات تشعشع**: ذات انتشار واتقاد فلم يعلم أحد بالضبط الحكمة من هبوط النفس، فعلمها عند الله ـ تعالى ـ[1]

1. البعد الأدبي البلاغي في القصيدة العينية

عندما يقرأ المتذوق للنصوص الأدبية القصيدة العينية لابن سينا لا يفوته

1. شرح عينية ابن سينا، المرجع السابق، ص. 16-23.

أن يستدرك بعدا أدبيا متمثلا في الجماليات البلاغية البيانية والجماليات البلاغية البديعية. فالبيان ظاهر في قوة التشبيه والإستعارة والمجاز اللغوي والكناية، أما البديع فيتبدى في قوة الطباق والجناس والسجع وهلم جرا. هذا يعكس حكمة ابن سينا في تحلية القول الفلسفي بالقول الأدبي، وربما هذا لغرض الإبلاغ والتوكيد، إذ القصد الأكبر للأدباء من البلاغة هو التبليغ، وهاهنا نقوم برصد قوة البلاغة الفلسفية التي اضطلع إليها ابن سينا في قصيدته الرمزية.

أ. قوة التشبيه ورمزيتُه: يقول ابن سينا في مطلع العينية.

«هبطت إليك من المحل الأرفع ❋ وَرْقاءُ ذاتُ تَعَزُّز وتَمنُّعِ»

في هذا البيت يشبه ابن سينا صراحة النفس بالحمامة التي يميل لونها إلى الرماد، فالوَرْقاءُ تعني الحمامة، إذ «**الأورق الذي لونه بين السواد والغبرة، ومنه قيل للرماد، أورق وللحمامة ورقاء**»[1] ، وفي البيت إشارة إلى التشبيه البليغ الحادث بين الحمامة والنفس الإنسانية، وقد اختار ابن سينا الحمامة هنا لكونها كثيرة الشوق إلى موطنها والحنين والبكاء وقت الفراق عن الإلف المهجور. ولأن الحمامة تعد من أذكى الطيور وأسرعها رجوعا إلى المنزل المألوف، فكذلك حال النفس الناطقة، هي شديدة الذكاء والتذكر، لموطنها الأصلي كما بينه ابن سينا هنا بالمحل الأرفع، أو عالم الأرواح والملائكة، ورقيقة الألفة مع أحبائها في الدنيا الفانية، وتبكي أثناء هجرتها ومفارقتها البدن، فكذلك الحمامة، فبان أن ابن سينا تمرس في اختيار المشبه والمشبه به[2].

هذا ويورد تشبيها آخر في قمة البلاغة الأدبية والفلسفية معاً، وهو من وحي الإشارة في إيجاز العبارة؛ فيقول في إحدى الأبيات الأخيرة من العينية:

«فكأنها برق تألق بالحمـــــــــــى ثم انطوى فكأنه لم يلمع».

وهنا شبه ابن سينا النفس بالبرق الذي يلمع كقبسٍ نوراني وفي غاية السرعة

1. لسان العرب، ص. 4817.
2. السيد نعمة الله الجزائري، شرح عينية ابن سينا، المرجع السابق، ص. 16.

من حيث الزمن، تماما كالنفس التي لا تلبث أن تغادر البدن عائدة إلى الحمى أو العالم العلوي، وقوة التشبيه هنا تحيلنا إلى استنتاج قرائن منها أن البرق والنفس كلاهما يصدر من الأعلى، وكلاهما جسم نوراني لطيف غير كثيف، وكلاهما يعود للتو إلى مصدره العلوي بسرعة خيالية، فأي حكمة إشارية استند إليها ابن سينا في تعبير رؤيته الفلسفية ورحلتها من العالم العلوي النوراني الروحاني، إلى العالم السفلي المادي ثم العودة منه إلى العالم الأصلي. كأنه لا أثر يذكر من ذلك، ويوافق هذا قول ابن سينا» **فكأنه لم يلمع**».

ب. قوة الكناية ورمزيتها

الكناية ضرب من البيان في البلاغة، وهي استعمال اللفظ في معناه الموضوع له ليراد منه لازمه، مع جواز إرادة الملزوم وهو المعنى الموضوع له اللفظ، ولها أركان وهي المكنى به والمكنى عنه والقرينة المرشدة إلى المعنى الكنائي، وهي غالبا حالية[1]»، والقصيدة الرمزية هاهنا غنية جدا بالكنايات، وبمعنى أوضح، إن كل الرموز العارضة في ثنايا القصيدة هي في الحقيقة كنايات، لهذا جاء طابع النص رصينا وقوي التشفير، ويحتاج تأويلا وتفكيكا، أو فلسفة بلاغية يتم وفقها إدراك المنطق الإشاري الذي استند إليه ابن سينا والحكمة منه. ومن الكنايات نستشهد بقوله:

«إذ عاقها الشّرك الكثيف وصدها❋قفص عن الأوج الفسيح المربع»

في هذا البيت إشارة في العبارة، وتتمثل في ورود الكناية في صدر البيت، والتشبيه البليغ في عجُزه، والكناية هي تلميح وإشارة إلى مميزات العالم السفلي أو الدنيوي وما فيه من ملذات وكدورات جسمانية، تعيق النفس عن بلوغ مرتبة الكمالات، فعالم المواد هو مختص بأبعاد البدن، وليس فيه للنفس سوى العمل على كشف الغطاء، واعتناق الحقائق النورانية، لكن شهوات الجسد، وعوائق العالم الحسي كلها طوقت النفس وصدتها عن بلوغ مقاصدها العلوية، فكَنَّى عن ذلك ابن سينا بالشرك، «**والشرك هو حبائل الصائد، وكذلك ما ينصب للطير، واحدته**

1. معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، دار جواد الأئمة، ط1،بيروت، 2012، ص. 157-158.

شَرَكَةٌ، وجمعها شُرُكٌ»[1]. وهاهنا نتعرف على قرائن أخرى بلغ بها ابن سينا ذروة الإشارة في العبارة، فقد قارن صراحة بين الشَّرَك الذي يُنصب للطائر، التي هي النفس كما تقدم، علما أننا وقفنا أنه شبهها بالورقاء أو الحمامة, والحمامة من الطيور، والاتساق الاقتراني يبرز هنا، من الحمامة إلى الشرك نحو القفص. فكانت بلاغة الكناية هنا أشد توضيحا رغم كون العبارات أدق ترميزا.

ج. قوة الاستعارة ورمزيتها

لقد عرف علماء البلاغة الاستعارة بقولهم:» **اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية»**[2]، وقصيدة ابن سينا نستطيع القول عنها أنها غنية جدا بالقول المُستعار، وتسويغ ذلك أن في كلامه الرمز يفوق التصريح، وغموض الإشارة يغلب على وضوح العبارة؛ ومن الاستعارة نستشهد بقوله:

«وغدت تغرد فوق ذروة شاهقوالعلم يرفع كل من لم يرفع»

وفي هذا البيت استعارة مكنية، إذ شبه ابن سينا النفس التي ذكرت هنا بضمير الغائب «**هي**»، في الفعل «**وغدت**»، بالطائر (الحمامة الورقاء)، فحذف هذا الطائر وأبقي على لازمة من لوازمه وهي التغريد، وبهذا زادت هذه الاستعارة المعنى وضوحا وجلاء ودقة في الوصف، إذ بعد إيراد التشبيه البليغ بين النفس والورقاء، وكناية الشرك وتطويقه بالعالم الدنيوي أو عالم المواد، يضيف ابن سينا صفات للنفس لا ينفك عنها الطائر الجميل الصوت، وعلها هاهنا التغريد، وعليه نستنتج أن ابن سينا ورغم تعدد الصور البيانية إلا أنه استطاع أن ينسق بين الإشارات الرمزية، ويجعل لها معجما دلاليا موحدا وفي القصيدة كلها، كل ما تعلق بالطائر من صفات يُسقط على النفس المرموز إليها به.

1. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مادة: «ورقاء» ص. 2250.
2. الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2001، ص. 31.

2 . رصد البعد الفلسفي في القصيدة العينية وتحليله

إن هذه القصيدة هي من وحي الفلسفة الإشراقية التي اشتهر بها ابن سينا أكثر من غيره، إذ إنه عمد في قصصه الرمزية إلى تصوير رحلة النفس وتعلقها بالبدن والجدالات الدائرة بينهما، والصراعات التي مارسها العقل ضد القوى الشهوانية الحالَّة في البدن، ومن أشهر القصص الرمزية والفلسفية ذات اللون الأدبي في هذا المنحى نذكر قصة حي بن يقظان، والتي رمز بها ابن سينا إلى الحكمة التي حاول معالجتها في هذه القصيدة، فشخصية «**حي**» رمز بها إلى العقل، أما رفقته فرمز بهم إلى الشهوات والغرائز والغضب وسائر الملكات الإنسانية التي لا ينفك البتة عنها. والحوار الدائر بين الشيخ البهي الطليعة «**حي بن يقظان**» وبين رفقائه «**الشهوات والملكات الإنسانية**»[1] تعكس تلك السجالات بين العقل وقوى النفس واسمرارها طيلة الحياة المعاشية، ثم الغاية في النهاية هي بلوغ مرتبة الكمالات النورانية بالعقل والعودة إلى العالم الابدي في الحياة المعادية بعد الموت، ومفارقة النفس البدن. بعد هذا الإيراد نستفيد أن ابن سينا ركز كثيرا على برهان تلقي النفس الإنسانية للمعرفة الإشراقية أو كما يسميها المتصوفة المعرفة الكشفية واللدنية، ونقف هاهنا على حقائق جدُّ هامة تخص النفس وأحوالها وما يعرض لها في تحصيلها للكمالات، وتصوير رحلتها من العالم الروحاني العلوي إلى العالم السفلي ثم العودة منه العالم العلوي، ومدار الحكمة من ذلك.

أ . حقيقة النفس في فلسفة ابن سينا

إن حقيقة النفس عند ابن سينا هي ما به قوام الشيء «**وأجزاء القوام كما علمت في مواضع هي قسمان: جزء يكون به الشيء هو ما هو بالفعل، وجزء يكون به الشيء هو ماهو بالقوة، إذ هو بمنزلة الموضوع؛ فإن كانت النفس من القسم الثاني، ولا شك أن البدن من ذلك القسم، فالحيوان والنبات لا يتم حيوانا ولا نباتا، بالبدن ولا بالننفس، فيحتاج إلى كمال آخر هو المبدأ بالفعل كما قلنا، فذلك هو النفس وهو الذي كلامنا فيه، بل ينبغي أن تكون**

1 . ابن سينا، حي بن يقظان، تحقيق وتعليق: أحمد أمين، دار المدى للثقافة والنشر، ط1، بيروت، 1947، ص. 19.

النفس هو ما به يكون النبات والحيوان بالفعل نباتا وحيوانا بالفعل»[1]، فالنفس كمال للقوى البدنية الجسمانية، من جهة جعلها قادرة بالفعل على التكيف وممارسة تجلياتها للحيوان أو للنبات على حدّ تعبير ابن سينا.

لكن هذا التعريف أو التوصيف لابن سينا شبيه بتعريف أرسطو، عندما قال:» **إذا كنا إذن نريد تعريفا عاما ينطبق على سائر أنواع النفس، فينبغي أن نقول، إن النفس كمالٌ أول لجسم طبيعي آلي»**[2]، وهاهنا توضيح من طرف أرسطو على أن النفس بصفة عامة هي المكملة للجسم والمحركة لقواه الطبيعية من سمع وبصر وإدراك وغيرها، مع العلم أن الجسم الطبيعي قصد به أرسطو الجسم النباتي والحيواني، تماما كما قصد به ابن سينا وهذه الروح المشائية المتوارثة بين الحكيمين.

لعلنا نجد ابن سينا وفي هذه القصيدة قلب النظرية الأرسطية رأسا على عقب وذهب إلى التحقق من النفس على طريقة أفلاطون، وأنبأنا أنها مفارقة للبدن تماما، ووافق بذلك نظرية أفلاطون، فيقول واصفا معنى النفس المذكور آنفا: «**والنفس فإنما نسميها نفسا من جهة وجودها فعَّالة في جسم من الأجسام فعلا من الأفاعيل، فأما بحسب جوهره الذي يخصه، والذي يُفارق به، فلا نسميه نفسا إلا باشتراك الاسم والمجاز، والأشبه أن يكون اسمه الخاص به حينئذ العقل لا النفس، ولهذا سَمَّت الأوائل ما كان من المبادئ غير الجسمانية محركا لفلك ما على أنه يحاول التحريك بذاته كالعلة الفاعلية نفسا، وسموا المحركات المبايِنة للحركة، وإنما تُحرّك كالمعشوق والعلة التمامية، عقلا، وجمعوا عدة المحركات المفارقة جملة وسموها عقل الكل، وعدة المحركات الواصلة المحاولة للتحريك جملة وسموها نفس الكل، فإن الكل هي السموات**»، فهذه العبارة لابن سينا تلخص لنا كيف أن الفلاسفة الأوائل اعتبروا النفس وفضلا عن

1. ابن سينا، الشفاء، كتاب النفس، تحقيق آية الله حسن حسن زاده الأملي، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ط1، قم، 1417، ص. 14.
2. أرسطوطاليس، النفس، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، مراجعة: الأب جورج شحاتة قنواتي، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1949، ص. 43.

تحريكها الجسم الطبيعي النباتي أو الحيواني، هي من جهة الجوهر مفارقة، ومن عنصر سماوي لطيف، وليست من عناصر ترابية كثيفة كما البدن، وفي هذا الإيراد يقول ابن سينا مبرهنا سماوية النفس وفيضانها عن العلل المفارقة لعالم المواد:» **قد أوضحنا أن النفس إنما حدثت وتكثرت مع تهيُّؤ الأبدان؛ على أن تهيُّؤ الأبدان يوجب أن يفيض وجود النفس لها من العلل المفارقة لها»**[1] ، وإلى هنا تبدأ قصة النفس وحقيقة اتصالها بالبدن في القصيدة العينية، وتجليات قواها السماوية النورانية، وتحصيل كمالاتها بالمعرفة والمجاهدة، ثم العودة مرة أخرى إلى العالم العلوي، وعليه يتسنى لنا أن نقرأ العينية وفق أسس فلسفية عدة منها:

ب . هبوط النفس ودرجات العلم الإنساني:

في مطلع القصيدة أشار ابن سينا إلى هبوط النفس من العالم العلوي، فقال:

«هبطت إليك من المحل الأرفع وَرْقاء ذاتُ تَعَزُّز وتَمنُّعِ»

والملفت للإنتباه هاهنا أنه تكلم عن النفس بضمير الغائب «**هي**» ودليل ذلك تاء التأنيث، في الفعل «**هبطت**»، ولم يصرح بها، وهذه فلسفة إشارية عمقت معنى العبارة، وأخفت مصطلح ومفردة النفس، تماما كما هي مخفية في حقيقتها لا تظهر كالبدن، بل تحركه بصفة جوهرية مفارقة، ومن ثمة فهي في القصيدة كلها لم تُذكر، وليس هذا مجرد ترف كلامي، وموسيقى شعرية لا حكمة ترجى منها، بل يعني هذا حكمة ابن سينا وقوة إيراداته الرمزية والإشارية، فكما النفس : «**ذات تعزز وتمنع**» كما وصفها، ظلت متعززة متمنعة في القصيدة لم تذكر كاصطلاح، وفي ذلك برهان على روحانيتها ولطافتها الماورائية، أو أنها توارت وتجوهرت حقيقتها وراء البدن، فحق عليها القول الشعري الرمزي هنا أن تتوارى بالضمير الغائب «**هي**» وهذه حكمة عالية في الوصف والإبلاغ؛ والبيت الموالي يبين حُجبها عن الظهور وفي ذلك اختلاف للفلاسفة والحكماء بشأنها، يقول:

«محجوبة عن كل مقلة عارف وهي التي سفرت ولم تتبرقع»

1 . ابن سينا، رسالة في أحوال النفس، تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني، دار بيبليون، باريس، 2007، ص. 106.

إذن، حسب ابن سينا هنا، النفس جوهر سماوي في أصله، وليست البتة أرضية التكوين والنّشأة، فهو يرى أنها مُفاضَةٌ من العقول المفارقة وبالضبط هي من فيض العقل الفعال، وهو جوهر سماوي.

ومن جهته يرى ابن سينا أن المعرفة الإنسانية الكاملة كانت في عالم الأرواح، والذي أطلق عليه مصطلح «**الحمى**» في القصيدة، فيقول:

«تبكي إذا ذكرت عهودا بالحمىبمدامع تهمى ولم تتقطع».

وفي هذا البيت استعارة مكنية واضحة في قوله: « **تبكي إذا ذكرت عهودا بالحمى**» وهنا وصف النفس بصفة البكاء الخاصة بالبدن، فحذف المشبه به (البدن)، وترك لازم من لوازمه، وهو البكاء، والبكاء هنا رمزٌ للإشارة إلى شعور النفس بالشوق والحنين إلى عالمها وموطنها الحقيقي والأصلي، وننوه هاهنا أن ابن سينا تطابق قوله مع قول أفلاطون تماما في رحلة الهبوط إلى العالم الحسي، والتمييز من ثمة بين عالمين؛ عالم مثالي روحاني خاص بالمعقولات، وهو عالم تحيا فيه النفس مجردة عن البدن؛ وعالم حسي واقعي مادي خاص بالحسيات، وهو عالم تحيا فيه النفس مجسدة في البدن، وبين العالمين فرق واسع، وقد بينهما ابن سينا هنا بعدة فروق، بينًّا أهمها وهو نظرية المعرفة أو العلم، يقول ابن سينا ملخصا تمام حكمة النفس الناطقة المقصود بها في القصيدة:» **بل هو جوهر روحاني، فاض على هذا القالب(البدن) وأحياه، واتخذه آلة في اكتساب المعارف والعلوم ، حتى يستكمل جوهره بها، ويصير عارفا بربه، عالما بحقائق معلوماته، فيستعد بذلك للرجوع إلى حضرته، ويصير ملكا من ملائكته، في سعادة لا نهاية لها؛ وهذا هو مذهب الحكماء الإلهيين والعلماء الربانيين، ووافقهم في ذلك جماعة من أرباب الرياضة وأصحاب المكاشفة، فإنهم شاهدوا جواهر أنفسهم عند انسلاخهم عن أبدانهم واتصالهم بالأنوار الإلهية»**[1].

إذن؛ هذه خلاصة تبين درجات العلم وتحققه في النفس الناطقة أو الروح

1. رسالة في أحوال النفس، المصدر السابق، ص. 183.

عند ابن سينا، وهو بهذا اتفق مع أفلاطون بأن الهبوط هو رحلة النسيان، أما الرجوع فهي رحلة التذكر، أو بصيغة صوفية كشفية، رحلة الهبوط والبقاء هي غفلة ونومٌ خفيف، أما العودة فهي اليقظة الحقيقية، وفي هذا الشأن يقول أفلاطون في إحدى محاوراته على لسان سقراط:» **إنك لترى أن مجال الشك هذا كبير، حيث إن التمييز بين اليقظة والحلم شيءٌ يقبل الحِجاج، والحق أن الزمن، الذي ننام فيه والزمن الذي نكون فيه متيقظين يتساويان، وفي كل حالة منهما ندعى بكل قوة أن معتقداتنا في أية حال من الحالين حقيقية وعلى هذا النحو تتساوى حماستنا وثقتنا في إثبات حقيقة كل عالم من العالمين»**[1].

وحول حقيقة الزمان الكوني والزمان النفسي المشار إليها من طرف أفلاطون، نورد بيتين لابن سينا البليغين فلسفيا وصوفيا يقول:

«وهي التي قطع الزمان طريقها ❋ حتى إذا غربت بغير المطلع»

«فكأنها برق تألق بالحمـــــى ❋ ثم انطوى فكأنه لم يلمع».

فالزمان المقصود هنا هو الفترة التي استغرقته النفس وهي حالة في الجسم، وهو حسب ابن سينا قصير جدا، ودليل ذلك تشبيه هبوط النفس بوميض البرق ووجه الشبه هو السرعة، ثم تاليا الانطواء والرجوع نحو الأعلى.

ج- فلسفة التعبير الرمزي:

كما لا يفوتنا أن نبرهن على انفصال النفس عن الجسم وتعبيرها صوفيا فيقول ابن سينا:

حتى إذا اتصلت بهاء هبوطهـــاعن ميم مركزها بذات الأجرع.

علقت بهاء ثاء الثقيل فأصبحتبين المعالم والطلول الخضع.

والحروف هي أسرار غيبية يتم التعبير بها عن الحالات الوجودية، «**والحروف**

1. أفلاطون، محاورة ثيتاتوس، أو عن العلم، ترجمة وتقديم: أميرة حلمي مطر، دار غريب للطباعة النشر، 2000، ص. 48.

العاليات هي الشؤون الذاتية الكامنة في (غيب) الغيوب، كالشجرة في النواة»[1]، يقول ابن عربي:» **والميم الخاتمة منها عن ميم الملكوت، والملَك»**[2]، تماما كما وضحها ابن سينا في أن ميم المركز، تعني مركز عالم الأرواح والملائكة؛ ويضيف ابن عربي جامعا الغرض من علم الحرف قائلا:» **وكما يتعلم مدلولات الكلم بأن يُشار إلى ما وقع منها في العيان ويلمح ما تحقق منها في الاذهان، ويطمح إلى ما يلحظ منها بالإيمان، فكذلك الحروف لها في العلم مدلولات مثل ألف على «الله»، ولها مواطن الإيمان إشارة، ولها في المعقولات والمحسوسات آيات»**[3].

إذن فتم الاستنتاج أن في القصيدة بعدا فلسفيا تمثل في نظرية المعرفة الإنسانية، وبعدا صوفيا إشراقيا، مثلنا عليه بتعبير الحروف هاهنا، وفي هذا برهان آخر على عمق الإشارة في العبارة عند ابن سينا، ومن القصيدة العينية الخاصة بحقيقة النفس وأحوالها مثالا واضحا وكافيا على أن أغلب قصص هذا الفيلسوف رمزية وإشارية، وربما هذا بالاستناد إلى العمق الأدبي والبلاغي، بغرض توطين الفكرة، وتوكيدها، كما أن المزاج الإنساني يميل بالطبيعة إلى الجمال بصفة عامة، ومنه الجمال اللغوي الرمزي والإشاري.

خاتمة:

بعد المعالجة البسيطة للقصيدة السينوية، والتحليل المقارن لكلماتها بلاغيا وفلسفيا يعرض لنا أن نقف على النتائج التالية وهي في الحقيقة مجرد نقاط تتوافق منطقيا مع التساؤلات المطروحة ابتداءً في المقدمة.

أولاً: نجد أن ابن سينا استند إلى النص الأدبي ظاهريا، لكن الغرض من ذلك ليس مجرد كلام شاعري عابر، بل إن غرضه واضح، وهو تقريب حقيقة النفس بعبارات أدبية ذات العمق البلاغي، ورأينا كيف أغنى النص بالصور البيانية من

1. موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، المرجع السابق، ص. 272.
2. ابن عربي، المبادي والغايات في معاني الحروف والآيات، تقديم وتعليق: سعيد عبد الفتاح، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2006، ص. 46.
3. المرجع نفسه، ص. 46.

تشابيه واستعارات وكنايات، وغيرها من المحسنات البديعية، وهذا رغم أن الأدباء، ولاسيما الشعراء يعرض لهم وصف الشيء حسيا وظاهريا في الغالب، أما ابن سينا هاهنا فوصف جوهرا لازال الأمر حوله غير محسوم، وهو جوهر النفس، لذا قلنا أن الأدب البلاغي هنا كان غرضه التبليغ أكثر من أي شيء آخر.

ثانياً: بالنسبة إلى البعد الأدبي في القصيدة تجلى في الصور البيانية، وجمال العبارات موسيقيا، وقد جاد ابن سينا في اختيارها، وقوة وصفها، ولعل كثرتها لدلالة على قريحته الأدبية رغم كونه فيلسوفا أصيلا.

ثالثاً: بالنسبة إلى البعد الفلسفي تجلى في عمق التعبير الإشاري والرمزي في النص فهو كثير جدا، ويفوق الوصف العادي، فرغم أن القصيدة تبدو في أبياتها أدبية فقط، إلا أن معانيها العميقة تتطلب تضلعا في الفلسفة والتصوف وعلم الكلام؛ وعليه تكون القصيدة السينوية هذه معبرة بالفعل عند قوة المنطق الإشاري والرمز الاستعاري في فلسفة ابن سينا ولاسيما قصصه الرمزية. وتعد قصة حي بن يقظان أدبا فلسفيا آخر له؛ ولكن هذه المرة اتخذ شكلا نثريا.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن سينا، **الشفاء، كتاب النفس**، تحقيق آية الله حسن زاده الأملي، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ط1، قم، 7141.
- ابن سينا، نقلا عن السيد نعمة الله الجزائري: **شرح عينية ابن سينا**، تحقيق: حسين علي محفوظ، مطبعة الحيدري، طهران، 4591.
- ابن سينا، **رسالة في أحوال النفس**، تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني، دار بيبليون، باريس، 7002.
- ابن سينا، **حي بن يقظان**، تحقيق وتعليق: أحمد أمين. دار المدى للثقافة والنشر، ط1، بيروت، 7491.
- أرسطوطاليس، **النفس**، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، مراجعة: الأب جورج شحاتة قنواتي، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 9491،
- ابن عربي، **المبادي والغايات في معاني الحروف والآيات**، تقديم وتعليق: سعيد عبد الفتاح، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.
- ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق: عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مادة: «**ورقاء**».
- أرسطو، **الخطابة**، تحقيق وتعليق، عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، 9791.
- أفلاطون، **محاورة ثيتاتوس، أو عن العلم**، ترجمة وتقديم: أميرة حلمي مطر، دار غريب للطباعة النشر، 0002.
- الجرجاني عبد القاهر، **أسرار البلاغة في علم البيان**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1002.
- توفيق فائزي، **الاستعارة والنص الفلسفي**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 6102.
- الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط7، القاهرة، 8991.
- رفيق العجم، **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي**، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، 9991.
- محمد علي زكي صباغ، **البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ**، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 8991.
- معين دقيق العاملي، **دروس في البلاغة**، دار جواد الأئمة، ط1، بيروت، 2102.

مقالات

مقالات

الترجمة بوصفها أداة ترشيد الاستهلاك المعرفي في الوطن العربي

محمد كوداد[1]*

ملخص

كانت الترجمة ولا زالت تشكل أحد أهم روافد توطين المعرفة لدى مجتمعات يعوزها التمكن من ناصية المعرفة علمية كانت أو فنية وأدبية، وفي ذات الوقت تضطلع بدور رعاية وتمتين جذور المعرفة التي وجدت نفسها في بيئة مغايرة تختلف تمام الاختلاف عن بيئاتها الأصلية، كما يختلف من وجدتهم يقومون عليها في كفاءاتهم ومهاراتهم وتوجهاته، بل ودرجات حذقهم وهو ما قد يقف دون استفادة مثلى من جهود التوطين المعرفي في البيئة المستقبلة والحاضنة.

إن المجتمعات التي تشعر بالحاجة للترجمة تشعر في نفس الوقت بنهم استهلاك معرفي حاد مرده تلك الفجوة التي تفصل المجتمع ممتلك ومحتكر المعرفة عن المجتمع الذي يصبو إلى ملامسة إكراميات المعرفة التي توفرها الترجمة من اللغة الأجنبية عن المجتمعات الأجنبية الأكثر تمكنا من باع المعرفة.

1. * أستاذ محاضر في الترجمة والدراسات الثقافية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر (mdkoudded@yahoo.fr)

تلقي هذه الورقة البحثية الضوء على أهمية الترجمة في عقلنة استهلاك المعرفة في الوطن العربي.

Abstract:

If translation was considered throughout history among the main means of domestication of knowledge in communities which lack mastering knowledge scientific, artistic or literary. It is at the same time a means to vehicle and intensify the roots of knowledge flourished in a totally different environment. Actors who take into account the duty of implementing knowledge differ in their competencies, that leads to an insufficiency of implementing knowledge in the host environment.

Communities which feel the need to translate feel at the same time an acute thirst in consuming knowledge, caused by the gap which prevents the community from attaining a good impact of knowledge provided by translation from the foreign language transplanted from foreign countries.

This paper sheds light on the importance of translation in rationalizing the consumption of knowledge in the Arab world.

Keywords: translation, knowledge, consumption, rationalization, the Arab world.

مقدمة

إن ثقافة الاستهلاك التي تختص بها مجتمعاتنا تتعدى الاستهلاك المادي الذي يرتبط بأدوات الرفاهية، بل وبالمأكل والملبس والمسكن والمركب ويتعدى ذلك إلى استهلاك المعرفة بمختلف مجالاتها وأصنافها وتمظهراتها معرفة او تقنية أو اجتماعية أو ادبية مهنية احترافية كانت أو هاوية.

فالمعرفة تبقى هي القوة الدافعة في المجتمع الذي تستخدم فيه المعلومات بكثافة في مختلف مناحي الحياة، فالمجتمع أصبح يعتمد على التكنولوجيا الفكرية

التي تضم سلعا وخدمات جديدة مع التزايد المستمر للقوى العاملة المعلوماتية التي تقوم بإنتاج وتجهيز ومعالجة ونشر وتوزيع وتسويق هذه السلع والخدمات، وهو المر الذي يستهوي عديد المستهلكين قصد استخدام المعرفة كأداة تنمية شخصية ومجتمعية و اللجوء لتوظيف المعرفة اقتصاديا من خلال استغلالها والانتفاع بها خاصة بتواجد اتجاه متزايد نحو استخدام المعرفة للعمل على تحسين ظروف الحياة، ثم الاستخدام الجماهيري للمعرفة الذي يستخدم المعرفة لممارسة حقوقه ومسؤولياته، فضلا عن إنشاء نظم المعرفة التي توسع من إتاحة التعليم والثقافة لكافة لأفراد المجتمع، فقد أضحت المعرفة عاملا لا غنى عنه في الحياة اليومية للأفراد والمؤسسات وهو ما ادى الى تحول قطاع المعرفة في المجتمع الى قطاع مهم من قطاعات الاقتصاد وللحفاظ على مجتمع معرفي متوازن يشترط اتخاذ عدة إجراءات يمكنها المساهمة في الحفاظ على استهلاك عقلاني ومتوازن للمعرفة يسهم في تطوير استخداماتها بما من شانه الرفع من فوائد استعمالاتها.

في هذه الورقة سنتطرق إلى معالجة إشكالية عقلنة استهلاك الوسائط المعرفية في الوطن العربي عبر السعي للإجابة على إشكالية البحث التالية:

إلى أي مدى تلعب الترجمة دورا في ترشيد ثقافة الاستهلاك المعرفي؟

فإن كانت فوضى الاستهلاك المعرفي تؤثر في عجلة الاقتصاد في المجتمع فإن فوضى الاستهلاك المعرفي تنعكس سلبا على التنمية المعرفية بمختلف مجالاتها ومناحيها بشرية كانت أو مادية.

الحاجة لترشيد استهلاك المعرفة: ترتكز اقتصاديات المجتمعات العصرية على سياسة الحد من الغلو في الاستهلاك قصد محاربة التبذير والاستهلاك غير المتبصر وكذا إهدار الموارد والمواد، فلذلك مختصون يتكفلون بوضع خطط وسياسات مدروسة ومتوازنة ومضبوطة قصد أيجاد توازن بين الموارد المتوفرة والحاجيات المعبر عنها من طرف أفراد المجتمع.

إن استهلاك المعرفة يتمثل في اللجوء الى استعمال تلك المعلومات والمعطيات

التي توفرها الترجمة أو التي تنقل الى لغة المجتمع بواسطة الترجمة في معالجة إشكاليات عديدة يواجهها المجتمع ومحاولة ايجاد حلول لها.

الترجمة وسياسة الترشيد: إن كانت الترجمة أداة نقل، فإن الاداة قد تكون موطن استعمال غير رشيد وبالتالي تطرح الحاجة الى ترشيد في الاستعمال، فالترجمة كواسطة نقل معرفي تطرح إشكالية وضع سياسية ترشيد في الاستعمال قصد خلق تجاوب أفضل ليس مع الظروف والوسائل المتاحة والمنوطة بالعملية بل بدفع السياسة المتبناة في المجتمع والتي لها علاقة بالإطار القانوني لضبط آليات استهلاك وإنتاج المعرفة علمية كانت أو أدبية، فالترجمة كرافد من روافد التطعيم المعرفي تفترض انتقاء معرفيا يتماشى مع خصوصيات المجتمع الحضارية والثقافية والاجتماعية وكذا مع حاجة المجتمعات لتطوير بنى وهياكل بذاتها سواء كانت اقتصادية او اجتماعية أو اجتماعية كون عملية التأثير والتأثر سمة المجتمعات فإن الحاجة لترشيد التأثر يتطلب معالجة وفق أولويات خطة بل وسياسة تطوير المجتمع والوفاء باحتياجاته المعرفية والتقنية والفنية، يقول في هذا الصدد لين بروكر (2010:87): «الخطر الحقيقي يتمثل في أن التعليم الجامعي يمكن أن يصبح منقطعا عن الواقع والذي يؤدي به الأمر لان يصبح مهمشا ونتيجة لذلك ينظر اليه كونه مجانبا لواقع عملية الترجمية .ان الهوة بين التقدم التكنلوجي والمراس البيداغوجي يجب سده»

يرتكز الانتقاء المعرفي على وجود خطة واضحة ومدروسة ترتبط ليس فقط بالحاجة بل بترشيد تلك الحاجة وضبطها، بل وتوجيهها وفق سلم أولويات تساهم في عقلنة الاستهلاك المعرفي وفق عوامل الوفرة المادية والبشرية التي تمكن من أقصى استغلال للطفرة المعرفية وفق عوامل الوفرة المادية والبشرية وعبر برامج وهيئات ومؤسسات علمية وأكاديمية.

إن الانتقاء المعرفي في ارتباطه بالحاجة يجب ان ينفتح في عملية النقل على دول ولغات جديدة اثبتت مجتمعاتها تفوقا معرفيا في مجالات شتى. فالجهود المؤسسية للتثمين المعرفي يجب ان ترتبط ايما ارتباط بخطط تنمية مدروسة وقطاعية

مؤشرات ترشيد الاستهلاك المعرفي

الترجمة وليست غاية فهي أداة لتعزيز كفاءات الأفراد وقدرات اللغات على احتضان المعارف، وتمكن ان استغلت استغلالا أمثل ان تؤسس لعوامل نهضة معرفية وعلمية جادة للمجتمعات التي تولي الترجمة أهمية، إذ يزودنا التاريخ بأمثلة عن أمم عدة ساهمت الترجمة في نقلتها الحضارية كالدولة الأموية وما كان لبيت الحكمة من دور في تطعيم المجتمع العربي بمعارف جديدة و حقول معرفية مستحدثة عرفها اليونان والإفرنجة وبرعوا فيها من قبل.

لقد أدت الترجمة دوراً علمياً فعالاً، فالترجمة تربط المجتمعات ببعضها وتراث الحضارات يتناقل بفضل ترجمته إلى لغات أمم مختلفة، فبما وجد العرب أنفسهم متخلفين عن الركب العلمي والحضاري مضطرين للترجمة عن أمم سبقتهم. كانت ان الترجمة ملتقى الثقافات بأخرى تقوم بالتقريب بين ثقافات العالم وتسهم في تعزيز التفاعل الحضاري.

إن متابعة تاريخ الثقافة العربية يظهر أن حركة الترجمة قد مكنت العرب من الاطّلاع على ثقافة الغربيين في هذا الصدد يشير د. علي شلش إلى مكانة الترجمة فيقول: «لم نستيقظ إلا في القرن 19. وعندئذٍ أدركنا بسرعة أننا مثل أهل الكهف فشرعنا في تلك العملية النهضوية التي لم تنته بعد، للحاق بالذين أيقظونا من نومنا الطويل. ومرة أخرى كانت الترجمة أداة من أدوات السباق مع الزمن. وروى لنا المؤرخون كيف أن حاكماً أمياً مستبداً، مثل محمد علي في مصر، أشرف بنفسه على إرسال البعثات، وتعلم اللغات وتحرير الصحيفة الوحيدة التي أسسها، وتكليف كل مبعوث في الخارج بترجمة كتاب أو أكثر في العلم الذي تعلمه.

كما يزودنا التاريخ المعاصر بما كان لحركة الترجمة التي صاحبت الحملة الفرنسية من اسهام في فتح افاق المعرفة الحديثة في مصر في عهد محمد علي، فمؤشرات الحاجة للاستهلاك المعرفي ترتبط بـ:

- التبعية الاستهلاكية المادية وغزارة الاستيراد مقارنة مع التصدير.

- التبعية البحثية لما يحدث في الخارج من بحوث علمية وأكاديمية في مختلف المجالات.
- التبعية الهيكلية للمؤسسات والهيئات المرتبطة بالتقييم والقياس وبتوحيد المواصفات الفنية والتجارية.
- التبعية الإعلامية لمؤسسات الإعلام الغربية.
- التبعية في ميزان القيم لمعايير لحقوق الإنسان وحرية الإعلام وحقوق المرأة وحقوق الحيوان.
- الارتباط القيمي بمعيار قيم التسامح، والإرهاب، والعدالة الاجتماعية وغيرها.
- توثيق الخبرات وحفظها في قاعدة بيانات تجعلها متاحة للاستخدام.
- استخدام المعلومات المترجمة لإنجاز البحوث والدراسات الأكاديمية والمعرفية المختلفة.
- سن برنامج عمل يضمن التواصل بين أهل المعرفة ومستخدمي المعرفة بشكل مستمر ومنظم.
- الرفع من الكفاءات الإبداعية بواسطة ضمان تدفق المعلومات وتبادل الخبرات.

إن تبعية الغرب وإن كانت لمجتمعاتنا تبعية طاقوية فإن تبعيتنا المعرفية في شتى صنوف العلوم الحديثة تجعل منا مجتمعات لا تنتج المعرفة، بل تستهلك المعرفة تلك المعرفة التي من شأنها ان تبلور نظرة المجتمع لنفسه، وإحساسه بضرورة اللجوء للترجمة لسد الهوة، بل ولتوطين المعرفة.ويشير إيتالو كلفانو (1985:37): «دون ترجمة سأبقى مقتصرا على حدود ما يجري في بلدي، فالمترجم هو حليفي الأهم، كونه يمكنني من ولوج العالم».

أدوات الترشيد في استهلاك المعرفة

موضوع نقل التكنولوجيا موضوع يشغل البلدان النامية، والبلدان العربية منها، فالمترجمون المتخصصون يقومون بنقل مختلف صنوف المعرفة فقد أصبح دور الترجمة في التنمية الاقتصادية والمعرفية أكثر الحاحا. وبالفعل كانت الترجمة دائماً عاملاً من عوامل التنمية. فالترجمة تضطلع بدور فعال في التكوين المعرفي والاستهلاك وعمليات الاستيراد والتصدير والتعامل أسواق رأس المال ونقل المعرفة والخبرات والمهارات. فالترجمة تقوم بدور أساسي في التجارة الدولية.

يقول د. شلش: «وفي الحرب والقتال يظهر الاحتكاك المباشر، واطّلاع كل طرف على ما عند الآخر من معارف وتكنولوجيا. فإذا ساد السلام صارت التجارة أو التبادل التجاري، أداة الاحتكاك من جديد، وهكذا».

وتضطلع الترجمة بدورٍ هام في مجال التي يحتاجها أفراد المجتمع عندما يتعامل هؤلاء الأفراد مع الممثليات والدوائر الحكومية الأجنبية للحصول على التأشيرات ومختلف الوثائق للدراسة والسياحة والتطبيب بالخارج.

علاوة على ما ذكر تسهم الترجمة في إحداث تغييرات أساسية في أشكال النتاج الفكري والأدبي وكذا الحياة الاقتصادية والفنية كما أنها تعد اليوم صالحة للتعبير عن مظاهر العلوم الحديثة. فالمصطلحات العلمية قد دخلت عن طريق الترجمة والاشتقاق والنحت واكتسبت بذلك كثيراً من المفاهيم والمصطلحات، وهذا ما يثبت قدرة اللغة العربية الكبيرة وكفاءتها في احتواء علوم العصر واستيعاب أسسها المعرفية. يذكر عمارة الأخوص أنّ «الترجمة تشكّل رحلة فوق بحر من تلة لأخرى، أحيانا ذاتي وكأني مهرب، فأنا اعبر حدود اللغة من بوابة المفردات والأفكار والصور و الكنايات».

فالترجمة شرط من شروط العمل العلمي الذي يسهم فعلياً في نماء المجتمع وفي إغناء المعرفة البشرية وفق رؤية لتحقيق هذا النقلة يشترط ما يلي:

أولاً: ربط جهود الترجمة بالبحث العلمي وتطوير أسس البحث المنهجية، كون البحث كفيل بوضع المشاريع العلمية والجهود التنموية على محك التجربة.

ثانياً: تفعيل دور مؤسسات الترجمة من وإلى اللغة العربية، لتنقل الخبرات الثقافية والمعرفية التي حققتها الأمم المتقدمة، ودعمها مادياً ومعنوياً.

ثالثا: تشجيع نشر الأعمال العلمية المترجمة والتي ترتبط بالجوانب العلمية والفنية التي يشهد المجتمع حاجة لتطويرها.

رابعا: تشجيع التخصص في الترجمة وتزويد هيئات التكوين ببرامج تكوين ومدرسين أكفاء من ذوي الاختصاص مع الأخذ بعين الاعتبار للظروف المعرفية والاجتماعية والثقافية للمجتمع.

خامسا: إنشاء جائزة للترجمة على شاكلة جائزة الترجمة والتفاهم الدولي التي

سادسا: ربط الترجمة بمشاريع التطوير اللغوي في المجتمع وإغنائها فالربط بين اللغتين يسهم يعين في تثبيت المعلومات ويمكن من تطوير لغة البلد استخدام اللغة الجديدة وصقل أفضل لتراكيبها.

تجليات الاستهلاك المعرفي

الاستهلاك المعرفي يؤخذ تجليات عدة لتشمل مجالات متنوعة مثل القانون و الأعمال والتكنولوجيا والإدارة و لاسيما الترجمة التقنية والترجمة المتخصصة.

فالترجمة التقنية يعرفها تشير إلى عملية ترجمة تلك النصوص التي تنتمي إلى ما يسمى باللغات المتخصصة وعادة ما يتم تصنيفها إلى جانب أنواع أخرى مثل الترجمة القانونية والترجمة العلمية أو ترجمة النصوص الطبية.

والترجمة التقنية تشير الى احتواء الحقل أو الموضوع على مصطلحات فريدة أو متخصصة لا تجعله تقنيا... الترجمة التقنية تتعامل مع النصوص التقنية، أو بشكل أكثر تحديدًا، تتعامل الترجمة التقنية مع النصوص التي تدور حول موضوعات تعتمد على المعرفة التطبيقية من العلوم الطبيعية

والترجمة المتخصصة تتعامل مع أي نص يتم إنتاجه ضمن مجال المعرفة أو

النشاط المتخصص أو يشير إليه، بغض النظر عن قصده أو غرضه المقصود. ومن هنا، يمكن اعتبار جميع أنواع الترجمة المذكورة في الأسئلة أعلاه بأنها متخصصة، وذلك بسبب أنها الترجمة التي تتم في سياق متخصص، أي، سياق يتضمن منتجي نصوص أصل متخصصة، أو مواضيع متخصصة، أو نشاط متخصص.

فإن النصوص المتخصصة ليست مجرد قوائم للمصطلحات المتخصصة. فيما يتعلق بالمصطلحات، غالباً ما تتضمن النصوص المتخصصة سلسلة من المرادفات، وإعادة الصياغة، وسياقات شبه التعريفية وشبكات معجمية ومصطلحية شاسعة. بالإضافة إلى ذلك، نظرًا للطبيعة المتعددة الاختصاصات لمظاهر المعرفة الحالية، فإن النصوص التي تقتصر على مجال مصطلحي واحد تعتبر استثناء وليست القاعدة. على سبيل المثال، تحتوي معظم النصوص الطبية على مصطلحات من الإحصاء، أو علم الصيدلة، أو الفيزياء، ومعظم النصوص التي تتناول النظرية الموسيقية تعتمد على مصطلحات الرياضيات، في حين أن أدلة المستخدم الفنية تشمل المصطلحات القانونية والتجارية. يبدو من غير المجدي التأكيد على أن المترجم الذي يتعامل مع هذا النوع من النصوص يجب أن يأخذ بعين الاعتبار جميع هذه المتغيرات ويلم بها.

- الصناعات والصيانة
- الملاحة البحرية والجوية
- القوانين والتنظيمات
- الرياضة والفنون والانتاج السمعي البصري
- فنون الطبخ والتهيئة الداخلية
- الالبسة والموضة
- البناء والتعمير
- صناعة الكتاب والمعرفة
- الصناعة العسكرية

إن الترجمة وإن كانت اداة ترتكز عليها معظم جهود الاغتناء المعرفي من لدى الغير فإنها تغطي قواعد البيانات الاصطلاحية كل مجال ممكن من المعرفة والأنشطة المتباينة

نقلا عن وتيمنا بالبلدان التي لها تقاليد لغوية واصطلاحية طويلة تحتضن العلوم والمعارف، حيث تتجسد مختلف المناهج المعرفية سواء كانت أحادية اللغة أو متعددة اللغات بما فيها قواعد بيانات المصطلحات التقنية والقانونية والطبية والتجارية وغيرها إلا أن هناك ميادين عن اللغة التي تظهر بها فإنها تعتبر معارف تقنية ترتبط بالبديهيات والتجارب الإنسانية المشتركة . فالمترجمون قد لا يجدون إشكالات في التقل أو أن هذه المعارف لا تحتاج لأن تترجم أصلا .

كما لا يمكن التسليم بأن كل مجالات المعرفة قابلة للترجمة كون هناك نوعا من العوز المعرفي في بعض مجالات المعرفة لأن اللغة قد تعجز عن احتضان مجالات النتاج المعرفي، كون ان بعض التخصصات تستعصي تعابيرها حتى على لغاتها لا سيما في خضم الطفرة المعرفية المتزايدة والمتواترة للعلوم والمعارف.يقول جاسون وينغ: «لما يكون بسيطا ترجمة أي نتاج إلى أي لغة يتحدث بها القوم، مواءمتها مع الثقافة المحلية يعد مهما للغاية لضمان نجاح كلي للغاية المنشودة».

الإصرار على تحديد رؤية موحدة واضحة وشاملة والمواظبة على تحقيقها عبر برنامج عمل محدد ودؤوب.

- تحقيق شعور لدى الأفراد وارتباطه بوجوب امتلاك الدولة للبنى التحتية، وتدخل الدولة لحماية الإفراد، وتأمين الحد الأدنى من الاستقرار.
- العمل على جعل المعرفة قاعدة استراتيجية لتحديث الإنتاج وتنويع الدخل للدول عبر الصناعات الذكية لتكون مصدرا لتطوير العنصر البشري لأداء أفضل.
- أن تكون المعرفة أساس لتفعيل الاقتصاد المعرفي وتحوله نحو الاقتصاد

المنشود بتوزيع عادل للثروات وحياة أفضل للأفراد.

ومما سبق يتبين إن المعرفة هي منطلق الحاجة للأفراد وان الحاجة للمعرفة تبقى المحور الأساس في مصير الدول لأنها تشكل الرافد الذي يغذي الحاجات الأخرى وجمودها يعني توقف نمو اقتصادات هذه الدول ونقصان في متطلباتها الأساسية الأخرى فتتخلف عن مسيرة الحياة وتقع أسيرة في ربقة الدول التي تمتلك سلاح المعرفة والعلم.فالتحول السريع الذي حصل في اقتصاد المعرفة جعل من شيوع بالمعرفةحقيقة معيشة، إضافة الى ربط الأفراد بواقع الغرض منها اكتساب المعرفة واكتساب القدرة على توظيف هذه المعرفة و راس المال المعرفي وتقييم الموارد المعرفية وكيفية توظيفها واستخدامها استخداما بكفاءة، وذلك ما يعكس سعي الأمم لخلق بيئة تبحث عن المعرفة الجديدة وتوظيفها في تطوير الفرد والمجتمع.

مظاهر تطور المعرفة في الدول العربية

تمثل المعرفة عماد الاقتصاد المعاصر خاصة في عصر العولمة، مما يدل على أهمية التحول إلى عصر مجتمع المعلومة، في الوقت الذي تعاني الدول العربية من فجوة واضحة في هذا المجال على الرغم من محاولة البعض منها الانفتاح نحو عالم المعرفة لتواكب ثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، والسير في ركاب الدول المتقدمة، وجعل المعرفة ركيزة إستراتيجية تعتمد عليها باستخدام ثلاثة اتجاهات مختلفة هي:

- استيعاب المعرفة
- التمكن المعرفة
- نشر المعرفة

غير إن هذه الاتجاهات لا يمكن تحقيقها إلا بعد خطوات ثابتة في تحصيل المعرفة والتي تعتبر ركائز أساسية يستند توطين المعرفة ألا وهما التربية والتعليم بكل مستوياته وأصنافه وأشكاله وكذا البحث والتطوير ومخرجاته والسعي إلى تقليص جوانب الفجوة الرقمية وتقنية المعلومات. فمصادر للمعرفة ترتبط ارتباطا

وثيقا بالتنمية البشرية التي تتوخى التمكن من آليات الانفتاح والتأقلم المعرفيين وهما ما يساعدان في إيضاح الرؤية التي تمكن من ترشيد استيراد واستهلاك المعرفة.

فنشر المعرفة من ناحية أخرى يرتبط بجهود بحثية متزامنة تنبع من التزام مؤسساتي يعمل على وضع المعرفة المستوردة في متناول شرائح واسعة من المجتمع بلغته الأم في مراحل التعليم المختلفة وكذا عبر تشجيع الاطّلاع على المعارف بواسطة نشاطات الإعلام والصحافة والمكتبات العامة.

تحيين الاستيراد المعرفي

يتضمن تزويد الأفراد بالقدرة على استخدام المعرفة من خلال عدة ركائز منها التربية والتعليم وتوطين التكنلوجيا والاهتمام بنقل وترجمة التقانة.

فمن وجهة التربية والتعليم فقد أحرزت الدول العربية خلال السنوات الماضية تقدما في تقليص الأمية ونشر التعليم، إذ انخفض معدل الأمية بين البالغين إلى 39% سنة 2001، وتشير بعض الدراسات أن معدلات الأمية في الدول العربية لا تزال أعلى من المتوسط العالمي وأعلى من متوسطها في الدول المتقدمة والدول النامية أما نسبتها حسب النوع (إناث وذكور) فتبقى بين الإناث أعلى منها بين الذكور، ولدى المقارنة مع نسبتها على المستوى العالمي والدول المتقدمة والدول النامية فتبقى النسبة أعلى في الدول العربية مقارنة مع هذه الدول.

ضوابط الاستهلاك المعرفي في الوطن العربي

ترتبط ضرورة ترشيد الاستهلاك المعرفي بجملة اشتراطات تجعل منها ضرورة ملحة، قصد التطوير المجتمعي لاسيما التطوير الفكري والوجداني المرتبط بالتعامل مع مستجدات المعرفة انتقاء واستيرادا واستهلاكا. ومن اشد تلك الضوابط ما يلي:

1- الصورة التي تتربع عليها المعرفة التقنية من منطلق أنها مسهلة لاكتساب المعارف والعلوم.

2- الإسهام المتواضع للغة العربية في تطوير المعرفة علمية كانت أو تقنية.

3- السوق الرائجة التي يشكلها العالم العربي في مجال الاستهلاك المعرفي.

4- العقلية التي تسود لدى المستهلكين العرب، بالميل إلى تفضيل ما يجيء من الغرب.

5- عدم القدرة المتناهية للمستهلك العربي على التفرقة بين الضروري والكمالي في مجال اقتناء المنتوج المعرفي.

6- ابن خلدون ونظريته في تقليد المغلوب للغالب.

7- نقص التحكم في اللغات الأجنبية، لا سيما اللغة الانجليزية من طرف شريحة واسعة من القراء في الوطن العربي.

تحديات ترشيد الاستهلاك المعرفي

إن الحديث عن تحديات ترشيد الاستهلاك المعرفي في الوطن العربي يتبادر إلى ذهن المتعامل مع الموضوع أن الاستهلاك هو استهلاك مادي مجرد، غير انه في واقع الأمر هو جملة من التفضيلات التي تستقر في ذهن المتلقي العربي، متلقي خطاب معرفي وخطاب إشهاري متزامن يدفع الى الإقبال على استهلاك المنتوج المجسد معرفيا على شاكلة النظريات والمناهج الخدمية والبحثية التي تتجسد في أفكار ومسلمات قد ترقى الى العلمية والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالمعارف والعلوم.

فالترجمة تشكل أداة رفع تحديات هذا الاستهلاك، والمتمثلة في غياب أثر وتأثير المرجعية المعرفية المحلية الحديثة والميل إلى تبني المستورد والدخيل.

فالترجمة تعزز ذلك الإنتاج المحلي ليطلع عليها الباحثون والمترجمون للاستفادة من الترجمات - يتحدث بما يشمله من تبادل المعلومات بوصفها إحدى التحديات التي تعترض تطوير البحث العلمي فيتطرق إلى قضية التنظيم العام لتبادل المعلومات من أجل تجنب تكرار الجهود المعرفية البحثية.

كما تتبوأ مسألة الجهد الترجمي المعرفي فائدة جمة الناتجة عن توفر منشورات علمية مترجمة عن الإنكليزية والفرنسية والاسبانية وغيرها من اللغات الحية، فالصعوبات الكبيرة التي يشعر بها الباحثون نتيجة بقائهم ضمن اختصاصاتهم بلغاتها الأصلية دون اطّلاعهم على ترجمات المنشورات التي تتعلق بآخر التطورات في مجالاتهم يكرس ضيق الأفق وقصور الرؤية، ويستلزم ذلك ضرورة إعداد مترجمين علميين مزودين بثقافة لغوية وكفاءة اختصاصية متينة.

من التحديات كذلك، غياب أفق التنسيق بين أقطار العالم العربي في المجالات البحثية والمعرفية التي من شأنها أن تسهم في التقليل من معاودة تكرار الجهود البحثية في المجالات المعرفية نفسها ومن اللغات نفسها وهو الأمر الذي قد يشكل هدرا لجهود المترجمين العرب.

يضاف الى ذلك غياب هيئات وطنية وعربية تتكفل بالتنسيق لضبط حدود وأسس الاستهلاك المعرفي في الوطن الواحد وفي الوطن العربي ليتم ضمان تخطيط الاستهلاك المعرفي تخطيطا عقلانيا تستجيب لضرورات الخيارات الاقتصادية المرتبطة بالحد من استيراد الكماليات وعقلنة استهلاكها، والتي يفترض أن تتعدى بالضرورة النتاج الاقتصادي لتشمل النتاج المعرفي.

ضمانات نجاح سياسة ترشيد الاستهلاك المعرفي عبر الترجمة

إن ثقافة الاستهلاك في المجتمعات تحددها عوامل بيئية واقتصادية وثقافية، وينطبق ذلك ايضا على استهلاك المعرفة فالمجتمع يشترط تأهيلا استهلاكيا إن صح القول لكي لا ينساق الى اقتناء كماليات لا تسمن على حساب الأساسيات. إذ يرتبط الإقبال على المنتوج ليس فقط بالحاجة له، بل بالقدرة على الترويج له وإقناع المستهلك باقتنائه. فإن كانت بعض المجتمعات توصف بأنها استهلاكية للمنتجات والخدمات بامتياز فهذا يكون على حساب قدرتها على الاكتفاء ذاتيا والاستعداد لتطوير كفاءاتها الإنتاجية، فالمعرفة ألوان وفنون.

إن المعرفة بالإضافة لكونها تشمل مجالات شتى وتأخذ مظاهر مختلفة إلا

أنها تتفق كلها في أنها ترتبط بالبحث المعرفي تجريبيا كان أو مجردا، زيادة على أنها قد أنتجت بلغات شتى، فالمعارف ابنة بيئاتها، إذ أن كثيرا من اللغات ترتبط بمجالات معرفية عدة أثبتت جدارتها فيها، إذ تجري العادة أن يعتبر عموم الناس أن الفرنسية لغة عواطف والانجليزية لغة أعمال والألمانية لغة حرب والعربية لغة شعر والايطالية لغة أوبرا وغيرها، فبغض النظر عن صدق ذلك أو عدمه فإن للترجمة ارتبط بذلك فهي تنقل فنونا بعينها من لغات بعينها وهو الأمر الذي يرتبط أحيانا بواقع المعرفة وأحيانا ويعكس قناعات لدى المترجمين.

أن تفرد بعض الدول والمجتمعات بسياسة ترشيد الاستهلاك المعرفي على المستوى الفردي والمؤسساتي والمجتمعي والأكاديمي يعكس تراكمية الجهود سواء داخل الوطن الواحد أو عبر الاستفادة من التجارب المؤسسية لمجتمعات أخرى لها باعا طويلا في مجالات البحث المعرفي على شاكلة منظمة الدول الفرنكفوني ومنظمة الكومنولث فبالرغم من كون هذه المنظمات سياسية إلا أن الجوانب اللغوية والثقافية والمعرفية تحتل مكانة بارزة ضمن نشاط مجموعة الدول تلك، فالأمر يجدر ان يحتذى به من طرف مجموعة الدول العربية في إطار المنظمة الغربية للتربية والثقافة والعلوم.

إن الغاية من ضبط سياسة رشيدة للاستهلاك المعرفي هو الوصول إلى عقلنة ليس فقط في الاستهلاك في حد ذاته، بل وعقلنة الخيارات المرتبطة بالامتداد المعرفي في المجتمع الذي يعوزه تطورا معرفيا بل وعلميا يتجسد في انكبابه على استهلاك البحوث والنشريات المعرفية والعلمية والأكاديمية التي تصدر بلغات مختلفة لها باع طويل في النشر العلمي والسعي لنقلها للغاتها، كما أن الغاية تتجسد في محاول درء الهوة بين المجتمع المتقدم معرفيا والمجتمع الأقل تقدما معرفيا أو المجتمع المستهلك للمعرفة.

الخاتمة

تعكس الترجمة أدوارا غير تقليدية إضافة لأدوارها المتعارف عليها تقليديا والمتمثلة في التواصل وتسهيل التعارف بين الأفراد والمجتمعات التي لا تتقاسم نفس اللسان، فالترجمة من منطلق كونها أضحت تفرض أدوارا جديدة ترتبط بشكل أو بآخر بتقانة المعلومات واستعمالاتها المتعددة والمتشابكة، أضحت أداة تمكن من ترشيد الاستهلاك المعرفي والمعلوماتي اللذان يساهمان في الحد من تدفق الاستهلاك غير المتبصر للمعرفة وللمعلومة.

ان الترجمة وإن كانت تتم أكثر للغة العربية انطلاقا من لغات أخرى لا سيما الفرنسية والإنجليزية فإنه أصبح من اللازم أن تتعدى إسهاماتها أدوارها التقليدية. إن الاستهلاك المعرفي وإن كان يشير إلى إسهام للترجمة في تقليص الفجوة بين المجتمعات، فإنه ينم عن دور آخر أكثر أهمية في البلاد العربية خاصة ألا وهو المساهمة في التنمية الاقتصادية للبلد عبر أشكال وتمظهرات عديدة لتوطين المعرفة وترشيد استهلاكها في الوطن العربي. إن سوق المعرفة وأن كانت سوقا مزدهرة، فهي تستلزم ترشيد استهلاكها عبر سياسة رشيدة متبصرة وواعية، تتعدى مجرد رسم الخطط، بل وبمتابعتها وتطبيقها وتقييمها وترشيدها من طرف مؤسسات فاعلة يسهر عليها أشخاص أكفاء، قادرون على رفع التحدي والإسهام في تطوير الأوطان والأمة.

قائمة المراجع

- انطونيوس كرم، **العرب أمام تحديات التكنولوجيا**، نوفمبر 1982، سلسلة عالم المعرفة، كتاب رقم 59.
- مجيد مسعود، **التخطيط للتقدم الاقتصادي والاجتماعي**، يناير 1984، سلسلة عالم المعرفة ـ كتاب رقم 73.
- الأمين، عبد الوهاب، (2003)، «**مقتطفات اقتصادية»، مجلة بحوث اقتصادية عربية**، جمهورية مصر العربية، القاهرة، العدد 30 و31.
- الدعمة، إبراهيم مراد، (2002)، **التنمية البشرية والنمو الاقتصادي**، بيروت، لبنان.
- سلامة، عبد الباسط محمد، (2002)، **الاتصال وتكنولوجية التعليم**، الطبعة الأولى، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان.
- الشراح، رمضان، (2003)، **البحث العلمي وتطوير الإدارة العربية في ظل التحول نحو اقتصاد السوق**، المجلد 23، العدد 2، كانون الأول، المجلة العربية للإدارة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، جامعة الدول العربية، القاهرة.

- Amara, Lakhouas(2012), choc des civilisations pour un ascenseur,Pizza Vitorrio, Rome, Italy.
- Bowker, Lynne,)2002 (Computer-aided translation technology: a practical introduction University of Ottawa Press.
- Daft, Richard, L, (2001) “Organization Theory and Design”, Vanderbilt University, www.amazon.com/exec/obidos/
- Jason Young (2016), Frontier Computing: Theory, Technologies and Applications: Notes in Electrical Engineering Publisher: Springer Singapore.
- Swanstrom, Edward, (2002), “Economic based knowledge Management», www.gkec.org/knowledheeconomics/econkmframework/kmeconomics1.7 pdf.
- Thoreson, J, (2000), «Business Science analyst & Itop inventor”, Knowledge Management Conference, October 1113-Monterrey Mexico

مقالات

الترجمة العلمية في العالم العربي: مكامن الخلل المعيقة لقيام مشروع نهضوي

د. جان جبور*[1]

ملخص:

ما زالت محاولات تعريب العلوم تواجه بعض التحديات التي تعوق انطلاق نهضة ترجمية فعلية، وبالرغم من الجهود الكثيرة التي تبذل (جامعات، مجامع لغوية، مراكز بحثية الخ.) لا نزال نعاني من قصور في هذا المجال. المعوقات كثيرة، وهي ذات طابع تقني (قضية المصطلحات، الكتب والمراجع، المعاجم...)، وذات طابع سياسي، لأن الترجمة ليست مسألة أو قضية قائمة بذاتها، ولا يمكن فصلها عن أزمة الثقافة العربية ككل. الترجمة هي خطة مجتمع وخطة قومية وحضارية. من هنا تحتاج البلدان العربية لعملية ترجمة مؤسسية وممنهجة ترتبط باستراتيجية تنموية شاملة حتى يتسنّى لنا مواكبة العصر وإشكالياته. وهذا لن يتم إلا إنشاء مؤسسة عربية جامعة لحل مشكلة المصطلحات وترجمة الكتابة العلمية من كتب ومراجع ومجلات ودوريات إلى اللغة العربية. هذه المؤسسة تكون تابعة للجامعة العربية وترصد لها ميزانية ضخمة من الدول العربية كافة، وتكون على تعاون وثيق مع الجامعات ومراكز البحوث والمؤسسات العلمية في سائر أنحاء الوطن العربي مستفيدة من

1. * أستاذ جامعي باحث ومترجم.

التطور التقني الهائل لسدّ الفجوة القائمة واللحاق بركاب التقدم العلمي.

Traduction scientifique dans le monde arabe: Des obstacles entravant la mise en place d'un projet de renaissance

Les tentatives d'arabisation des sciences continuent de faire face à des défis qui empêchent l'éclosion d'une véritable renaissance. Malgré les nombreux efforts déployés, nous souffrons toujours d'un manque dans ce domaine. Les obstacles sont nombreux et de nature technique (terminologie, livres et références, dictionnaires...) ainsi que politique, car la traduction ne peut être dissociée de la crise de la culture arabe dans son ensemble. La traduction est une nécessité vitale pour la nation et la culture arabes. C'est pourquoi les pays arabes ont besoin d'un processus de traduction institutionnel lié à une stratégie de développement globale. Cela ne pourra se faire que par la création d'une institution arabe universelle chargée de mener une stratégie ambitieuse et intégrée (résoudre les problèmes de terminologie, traduire des livres, des références, des revues et des périodiques vers la langue arabe). Cette institution devrait être rattachée à la Ligue arabe et bénéficier d'un budget considérable. Elle devrait également collaborer étroitement avec les universités, les centres de recherche et les institutions scientifiques dans les divers pays arabes, tirant parti des avancées technologiques considérables pour combler le fossé existant et rattraper le progrès scientifique.

مقدمة:

تتزايد أهمية الترجمة العلمية يوما بعد يوم نتيجة للانفجار المعرفي، والتقدم التكنولوجي الهائل في جميع مجالات الحياة، وتزداد هذه الأهمية بالنسبة لعالمنا العربي لكونه بالأساس متلقيًا للمعرفة العلمية أكثر منه منتجًا لها. من هنا تكثر المؤتمرات والندوات والمقالات التي تتناول وضع الترجمة في العالم العربي والعوائق التي تعترض قيام نهضة ترجمية فعلية، وفيها يكثر الكلام عن أزمة الترجمة في

العالم العربي وتكثر المقارنات بين ما يترجمه العرب مجتمعين وما تقوم به دولة أوروبية واحدة، فنستذكر عصر المأمون حيث عرفت الترجمة ازدهارًا كبيرًا وتحوّل العالم العربي الى مركز للإشعاع المعرفي، ونخلص الى أننا نعيش واقعًا مؤلمًا يتّسم بالتخلّف والفوضى والعشوائية، لا يتوانى البعض عن وصفه بالكوارثي.

كما يكثر الكلام عن أزمة اللغة العربية، ونبدأ بالنواح على أن اللغة العربية تندثر، وتشوّه عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وتضعف على ألسنة الشباب، وبالتالي هي لغة لا مستقبل لها. يرفد هذه التوجّه أنصار التعليم بغير اللغة العربية الذين يزعمون أن اللغة العربية لغة متخلفة لا تصلح أن تكون أداة تعبير عن منجزات العصر الحديث وعلومه.

بالطبع إننا أمام مشكلة حقيقية، ولكن لا بد لي في البداية، وكي لا أفهم خطأ بأني أقدم صورة سوداوية أن أوضح أن هناك الكثير من النقاط المضيئة التي لا يتوجّب تجاهلها.

النقاط المضيئة:

لا بد من التأكيد أولاً أن اللغة العربية ليست في خطر، ولا هي لغة إلى أفول. وهنا، لا بد من التذكير سريعًا بأن اللغة العربية تحتل المركز الرابع عالميًا من حيث عدد الناطقين بها، الذين هم بحدود أربعمائة مليون شخص؛

وهي اللغة الرسمية في 22 دولة عربية؛ وهي إحدى اللغات الست المعتمدة كلغة رسمية ولغة عمل في الأمم المتحدة؛ وفيها تُنشر سنويًا آلاف الكتب والمجلات والصحف في مختلف البلدان العربية؛ كما تحتل في الوقت الحاضر المركز السادس كلغة اختيارية في الجامعات والمعاهد على صعيد العالم.

صحيح أن اللغة العربية تواجه تحديات جمة تحول دون تمكُّنِها من مسايرة الحداثة والطفرات العلمية والتقنية الهائلة التي يشهدها العالم اليوم في ظل العولمة. إلا أن هذا العجز ليس بنيويًا، واللغة العربية لغة حية وغنية، وتمتاز بقدرتها على التكيّف والإبداع، والعيب ليس فيها وإنما يرتبط بشكل أساسي بحالة التشرذم

السياسي والعلمي والتكنولوجي المهيمنة في الدول العربية.

هذا من ناحية اللغة. ومن ناحية الجهود التي تبذل منذ سنوات، لا بد من التنويه بالدور الذي تلعبه

الجامعات، والجامعة العربية/المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو)، والمجامع اللغوية والمجامع العلمية، ووجود مؤسسات جادة تُعنى بالترجمة، وتنامي مدارس الترجمة في الوطن العربي، وانعقاد مؤتمرات عديدة حول واقع الترجمة، وصدور عدد كبير من المعاجم الثنائية العامة أو المتخصصة، وقيام مؤسسات بمنح جوائز تشجيعية إلخ.

إلا أن كل ذلك لا يعني بأن اللغة العربية لا تواجه تحدّيات خطيرة. فقد أدّت التطورات التكنولوجية والاستخدام المكثف للغات العالمية مثل الإنكليزية والفرنسية إلى تغييرات عديدة في استخدام اللغة العربية. فعلى نحو متزايد، تحل هذه اللغات الأجنبية محل اللغة العربية في التواصل اليومي وفي المجال الأكاديمي. كما أن الانفجار المعرفي يحتّم سد الفجوة الهائلة بين اللغة العربية والمعارف والعلوم والتقنيات في جميع المجالات، وربط اللغة العربية بجميع معطيات العصر وتطوراته في الميادين كافة. هذه الحركة السريعة تدعونا للاقتباس والنقل والاستفادة الواسعة من نتائج هذه العلوم جميعًا في إغناء اللغة العربية وربطها بحركة الفكر الإنساني. فهل من عوائق لغوية وثقافية أمام قيام حركة ترجمة تُسهم في انخراطنا في حركة التقدم العالمية؟

قبل الإجابة على هذا السؤال، لا بد وأن يتبادر إلى ذهننا العديد من الأسئلة التي تقلق بال كل المشتغلين في مجالي علوم اللغة والترجمة: لماذا 90% من جامعات العالم العربي تدرّس الاختصاصات العلمية باللغات الأجنبية، الإنكليزية أو الفرنسية؟ لماذا فشلت محاولات تعريب العلوم في التعليم الجامعي؟ كم عدد الكتب والأبحاث العلمية التي تترجم الى العربية سنويًا؟ كم عدد المقالات المنشورة بالعربية على المواقع الالكترونية قياسًا بلغات أخرى؟ كم عدد الأبحاث العلمية التي يكتبها

باحثون عرب باللغة العربية؟

وبالتالي: هل اللغة العربية تعاني من أزمة بنيوية؟ هل هي مشكلة العربية أم مشكلة العرب؟ وهل تعريب العلوم مشكلة تقنية أم أزمة فكرية؟

المعوّقات والتحدّيات التقنية على صعيد اللغة:

قضية المصطلحات:

إنها مشكلة حقيقية يعاني منها واضعو المعاجم والمترجمون. فهناك كمّ متراكم ومتزايد يوميًا في مختلف ميادين المعرفة من المصطلحات الأجنبية التي تنتظر التأصيل. ومن ناحية ثانية هناك تعدّد الجهات العربية المعنية بالوضع المصطلحي، والتي تفتقر الى منهجية موحّدة للتعامل مع المصطلح الوافد، فيجد الباحث نفسه أحيانًا أمام تعدّد المرجعية اللغوية للمصطلح ما بين معرّب، أو موروث، أو مشتق، أو منحوت الخ. بالإضافة الى انعدام صفة الإلزام لدى الهيئات المتخصّصة بالوضع المصطلحي. في هذا المجال أيضًا، لا نجد أية دراسة جدية تقارن بين قواعد التوليد المعتمدة. نجم عن هذا الواقع أحيانًا وضع إشكالي، إذ نجد في بعض الحالات عدم فهم دقيق للمفهوم الذي يرمز اليه المصطلح الأجنبي، مما يُنتج مقابلات ليست بذات قيمة، أو اشتقاقات تستغلق على الفهم، أو ترجمة مصطلح يحتمل دلالات عديدة بمصطلح عربي واحد، أو اللجوء الى أسهل الطرق عن طريق استنساخ الكلمة الأجنبية، مما يُفضي الى تراكم الدخيل.

المجامع اللغوية:

المجامع اللغوية هي المؤسسات المنوط بها العمل على تطوير اللغة ومحاولة تجديدها بما يناسب العصر الحديث. لكن المجامع اللغوية العربية في الواقع تعاني من ضغوط كثيرة. فعلى كثرة انتشار مجامع اللغة في الوطن العربي، بدءًا من مجمع دمشق الذي أُنشىء عام 1916، ومجمع القاهرة (1932)، مرورًا بالمجمع العلمي العراقي (1947)، والمجمع الأردني (1961)، والمجمع التونسي (1983)، والمجمع

الجزائري (1986)، والمجمع السوداني (1993)، وأخيرًا مجمع اللغة بالشارقة (2016)، ومركز أبو ظبي للغة العربية (2020) فضلًا عن كثير من المؤسسات والمراكز المعنية باللغة. إلا أنه على الرغم من الجهود التي بذلتها للمساهمة في تطوير ونشر اللغة العربية، ظلت هذه المجامع والمراكز غير مؤثّرة فعليًا في إثراء اللغة وتنمية طاقاتها التعبيرية، ولا في توحيد المصطلحات العلمية. فى عام 1971 تم تأسيس **اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية**، والغاية منه تنظيم وسائل الاتصال بين المجامع المختلفة وتنسيق جهودها. لكن هذا الاتحاد بدوره لم يحقّق قفزة نوعية (في مايو/أيار 2017 دشّن الاتحاد مشروع **المعجم التاريخي** للغة العربية).

في ظل هذا التعثّر، لا بد لنا من التنويه بمؤتمرين: مؤتمر مجمع اللغة العربية بدمشق نوفمبر 2010 بعنوان: «الكتابة العلمية باللغة العربية»، ومؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة مايو 2022 بعنوان: تعريب العلوم: التجارب، والمشكلات، والحلول».

المؤتمرات واقتراح الحلول:

في استعراض سريع للتوصيات التي صدرت عن مختلف المؤتمرات من سبعينيات القرن الماضي إلى المؤتمر الذي عقده مجمع اللغة في القاهرة في شهر مايو 2023 بعنوان «اللغة العربية بين الهوية القومية والعولمة"، نجد أن نقاطًا مهمة تتكرر من عام الى عام، فجميعها تؤكد على أن اللغة العربية، بمرونتها، وثرائها، وإمكاناتها الهائلة في الاشتقاق والنحت مؤهلة لأن تكون وعاءً قادرًا على استيعاب منجزات العلوم الحديثة، بتعدد روافدها واختلاف ثقافاتها؛ وجميعها تؤكد على أن التعريب ركيزة أساسية من ركائز هوية الأمة، وجزء حيوي من أمنها الثقافي؛ وجميعها من دون استثناء توصي بضرورة نشر البحوث العلمية باللغة العربية، وتشجيع البحوث المبتكرة في مجالات العلوم الأساسية. كما توصي بضرورة الإفادة من تجارب المجامع العربية والمراكز البحثية في حقل التعريب والترجمة، والإفادة من التجارب الرائدة في تعليم العلوم باللغة العربية التي سبق وأن قامت بها بعض الدول

العربية، وبخاصة التجربة السورية. كما توصي بالإفادة من المخزون المصطلحي في التراث العلمي العربي والسعي لتوحيد المصطلح العلمي[1].

هذه المؤتمرات توصي كذلك بالعمل على إنشاء بنك قومي للمصطلحات العربية يُجمَع فيه ما سبق إنجازه من مصطلحات في مجال العلوم المختلفة، ويكون نافذة لمواكبة التدفق المعرفي الجديد فيها.

وهناك توصية تتكرر في المؤتمرات التي عُقدت في السنوات الأخيرة حول رفع وتيرة المحتوى الرقمي باللغة العربية على الشبكة العنكبوتية وإنشاء برامج وتطبيقات تدعم اللغة العربية[2].

يتبيّن لنا إذًا أن أولى هذه التحديات التي يواجهها تعريب العلوم تكمن في حل مشكلة المصطلحات، وهي النافذة الفعلية للتمكن من ترجمة المصادر والمراجع العلمية التي يعتمدها الدارسون والباحثون والأساتذة بلغة أجنبية، وكذلك كتب التدريس التي تغطي المقررات الدراسية ويعتمدها أساتذة الجامعات، بالإضافة لترجمة الدوريات والنشرات التي تصدر عن المؤسسات العلمية والبحثية. يرفد كل ذلك الجهد الذي يجب أن يبذل لإعداد المعاجم في مختلف ميادين العلوم الطبيعية والتجريبية والتقنية.

التحديات السياسية:

لكن السؤال الهام يبقى: هل المشكلة تقنية؟ بالطبع لا. فلا اللغة قاصرة، ولا أهل العلم والاختصاص تنقصهم لا الكفاءة ولا الإرادة. في الواقع، إن النجاح في هذه المهمات -على صعوبتها- لن يكون مستحيلًا لو توافرت الإرادة السياسية، وهنا بيت القصيد.

إن الناظر الى الجهود التي تبذل وما يقابلها من نتائج لا تبدو متوازنة معها

1. الجدير ذكره أن مكتب تنسيق التعريب وهو جهاز تابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عقد ثلاثة عشر مؤتمرًا صادقت على عشرات المعاجم الموحّدة في مختلف العلوم والفنون، وهي تضم آلاف المصطلحات باللغات الثلاث العربية، الفرنسية، والانجليزية، مع التعريفات اللازمة للمقابل العربي.
2. علمًا أن مكتب تنسيق التعريب أنشأ وحدة الشبكة المعلوماتية وبنك المصطلحات منذ عام 2015.

من حيث الأهمية، يدرك أن الترجمة ليست مسألة أو قضية قائمة بذاتها، ولا يمكن فصلها عن الواقع السياسي في العالم العربي. فهي لا تقتصر على جهود فردية يقوم بها أفراد أو مؤسسات، ولا تقتصر حتى على جهود أي دولة عربية بشكل إفرادي، بالرغم من التقدير الكبير لما تمّ إنجازه. الترجمة هي خطة مجتمع وخطة قومية وحضارية. من هنا تحتاج البلدان العربية لعملية ترجمة مؤسسية وممنهجة ترتبط باستراتيجية ثقافية قومية. لذا فالمسألة تحتاج الى قرار سياسي على مستوى العالم العربي، يشكّل مدخلًا فعليًا لاتخاذ خطوات عملية لتنفيذ استراتيجية شاملة لتعريب العلوم.

من هنا ضرورة إنشاء مؤسسة عربية لترجمة الكتابة العلمية باستطاعتها ترجمة الكتب والمراجع والمصادر والمجلات والدوريات إلى اللغة العربية، وتكون تابعة للجامعة العربية –لكي تكتسب صفة الإلزام– وترصد لها ميزانية ضخمة من الدول العربية كافة. تعمل هذه المؤسسة بالتعاون مع الجامعات العربية ومراكز البحث ذات الاختصاص، وبشكل أساسي مع المجامع اللغوية والعلمية العربية. مستفيدة من التطور التقني الهائل لسدّ الفجوة القائمة واللحاق بركاب التقدم العلمي.

إنه مشروع يتطلب سنوات طويلة من الجهود الممنهجة، ولكنه السبيل الوحيد للتخلص من الازدواجية التي يعيشها أبناء العالم العربي حيث يفكرون بلغة ويتعلمون ويعلّمون بلغة أخرى. بات من الضروري الاهتمام بترجمة ما يتوصل إليها العالم المتقدم من العلوم كافة إلى اللغة العربية حتى يتمكن الإنسان والعالم العربي من الانخراط بمجتمع المعرفة. ولمَ لا الإسهام في الإنتاج العلمي.

خلاصة:

بالرغم من ضبابية الصورة، أعتقد أن الأمور ليست على درجة من السوء الذي يتصوره البعض، ذاك أن الخبرات التي تكتسبها الجامعات والمجامع اللغوية والعلمية ومراكز الأبحاث والمؤسسات التي تُعنى بالترجمة حاليًا والتجارب التي

تقوم بها والصعوبات التي تواجهها وتسعى لتذليلها لا بد وأن تقودها في النهاية الى تنسيق الجهود فيما بينها وبلورة مشروع متكامل بالرغم من المعوقات السياسية والاقتصادية والفكرية التي لا مجال للخوض فيها الآن. لكن هذه الجهود ستبقى مبعثرة إن لم تنضوِ تحت مظلة تُكسبها صفة الإلزام، مثل الجامعة العربية في غياب أي إطار وحدوي جامع. في الماضي لعبت الترجمة دورًا بارزًا في تألّق الثقافة العربية. واليوم في ظل العولمة تواجه هذه الثقافة بالذات تحدّيات متعدّدة خارجية وداخلية، والانكفاء أو الانعزال يعني الموت الأكيد. لا بد إذن من أن تُسهم الترجمة -التي هي نافذة مهمة على العلم ووسيلة أساسية لنقل المعارف وأداة للتواصل-، في تشكيل الفكر العربي الحديث، إذا ما حصلت في إطار عملية نهضة علمية-معرفية كبرى، نأمل تحققها في وقت قريب.

مقالات

اللغة العربية والهوية والمواطنة

أ. د. زهيدة درويش جبور [*1]

مقدمة

من المعروف أن اللغة هي وعاء الهوية وصانعتها في آن فهي تحتضن النتاج الفكري والإبداعي لشعب ما وتشكل أحد المكونات الرئيسة للانتماء الثقافي، وهي في الوقت نفسه أداة للتواصل وتبادل المعلومات بين الناس مما يمنحها دوراً اجتماعيا مهماً، بل أن عالم الاجتماع بورديو قد عرّف اللغة بأنها «حدث اجتماعي»، فيما رأى عالم اللسانيات رولان بارت أن «اللغة هي وسيلة الحركة الإنسانية كلها في المجال العلمي والسياسي والثقافي والاجتماعي والتربوي، وهي وعاء ذلك كله ووسيلة ذلك كله». واللغة تتقدم أو تتراجع وفقاً لتقدم الناطقين بها أو على العكس لتراجعهم على المستوى الحضاري العام. لقد استطاعت اللغة العربية أن تكون لغة العلوم والفقه والفلسفة في العصر الذهبي للحضارة العربية-الإسلامية وتمكّنت من استيعاب إنجازات وثقافات الشعوب غير العربية، زمن التلاقح الحضاري المثري. وهي اليوم ركناً أساسياً في التنوع اللغوي والثقافي في العالم إذ يبلغ عدد الناطقين بها حوالي 467 مليون شخص في 60 بلداً، كما أن هناك تزايداً في الطلب على تعلمها من قبل الناطقين بغيرها وذلك لأسباب عدة سياسية واجتماعية، واقتصادية، وثقافية، وتواصلية، وذاتية. فهي لغة حية وقابلة للتطور ومواكبة العصر.

1. * أستاذة الأدب الفرنسي والفرنكوفوني باحثة ومترجمة.

غير أن النظرة إلى واقع هذه اللغة في التعليم كما في المجتمع تكشف عن بعض المشكلات والعوائق التي تحول دون تحقيق النهوض المنشود.

أولاً: اللغة العربية وتحديات الواقع

أظهر تقرير البنك الدولي أن 59% من الأطفال يعانون من فقر التعلم في مختلف بلدان منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا (2019) وأنهم لا يمتلكون القدرة على القراءة بفهم في سن العاشرة. وهذا يتناقض طبعاً مع ما أكدت عليه اتفاقية حقوق الطفل التي بدأ العمل بها في 2-9-1990 والتي تنصّ على أن «اللغة الأمّ حق من حقوق الطفل الذي ينبغي أن يكون تعليمه موجهاً نحو تنمية احترام هويته الثقافية ولغته وقيمه الخاصة»، وقد دلّت الدراسات أنه كلما كان الطفل متمكناً من لغته الأمّ كلما كان تعلمه أسهل للغات الأخرى والعلوم. فاللغة هي أساس التعليم والتعلّم كما أن التعليم هو الذي يعطي اللغة الأمّ فاعليتها في المجتمع.

إن رصد واقع اللغة العربية في المدارس والجامعات وفي البيئة التعلُّمية عموماً، يُبرز المستوى المتدني لدى المتعلمين في امتلاك ناصية اللغة سواء كتابةً أو في التعبير الشفهي، كما أنه يكشف في أغلب الأحيان عن تمثلات سلبية للغة العربية لدى المتعلمين وفي البيئات المدرسية ولدى بعض الشرائح والأوساط الاجتماعية النخبوية، خصوصاً، حيث تتم المفاضلة بين اللغات على حساب اللغة الأمّ، فتصبح اللغات الأجنبية عنصر تمايز اجتماعي دون أن يكون ذلك بالضرورة مؤشراً لامتلاك هذه اللغات، بل على العكس، فإن القصور في تعلّم العربية ينسحب غالباً على تعلّم اللغات الأجنبية. يضاف إلى ذلك أن ظاهرة تراجع مستوى امتلاك اللغات هي ظاهرة عالمية تعود أسبابها إلى عوامل مختلفة ليس أقلها ضعف تثقيل المواد اللغوية في النظم التعليمية مقارنة بتثقيل المواد العلمية والرياضيات، وتراجع تعليم الآداب لصالح العلوم التطبيقية والتكنولوجيا.

من مظاهر التمثلات السلبية للغة العربية اعتبارها لغةً معقدةً وصعبة. لكن هذه الصعوبة ليست خاصةً باللغة العربية، بل تعود إلى أساليب تعليمها التي لا

تزال تقليدية ولا تأخذ بعين الاعتبار حاجات المتعلم وتطلعاته، ولا الأبعاد الانفعالية والعاطفية والتواصلية والجمالية للّغة، بل تركّز منذ المراحل الأولى على تعليم النحو، علماً أن النحو هو مسألة رياضية تتطلب بلوغ مرحلة من النمو العقلي للمتعلم.

كما أن المناهج التعليمية تسهم إلى حدٍ كبير في تراجع مستوى اللغة العربية للمتعلم نظراً لانعدام التكافؤ بين الحصص المخصّصة لتعليمها وتعلمها، وتلك المخصّصة للعلوم التطبيقية والرياضيات، إضافةً إلى أن مضامين الكتب المدرسية في اللغة العربية لا تزال بعيدةً عن اهتمامات المتعلم وانشغالاته ولا تسهم في تعزيز قدرته على تذوق جمالية هذه اللغة من خلال النصوص الأدبية التي تتلاءم مع المرحلة العمرية للمتعلم.

إضافةً إلى ذلك يظهر الواقع التعليمي للغة العربية نقصاً واضحاً في كفايات المعلمين التعليمية واللغوية. ومرّد ذلك إلى عدة أسباب منها أن اختيار التخصّص في اللغة العربية من قبل طلاب الجامعات لا يتم غالباً بدافع الرغبة والشغف، بل للقصور عن الانخراط في تخصصات أخرى، مما يعني أن المسجلين في أقسام اللغة العربية وآدابها ليسوا في أغلب الأحيان من المتميزين.

كما أن المناهج الجامعية المعتمدة في أقسام اللغة العربية لا تزال جامدة وقديمة في أغلب الأحيان، بل قد تكون أحياناً في قطيعة مع العصر، علاوة على أنها لا تعطي الأهمية لطرائق التعليم ولعلم النفس التربوي مما يسهم في تمكين المعلم من فهم وتفهم حاجات المتعلم، وبالتالي، من توسل الوسائل الناجعة لإكسابه المهارات المطلوبة.

ومن العوائق التي تحول دون تمكين المتعلم في اللغة العربية عدم توفر بيئة تعلمية ملائمة تسهم في إخراج اللغة العربية (الفصحى) من قاعة التدريس إلى الفضاء العام، وفي الربط بين هذه اللغة والممارسة في الحياة اليومية. فقد أظهرت الدراسات الأثر الكبير للبيئة التعلمية في عملية التعلّم عموماً (مارتينيه بيار 2018). وتلعب الأسرة دوراً كبيراً في هذا المجال فنادراً ما يقرأ الأهل لأطفالهم أو يهتمون

بتعويدهم على الاستماع للّغة الفصحى أو النطق بها. يضاف إلى ذلك نقص واضح في الكتب الموجهة للأطفال والأولاد والتي تتمتع بقدرة على إثارة فضول الطفل وجذب اهتمامه سواء من حيث الموضوعات والمضامين أم من حيث نوعية الإخراج والصور، على الرغم من بعض المبادرات الجيدة المنفّذة في بعض البلدان ومن قبل بعض المؤسسات ودور النشر.

ولا يجب إغفال التأثير السلبي لوسائل التواصل الإلكترونية على اللغة العربية (الرسائل النصية، المدونات على فايسبوك، اليوتيوب...) حيث من الملاحظ ولادة لغة جديدة هجينة «العربيزي» (سراج، 2013) أو كتابة المفردات بأحرف لاتينية بل أخطر من ذلك استبدال الحروف بالأعداد أي ظهور أبجدية جديدة متعارف عليها في أوساط الشباب، خصوصاً.

أما في مرحلة التعليم العالي فغالبية الجامعات، ما خلا بعض الاستثناءات (كما في سوريا) تعتمد اللغة الإنكليزية أو الفرنسية كلغة تعليم في فروع الطب والاختصاصات العلمية، عموماً. ويلاحظ فقر المكتبة العلمية العربية بالكتاب العلمي الجامعي، كما النقص الكبير في عدد الأبحاث العلمية المنشورة بلغة الضاد. في هذا المجال تشكل قضية ابتكار المصطلحات والتوافق على توحيدها أحد التحديات الأساسية لتعليم العلوم بالعربية ولتشجيع البحوث العلمية ونشرها بلغة الضاد. لقد أوكل إلى مجامع اللغة العربية الاهتمام بالمصطلحات في مختلف الجوانب العلمية والاجتماعية والاقتصادية والإنسانية، كما أوكل إليها إضافة ألفاظ جديدة إلى اللغة العربية، وتعريب الكلمات الأجنبية. وقد حاولت هذه المجامع تنفيذ هذه المهمات، لكن صعوبات جمة اعترضتها، ليس أقلها النقص في التمويل وتعدد مراكز القرار وعدم التنسيق بينها.

وفي عصر توفر المعلومات على الإنترنت يلاحظ ضعف المحتوى الرقمي باللغة العربية إذ لا تتجاوز نسبته 3% بينما تبلغ نسبة مستخدمي الإنترنت من العرب 14.2% أي ما يعادل 41 مليون شخص من أصل 300 مليون ينطقون باللغة

العربية. بالطبع هذه نسبة ضئيلة إذا ما قورنت بنسبة المحتوى الرقمي باللغات الأخرى، اليابانية 4.9% على 121 مليون ناطق بهذه اللغة، والفرنسية 5.6% والألمانية 7.7% على 121 مليون ناهيك عن الإنكليزية 56.4. إننا كعرب مقصرون تجاه لغتنا خاصةً وأن الثورة التكنولوجية الحديثة تتيح لها، لو عرفنا الاستفادة منها فرصةً كبيرة للتطور والانتشار ولكي تفرض نفسها كلغة معرفة.

ثانياً: في مسألة الهوية والمواطنة وعلاقتها باللغة

في ظل العولمة الأحادية تشهد المجتمعات البشرية عامة يقظة للنزعات والمطالبات الهوياتية؛ والمجتمعات العربية كغيرها من المجتمعات هي مجتمعات مركّبة (عبد الرزاق الدواي، 2013) تضم مجموعات لها خصوصيات ثقافية ولغوية واجتماعية ينبغي احترامها والمحافظة مما يتطلب تجديداً في النظرة إلى اللغة العربية ودورها كلغة حاضنة للتنوع الثقافي واللغوي فينعكس ذلك إيجاباً على التماسك الاجتماعي ويحول دون تنامي النزعات الهوياتية التي تهدّد بتشظي هذه المجتمعات وتشكل عامل زعزعة لاستقرارها، ويسهم في تعزيز الحوار بين الثقافات.

لقد أثبتت اللغة العربية خلال العصور الذهبية للحضارة العربية-الإسلامية، قدرتها على استيعاب وتجاوز الاختلافات العرقية والدينية لبناء ثقافة سمتها التنوع ضمن الوحدة، وهي تستطيع اليوم القيام بهذه المهمة من خلال الانفتاح على الروافد العديدة داخل المجتمعات العربية كما خارجها. مما يسهم في بلورة مفهوم معاصر للهوية الثقافية بحيث يتم الانتقال من الهوية الأحادية الثابتة إلى الهوية المركّبة المتحوّلة. «الهوية مسألة مركبة وديناميةوالإنسان يمكن أن ينتمي إلى العديد من الدوائر الهوياتية، على سبيل المثال، شخص من المغرب يمكن أن تكون دوائر انتمائه هي أنه: مغربي، افريقي، عربي، أو أمازيغي، أو زنجي عرقاً، وهو مسلم أو يهودي ديناً، والعديد من الدوائر الأخرى، وربما تبرز في مرحلة ما دائرة أكثر من الدوائر الأخرى» (أمارة). فلا يمكن اختزال مكونات الهوية في عنصر واحد: الإسلام لا يمكنه أن يختزل العروبة ولا العروبة يمكنها أن تلغي الخصوصية الوطنية، بل أن هذه الخصوصية نفسها تحتضن خصوصيات عدة طائفية ولغوية وعرقية.

بناءً على ما تقدّم، وإذا سلّمنا بأن المجتمعات العربية، شأنها كسائر المجتمعات في الألفية الثالثة، مجتمعات متنوعة ثقافياً، لا بدّ من تبني مفهوم جديد للمواطنة أسهمت في بلورته الفلسفة الاجتماعية المعاصرة آخذة بالاعتبار المستجدات الاجتماعية والثقافية على أرض الواقع. فقد طرح الفيلسوف الكندي شارل تايلور مفهوم «المواطنة المتعددة ثقافياً» (تايلور 1994)، أما الفيلسوف الألماني هابرماس فقد أكدّ على ضرورة إيجاد بنى مؤسسية حاضنة للتنوع الثقافي داخل الهوية القومية الجامعة مما يقتضي الاعتراف بنوع جديد من المواطنة لا يتعارض مع الخصوصيات الثقافية من دون ان يعني ذلك التعارض مع سيادة الدولة ووحدتها (هابرماس، 1998). كذلك لا بدّ من تحديد ملامح المواطن العربي التي نريد للغة العربية أن تسهم في تكوينه، مما يستوجب إعادة النظر في المناهج التعليمية والكتب المدرسية واستراتيجيات التعليم بحيث تسهم في بناء مواطن يتمتع بالقدرة على الحوار وعلى التعبير عن نفسه باللغة العربية وعلى الانفتاح على الآخر، كما يتمتع بالحس النقدي والقدرة على الابتكار ويتحلى بمجموعة من القيم الأخلاقية في مقدمتها احترام التنوع والحق بالاختلاف ونبذ العنف، واحترام البيئة.

خاتمة

إن اللغة العربية بوصفها لغة القرآن الكريم تشكّل صلة وصل بين الجماعات العرقية المختلفة المؤمنة بالإسلام، وهي اللغة التي تمارس فيها الشعائر الدينية لدى العدد الأكبر من الكنائس في البلدان العربية، كما أنها تختزن ذلك البعد القيمي الذي يحتاجه الإنسان المعاصر المهدد اليوم بطغيان الآلة وسلطان المال وتفوق القوة، لكي يكوّن رؤيا جديدة تعيد لعالمنا الانسجام وتخرجه من دوامة الصراعات والعنف التي يترنح فيها. إن تعزيز الانتماء الى اللغة العربية ينبغي أن يقترن في الوقت نفسه باستلهام المضامين القيمية والثقافية التي تختزنها والتي تحثّ على الانفتاح على الآخر المختلف وتؤسس لمجتمعات متضامنة ومتماسكة.

المراجع العربية

- حليم بركات، **المجتمع العربي في القرن العشرين: بحث في تغيير الأحوال والعلاقات**، مركز دراسات الوحدة العربية، 2006.
- رشيد بلحبيب، **الهويات اللغوية في المغرب من التعايش إلى التصادم**، ضمن كتاب جماعي: اللغة والهوية في الوطن العربي، مجموعة من المؤلفين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013.
- عبد الرزاق الدواي، **في إشكالية اللغة والهوية والتنوع الثقافي**، م.ن. 2013.
- لطيفة النجار، **اللغة العربية بين أزمة الهوية وإشكالية الاختيار**، م.ن. 2013.
- محمد جبرون، **جدل الهوية ولغة التعليم في المغرب الأقصى**، م.ن.2013.
- محمد أمارة، **اللغة العربية ودورها في تشكيل الهوية الجمعية**، مجلة الدراسات الفلسطينية، صيف 2022.
- محمود فهمي حجازي، **المواصفات المعيارية لتعليم اللغة الوطنية**، ضمن كتاب جماعي «**لننهض بلغتنا**»، مؤسسة الفكر العربي، 2012.
- نادر سراج، **الشباب ولغة العصر**، الدار العربية للعلوم، ناشرون، 2013.

المراجع الأجنبية

- André Martinet, *Bilinguisme et diglossie*, Revue La Linguistique XVIII, I, 1982.
- *Cadre Européen commun pour l'Enseignement des langues*, 2000.
- Charles Taylor, *Multiculturalisme : Différence et Démocratie*, Flammarion, 1994.
- Louis-Jean Calvet, *Les Langues, quel avenir ?* 2017 ترجمة د. جان **أي مستقبل للغات؟** ماجد جبور، مؤسسة الفكر العربي، 2018
- Yurgen Habermas, *L'intégration Républicaine, essais de théorie politique*, Fayard, 1998.

مقالات

بِناءُ نظريّة الحجاج: منظور تداوليّ- جدليّ

فرانس هــ. فان إميرين*[1] تون فان هافتن**[2]

نقله إلى العربيّة: محمد حمدان الرقب

الملخّص

في مقالة (بناءُ نظريّة الحِجاج)، يستعرض فان إميرين[3] وفان هافتن[4] الإسهامات التي قدّمتها أربعة مناهج بارزة في مجال نظريّة الحِجاج، وهي: الجدليّة الصوريّة، والبلاغة واللسانيّات التداوليّة، والمنطق غير الصّوريّ، والتداوليّة-الجدليّة؛ إذ يبيّنان علاقة هذه المناهج بالمكوّنات الخمسة لبرنامج بحثيّ متكامل في هذا المجال. وعلى الرغم من أنّ معظم هذه المناهج لا تسهم في جميع المكوّنات، فإنّها تعنى ببعضها بوجه خاصّ، مع العناية بالعلاقة بين المعقوليّة الجدليّة والفعاليّة البلاغيّة، التي تُعدّ القضيّة المحوريّة في نظريّة الحِجاج. ويبيّن الباحثان أنّ المناهج التي تعنى بالمعقوليّة الجدليّة تشمل، إلى جانب التداوليّة-الجدليّة، الجدليّة الصوريّة والمنطق غير الصّوريّ، في حين تشمل المناهج التي تعنى بالفعاليّة البلاغيّة، إضافة إلى التّداوليّة-الجدليّة، البلاغة

1. * جامعة أمستردام وجامعة ليدن، أمستردام، هولندا.

2. ** جامعة ليدن، ليدن، هولندا.

3. فان إيمِرن (van Eemeren): هو باحث هولنديّ في مجال اللسانيات وعلم الحجاج، معروف بإسهاماته في نظريّة الحجاج المنطقيّ. طوّر العديد من المفاهيم الأساسيّة المتعلّقة بفحص بنية الخطاب الحجاجيّ ودراسة المنطق غير الصّوريّ، وهو من أبرز المسهمين في تطوير نظريّة الحجاج الجدليّ (المترجم).

4. فان هافتن (van Haaften): هو باحث هولنديّ متخصّص في الحجاج والنقد الأدبيّ. له إسهامات في دراسة إستراتيجيّات الحجاج في الخطاب السّياسيّ والأدبيّ، وعني بتطبيقات المنهج الحجاجيّ في سياقات متنوّعة (المترجم).

واللّسانيّات التّداوليّة وأعمال المنطقيّ غير الصّوريّ تيندال[1]. في ما يتعلّق بالعلاقة بين المعقوليّة الجدليّة والفعاليّة البلاغيّة، فإنّ كلًّا من البلاغة واللّسانيّات التّداوليّة يبدي اهتمامًا بهذه العلاقة، غير أنّ العناية الجوهريّة بها تبرز بوضوح في كلٍّ من التّداوليّة-الجدليّة وأعمال تيندال. ويكمن الاختلاف الأساسي بين هذين المنهجين في المرجعيّة التي يُحتكم إليها عند تقرير معقوليّة الحِجاج؛ إذ تعتمد التّداوليّة-الجدليّة على مدوّنة سلوك تنظّم الحوار الحِجاجيّ المعقول، فتضع قواعد مؤسّسيّة تضبط مسار الحجاج وتضمن توافقه مع معايير المعقوليّة. في المقابل، يسند تيندال هذا الدّور إلى مفهوم الجمهور العالميّ، وفق تفسيره الخاصّ لما طرحه بيرلمان.

الكلمات المفتاحية: نظريّة الحجاج، المعقوليّة الجدليّة، الجدل الصوريّ، المنطق غير الصّوريّ، التّداوليّة-الجدليّة، برنامج البحث، الفعالية البلاغيّة، البلاغة واللّسانيّات التّداوليّة.

1- نظرية الحِجاج تخصّصًا علميًّا

يُعَدّ الحِجاجُ عنصرًا محوريًا في شتّى أنماط الممارسات الإنسانية[2]؛ إذ يتجلّى حضوره في المجتمع بعامة وفي الحياة الشخصية والمهنية للأفراد بخاصّة، فالتدفّق المستمرّ للآراء والحاجة الماسّة إلى حلّ الخلافات، التي غالبًا ما تكتنفها التعقيدات والغموض، يقتضيان خطابًا حجاجيًا[3] يتّسم بالمعقوليّة والفعاليّة، سواء أكان ذلك في إطار مواقف تقييمية، توجيهيّة، أم وصفيّة[4]. وبالنّظر إلى طبيعة الحِجاج المعقّدة، وما يكتنفها من تحدّيات تتعلّق بضمان جودة النّتائج المترتّبة عنها، برزت الحاجة

1. كريستوفر تيندال Christopher Tindale هو أحد أبرز الباحثين في مجال نظريّة الحجاج، متخصّص في المنطق غير الصّوريّ ومفاهيم الفعاليّة البلاغيّة والمعقوليّة الجدليّة. يعنى في أعماله بالعلاقة بين الحجاج البلاغيّ والجمهور، مستندًا إلى مفهوم الجمهور العالميّ الذي يعيد تشكيله انطلاقًا من الجمهور المحدّد. يُعرف بتطويره مقاربة تجمع بين البلاغة والجدليّة، مع العناية بتحقيق الفعاليّة من غير الإخلال بالمعقوليّة؛ ما يجعل إسهاماته ذات صلة مباشرة بتحليل العلاقة بين المعقوليّة والفعاليّة في الحجاج (المترجم).

2. نشكر المراجِعَيْنِ المجهولَيْنِ في مجلة Argumentation على تعليقاتهما المفيدة (الباحثان).

3. الغاية العامّة من الحِجاج، في منظورنا، هي حسمُ الخلاف في الرأي والفصلُ فيه بوجهٍ معقول. أمّا أولئك الذين يرون للحِجاج مقاصدَ أخرى، فجديرٌ بهم أن يتبيّنوا إنْ كان السعيُ وراء تلك المقاصد أمرًا ذاتيًا في طبيعة الحِجاج، وإلّا فإنّ الاشتغالَ بها لا يدخل في صميم عمل منظّري الحِجاج. فإذا حُسمت الفوارقُ بغير الحِجاج، كأن يكون ذلك بالاستمالة العاطفيّة أو بسطوة التأثير الوجدانيّ، فإنّ النظر في آليّة ذلك لا يكون من صميم العناية العلميّة بنظريّة الحِجاج، بل يدخل في شؤونٍ أخرى تقتضيها طبيعة المقام. (الباحثان).

4. تتشارك هذه الأنواع المختلفة من المواقف الحجاجية في خاصية أنها - على عكس، على سبيل المثال، موضع الشرح في التفسير - يُفترض أن تواجه شكًا أو رفضًا؛ وإلا لما كان هناك خلاف في الرأي. (الباحثان)

إلى تخصّص أكاديميّ يُعنى بمنهجية إنتاج الحِجاج وتحليله وتقويمه. وقد أُطلق على هذا التخصّص اسم «نظريّة الحِجاج»، وهو لا يقتصر على تقديم فهم عميق حول العمليّة الحجاجيّة ومخرجاتها، بل يسهم أيضًا في الارتقاء بالممارسات الحجاجيّة[1]، جامعًا بين البُعد الفكريّ والتّطبيق العمليّ.

نظرًا إلى أنّ نظرية الحجاج ترتبط ارتباطًا وثيقًا بظاهرة تجريبيّة، فإنّ من الضروريّ أن تُوضح لنا كيف تجري العملية الحجاجية في الخطاب الحجاجيّ، سواء أكان خطابًا عامًا أم ممارسةً حجاجية خاصة. ويقتضي ذلك أن تتضمّن النّظريّة بُعدًا وصفيًا يُبرز طبيعة هذه العمليات. ولمّا كانت النظرية تهتم بجودة الحجاج، فإنّ عليها أيضًا أن توضح الكيفيّة التي يمكن بها تحقيق خطابٍ حجاجي يلتزم بالمعايير المنهجيّة. لتحقيق هذا الهدف، لا بدّ أن يكون لنظرية الحجاج بُعدٌ معياريٌّ[2]. إضافةً إلى ذلك، ولأنّها تسعى إلى تمكين التدخلات البنّاءة استنادًا إلى نتائج التحليل الوصفي والمعياري، ينبغي لنظريّة الحجاج أن تطوّر أدواتٍ عمليةً تُعزّز إنتاج الحجاج وتحليله وتقييمه في سياقاتٍ حجاجيّة متنوعة. وبذلك، فإنّ البُعد العمليّ يعدّ عنصرًا أساسيًا في بنية نظرية الحجاج.

تُعنى نظرية الحجاج بدراسة كيفية توظيف الحجج (أي الأسباب) لإقناع الآخرين عبر نقاش عقلانيّ حول مدى قبول موقفٍ معيّن[3]، سواء أكان هذا الموقف تقويميًا أم توجيهيًا أم وصفيًا، في سياق الخلاف[4]. المشكلة المحورية في دراسة الحِجاج، إذن، هي كيفيّة الإبقاء على المعقوليّة في الخطاب الحِجاجيّ بما يُفضي إلى الإقناع الفعّال. وإذا كانت نظريّة الحجاج تهدف إلى أن تكون تخصّصًا يجمع بين الأبعاد الوصفيّة والمعياريّة والعمليّة التي أُشير إليها سابقًا، فإنّ هذا الهدف يستدعي القيام بأبحاثٍ متنوّعة تثري هذا التّوجّه الفريد. ومن منظورنا، فإنّ برنامجًا بحثيًا

1. يتحدّد نطاق نظريّة الحِجاج، أي ما يندرج تحت هذا التخصص، تبعًا للكيفية التي يُفهم بها مفهوم الحِجاج ويُعرَّف على ضوئها. انظر: فان إيميرين، وغارسين، وكراب وآخرون (2014: 1–7) (الباحثان).
2. حتّى لو عُدَّت نظريّةُ الحِجاج تخصّصًا وصفيًا محضًا، فإنّ ذلك لا ينفي وجود عنايةٍ وصفيّةٍ بالمعايير التي يُعمل بها فعليًا للحكم على مدى كفاية الدّفاع عن موقفٍ ما (الباحثان).
3. عندما يكون الموقفُ الوصفيُّ محلَّ النّقاش، قد يتلخّصُ قبولُ هذا الموقفِ في اشتراطِ الحقيقةِ تفاديًا للنّسبيّة (الباحثان).
4. استنادًا إلى هذا المفهومِ العامِّ المقبولِ للحِجاج، فإنّ نظريّةَ الحِجاجِ ليست نظريّةً عامّةً للاستدلال، ولا هي نظريّةٌ للإثبات (الباحثان).

متكاملًا لدراسة الحجاج ينبغي أن يشتمل على المكوّنات الخمسة الآتية (van Eemeren 1987/2015):

في إطار نظرية الحجاج، وللردّ بشكل مناسب على الإشكاليّات المتعلّقة بجودة الحجاج التي تثيرها قضايا التّنظير، يقتضي الأمر تأمّلًا فلسفيًّا معمّقًا في الأسس المعياريّة التي يرتكز عليها هذا المجال. وقد يُفضي هذا التأمّل، على سبيل المثال، إلى تقديم مبرّرات فلسفيّة لاعتماد تصوّر «أنثروبولوجيّ» أو «هندسيّ» أو «نقديّ» للعقلانيّة عند دراسة الحجاج (Toulmin 1976). إضافةً إلى ذلك، ينبغي أن يشمل هذا التّأمّل الفلسفيّ تحليلًا دقيقًا للمبادئ الميتا-نظريّة التي تشكّل الرّكيزة الأساسيّة لهذا التّنظير.

1- ينبغي أن يعقب التأمّل المنهجيّ في مفهوم المثالية المعياريّة في التّعامل البنّاء مع الواقع الحجاجيّ وضع نموذج نظري شامل للخطاب الحجاجي. ويتعين على هذا النموذج أن يشتمل على الأنواع المختلفة من التحركات الحجاجيّة التي تُسهم في حلّ الخلافات بطريقة عقلانيّة، مع توضيح أدوارها الوظيفيّة ضمن مسار عملية الحلّ.

2- ينبغي أن يُبرز البحث التجريبيّ الأنواع المختلفة من الأفعال التواصلية (الإنجازية) والتفاعلية (التأثيرية) التي تُوظَّف فعليًّا في الخطاب الحجاجيّ لدعم التحرّكات الحجاجيّة المرتبطة بحلّ خلاف الرأي[1]، إلى جانب العوامل التي تؤثّر في النّتائج. وقد يكون هذا البحث ذا طبيعة نوعيّة أو كمّيّة، مع ملاحظة أنّ البحث النّوعيّ غالبًا ما يسبق البحث الكمّيّ بوصفه قاعدة عامّة.

3- يستلزم البحثُ التحليليُّ إعادة بناءٍ منهجيّة للخطابات الحِجاجيّة الواقعيّة وفقًا للنّموذجِ النّظريِّ المُتَّخذ مرجعيّةً إرشاديّةً. وتَأخذ هذه العمليّةُ في الاهتمام المتطلّباتِ المؤسّسيّةَ والسّياقيّةَ الأخرى كافّة، التي تؤثّر في مسارِ العمليّةِ الحِجاجيّةِ في الممارسةِ التواصليّةِ المُستهدفةِ.

1. الأفعالُ التواصليةُ والتفاعليةُ ضربٌ من أفعالِ الكلامِ، تُؤدَّى في آنٍ واحدٍ في خضمِّ الخطابِ الشفهيِّ أو المكتوبِ، قاصدةً إلى تحقيقِ مقصدينِ جوهريينِ: أوّلهما تواصليٌّ، يتمثّلُ في إبلاغِ المعنى على وجهٍ يضمنُ وضوحَهُ وفهمَه، وثانيهما تفاعليٌّ، يُفضي إلى استمالةِ المتلقّي وحملهِ على القبولِ والإذعان (الباحثان).

4- بالاعتمادِ على نتائجِ الأبحاثِ الفلسفيّةِ والنّظريّةِ والتّجريبيّةِ والتّحليليّةِ، ينبغي الشّروعُ في تطويرِ صيغٍ وطرقٍ عمليّةٍ لإنتاجِ الخطابِ الحِجاجيِّ الشّفهيِّ والكتابيِّ، وتحليلِه وتقييمِه بطريقةٍ مُلائمةٍ. ويجبُ أن تُصاغَ هذه الصّيغُ والطّرقُ بما ينسجمُ مع متطلّباتِ الممارساتِ الحِجاجيّةِ المختلفةِ.

في إطارٍ شاملٍ لنظريّة الحِجاج، يتّضح أنّ برنامج البحث الذي يضمّ المكوّنات الخمسة المذكورة يشكّل ضرورةً لا غنى عنها لتحقيق الفهم الوصفيّ والمعياريّ والعمليّ اللازم لمواجهة التّحدّي المعقّد المتمثّل في الجمع بين المعقوليّة والسّعي إلى الإقناع الفعّال. ولدى معالجة مزيج المعقوليّة والفعاليّة في الخطاب الحِجاجيّ، يجب أن يتقاطع الفهم المثاليّ مع الفهم الواقعيّ. ولا يمكن أن يتحقّق ذلك إلّا بتكاملٍ مدروسٍ بين البحث الفلسفيّ والنظريّ الذي يتناول الجوانب المثاليّة من جهة، والبحث التّجريبيّ والعمليّ الذي يعنى بالجوانب الواقعيّة من جهةٍ أخرى، فضلًا عن البحث التحليليّ البنائيّ الذي يعمل على الربط المنهجيّ بينهما. وعلى الصّعيد العمليّ، قد يعنى الباحثون المستقلّون بمكوّن واحد أو اثنين من برنامج البحث، إلّا أنّه ينبغي لهم دائمًا أن يحافظوا على إدراكٍ واضحٍ للكيفيّة التي تتكامل بها هذه المكوّنات مع بقيّة الأجزاء. إنّ الحفاظ على هذا التّصوّر المتكامل للكلّ وأجزائه يعدّ، في رأينا، شرطًا أساسيًّا لتطوير نظريّة الحِجاج تطويرًا منهجيًا راسخًا بوصفه تخصّصًا علميًّا.

في التّصريحات المتعلّقة بالأهداف وخطط البحث في نظريّة الحِجاج التي تُطرَحُ في هذا المجال، نجد أنّ هذه التصريحات غالبًا ما تفتقر إلى رؤية شاملة، كما أنَّ هناك غيابًا للرّؤية المعلنة حول العلاقة بين الحفاظ على المعقولية والسّعي نحو الفعاليّة، وهي مسألة نعدّها، من وجهة نظرنا، شرطًا أساسيًّا لتطوير العلم على نحوٍ صحيحٍ. هاتان الملاحظتان اللتان سنتناول ترابطهما، كانتا الدافعَين لكتابة هذه المقالة. في القسم الثاني، سنعرض أولّاً الإسهامات التي جرى تقديمها للمكوّنات المختلفة لبرنامج البحث في بعض المناهج البارزة لنظريّة الحِجاج. في القسم الثالث، نشرح وجهة نظرنا التّداولية-الجدليّة بشأن العلاقة بين الحفاظ على المعقوليّة والسّعي نحو الفعاليّة في الخطاب الحِجاجيّ. في القسم الرابع، نناقش المواقف

المتّخذة من هذه القضيّة المحوريّة من جهة مناهج أخرى ونقارنها بوجهة نظر التّداولية-الجدليّة. وفي القسم الخامس، نخلص إلى بعض الاستنتاجات العامة بشأن الوضع الرّاهن في بناء نظريّة الحِجاج بوصفه علمًا.

2. المناهج الحاليّة في بحث الحِجاج[1]

2.1 المؤسّسون لنظريّة الحِجاج الحديثة

تبلورت الطّموحات المعقّدة المتعلّقة بدراسة الحجاج، كما وردت في القسم السابق، في مجموعاتٍ متعدّدةٍ من المناهج (فان إيميرن، جارسن، كراب 2014). يُعدّ تولمن (1958/2003) وبيرلمان وأولبريخت-تيتيكا (1958/1969) من روّاد نظريّة الحجاج الحديثة، إذ قدّمت إسهاماتهم ‹الكلاسيكية الجديدة› انطلاقة لهذه النظرية. من وجهة نظرنا، يستحق كل من الفلاسفة كراوشي-ويليامز (1957) ونايس (1966) أن يُضافا إلى هذه القائمة المختصرة.[2]

يُقدّم نموذجُ تولمن Toulmin -المستقلّ عن المجال- للشّكل الإجرائيّ للحجاج، الذي يشبه مفهوم (epicheirema)[3] الكلاسيكيّ رؤيةً منهجيّةً شاملة للعناصر المختلفة التي تؤدّي وظيفةً دفاعيّة للموقف، أمّا البلاغة الجديدة لبيرلمان Perelman وأولبريخت-تيتيكا Olbrechts-Tyteca، فتُقدّم نقطة الانطلاق، ومخطّطات الحجاج الترابطيّة، وتقنيات التّفكيك التي تجعل الحِجاج متينًا Sound[4] إذا اختيرتْ بطريقة تعزّز أو تقوّي موافقة الجمهور على الطّرحِ المعروض للنّقاش[5].

1. لمزيدٍ من الإيضاح بشأنِ هذا الوصفِ الموجزِ، يرجى الرجوع إلى فان إيميرين (2018: 169-192). ولمزيدٍ من التفصيلِ، يُنظرُ: فان إيميرين (2014) (الباحثان).
2. سَيُذكَر مؤلّفون مؤثرون آخرون في الأقسام اللّاحقة (الباحثان).
3. يشير مصطلح «Epicheirema» إلى نموذج حجاجيّ كلاسيكيّ استُمدّ من البلاغة اليونانية القديمة، ويُستخدم لطرح حجج متسلسلة ومترابطة. يتكون هذا النموذج من مقدمة رئيسية تُدعّم بحجة إضافية أو دليل، ثم يُستخلص منها استنتاج منطقي. ويُعتبر «Epicheirema» أساسًا تنظيميًا يعزز الإقناع، إذ يجمع بين التفكير المنهجي والتفسير البلاغي. وقد أُدمج هذا النموذج في النظريات الحجاجية الحديثة، مثل نموذج تولمن، لإبراز العلاقة الوظيفية بين عناصر الحجاج المختلفة (المترجم).
4. في نظريّة الحجاج، لا يقتصر مصطلح «المتانة» على معناه في المنطق الصوريّ الذي يشير إلى الحجّة الصّورية الصّحيحة التي تعتمد على مقدّمات صادقة (الباحثان).
5. يُؤكد بيرلمان وأولبريخت-تيتيكا (1969: 19) أنّ الجماهير هي دائمًا «بنية مُنظمة إلى حد ما»، تتكون من «مجموعة الأشخاص الذين يرغب المتحدث في التأثير فيهم بحججه». بالإضافة إلى الجماهير «الخاصة»، يميزون أيضًا ما يُسمى بـ «الجمهور العالمي». ويرى غروس وديارين (2003) أن بناء الجمهور العالمي هو عملية خيالية. ويوافق تيندال (2004: 148) على هذا الرأي، لكنه يُضيف بتأكيد أنّ هذه العملية تتم «على جمهور حقيقي موجود» (الباحثان).

لا تزال المنظورات النّظريّة السّائدة هذه الأيّام في نظريّة الحجاج هي المنظور الجدليّ والمنظور البلاغيّ،[1] اللذان طُوِّرَا ضمن التّقليد الكلاسيكيّ (فان إيميرن 2018: 169–184)[2]. وتدين المناهج الجدليّة الحديثة بشكل خاصّ إلى كراوشي-ويليامز Crawshay-Williams ونِيس Næss إذ قدّم كراوشي-ويليامز (1957) المطلب ثنائيّ الأجزاء الخاصّ بالصّلاحيّة [3] القائمة على حلّ المشكلات، والصّلاحية بين الذّاتية/ التّوافقيّة اللتين يتعيّن الوفاء بهما لحلّ الخلافات في الرّأي على نحوٍ معقول عن طريق الحِجاج على وفق (الأسس الموضوعيّة)[4]. أما نيس (1966) فقد عدَّ الخطاب الحِجاجي تواصلًا شفهيًّا يجب أن يُجرى على وفق بعض القواعد الإجرائية والموادّ الخاصّة بالمناقشة. في المقابل، تظلّ المناهج البلاغيّة الحديثة متأثّرة تأثّرًا قويًّا بالتّقليد البلاغيّ الكلاسيكيّ الذي بدأ في العصور القديمة (فان إيميرن، غارسن، كراب وآخرون 2014: الفصل 2).

1.3 المناهج الجدليّة الصّوريّة

انطلاقًا من المنهج المنطقيّ الصّوريّ في التّفكير[5]، وتأثرًا في بعض الحالات بالمفاهيم الجدلية التي طرحها كراوشي-ويليامز ونِيس، تطوّرت مناهج جدلية صوريّة متعدّدة[6]، تتراوح هذه المناهج من منهج هامبلن 1970) Hamblin) الصّوريّ في الحِجاج ومعالجته للمغالطات، إلى إجراءات النقاش الصّوريّة التي

1. نحن لا نعدّ الخطاب الحِجاجيّ بحدّ ذاته جدليًّا أو بلاغيًّا، بل نعدّ المنظور النّظريّ الذي يجري عن طريقه ملاحظة الخطاب وتصنيفه (انظر: بلير وجونسون 1987: 41؛ كراب 2002: 29). إن استخدام هذه المصطلحات بشكل مترادف على مستوى الموضوع وعلى المستوى الميتا يسبب لبسًا مفاهيميًا (الباحثان).

2. لقد ميز **أرسطو** بالفعل بين هاتين الوجهتين إلى جانب **الوجهة المنطقية** (الباحثان).

3. في نظرية الحِجاج، عندما نتحدث عن «الصلاحية»، فإننا نقصد أساسًا قدرة الحجّة أو الموقف على أن يكون مقبولًا عند الأطراف المتحاورة ومعترفًا به وفقًا لمجموعة من المعايير المقررة. يشمل هذا التحقق من معقولية الحجج وصحّة المسار الذي سلكه النقاش (المترجم)

4. استلهم كراوشاي-ويليامز الاعتراف بهذا المعيار الثنائيّ الأجزاء للتحقّق من الصّحة، إذ تتعلّق الصّلاحيّة المرتبطة بحلّ المشكلات بمعالجة القضيّة النّظريّة التي تتعلق بالتّمييز بين الحجج التي يمكن الاعتماد عليها وتلك التي لا يمكن الاعتماد عليها. أمّا الصّلاحيّة المرتبطة بالأشخاص، فتتمثل في تحديد اللّحظة التي يمكن فيها أن يصبح هذا المعيار حاسمًا في الممارسة العملية. يرتبط مفهوم الصّلاحية المرتبطة بالمشكلة بما هو تقليدي في مفهوم الصّلاحيّة، في حين يرتبط مفهوم الصّلاحية بين الأشخاص بقبول الأفراد لهذا المعيار، ويقتصر مفهوم الصّلاحيّة التّقليديّة على قبول هذا المعيار على نحوٍ فعليّ داخل جماعة معيّنة من الناس (الباحثان).

5. يتعامل المنطق الاستنتاجيّ الصّوريّ مع التضمينات أو الاستدلالات الصورية دون أن يرتبط بالحجاج. وقد قدّم لورنزن ولورنز (1978) للمنطق الصوري صيغة حوارية تركز على حل الخلافات في الرأي. (الباحثان).

6. في الآونة الأخيرة، جرى توثيق العلاقة التّاريخيّة العميقة بين الجدليّة والمنطق على نحوٍ أكثر تفصيلًا بواسطة Dutilh و Novaes و Duncombe (2016)، كما أشار كراب (2006: 186-190) (الباحثان).

قدّمها بارث وكراب Barth and Krabbe (1982) بهدف حلّ الخلافات عبر اختبار ما إذا كانت النّتيجة المتضمّنة في موقف ما تنبثق فعلًا عن المقدّمات التي يستند عليها الحِجاج[1]. وفي الجدليّة الصّوريّة، تتبع النّتيجة من مقدّمات محدّدة «إذا وفقط إذا كان المدافع عن النّتيجة [...] سيتمكّن، بمجرّد أن يقرّ خصمه [...] بهذه المقدّمات، من كسب أيّ مناقشة حول تلك النتيجة من حيث المبدأ». (كراب 2006: 190). تستند الإجراءات الصّوريّة المعتمدة إلى الأنظمة الجدليّة التي طرحتها **مدرسة إيرلانغن** (لورينزن ولورينز، 1978). ومن تاريخ أحدث عهدًا، نجد سعي والتون وكراب (1995) إلى دمج الأنظمة الجدليّة الصّوريّة من نوع هامبلن ونوع لورينزن ضمن قواعد تضبط الالتزامات الحجاجيّة في الحوارات المؤطّرة بالسّياق المؤسَّسيّ[2].

يرتبط إسهام الجدليّين الصّوريّين في دراسة الحِجاج على نحوٍ وثيقٍ بالمكوّن النّظريّ لبرنامج البحث الذي سبق عرضه، غير أنّ صلةً (أقلّ وضوحًا) بالمكوّن الفلسفي (بارث وكراب 1982: 3–36)، وبالاستفادة من التطبيقات العمليّة في مجال التّدخلات الحاسوبيّة المتعلّقة بالذّكاء الاصطناعيّ Artificial Intelligence (هاج 2000)، تتّصل هذه الجهود بالمكوّن العمليّ. ومع ذلك، وبفعل الطّابع الصّوريّ لهذه المناهج الجدلية، تغيب الصّلة المباشرة مع الأبحاث المعنيّة بالممارسات التفاعلية والتّواصليّة الواقعيّة. ولهذا السّبب، لا تقدّم هذه المناهج إسهامًا مباشرًا في المكوّن التّجريبيّ لنظريّة الحِجاج، كما أنّ تمثيلها للمكوّن التّحليليّ محدودٌ جدًّا.

2.3 المناهج البلاغيّة واللّسانيّات التّداوليّة

إنّ المناهج البلاغيّة والتّداوليّة اللّسانيّة في دراسة الحِجاج يغلبُ عليها الطّابع الوصفيّ أكثر من الطّابع المعياريّ.[3]، ويُضاف إلى ذلك أنّ هذه المناهج تتشابه في كونها تُعنى أساسًا بالخصائص التقديميّة لأجزاء محدّدة من الخطاب الحِجاجي

1. أمّا المنهج البايزيّ في الحجاج، وهو يختلف عن المناهج الجدليّة، فإنّه أيضًا منهج صوريّ بحت، ولكن بدلًا من أن يكون استنتاجيًّا، فإنّه يتّسم بالطّبيعة الاحتماليّة. انظر على سبيل المثال: هان وأوكسفورد (2007) (الباحثان).
2. الهدف من هذا النّموذج هو معياريّ، إذ تسعى الأنظمة الجدليّة إلى مساعدة المحلّلين في تبرير الأحكام النّقديّة التي تشير إلى أنّ الحجاج في حالة واقعيّة إمّا مغلوط وإمّا غير مغلوط (والتون وكراب 1995: 5). انظر أيضًا والتون (1999) (الباحثان).
3. حتى **تيندال** (151 :2004)، الذي يميل إلى البلاغة، يعترف بأن **الاعتبارات البلاغية** نادرًا ما تكون ذات صلة عند **تقييم الحُجج** (الباحثان).

الذي يجري في سياقات تاريخيّة أو مؤسّسيّة بعينها. تميل المناهج البلاغيّة إلى أن تكون موجّهة نحو الحالة، وغالبًا ما تستند إلى التّراث البلاغيّ الكلاسيكيّ. في المقابل، تتّجه المناهج التّداوليّة اللّسانيّة نحو دراسة الخصائص النّصّيّة، مع استلهامها في الغالب الأفكار التي أفرزتها دراسات تحليل الخطاب والمحادثة[1].

ومن أظْهَرِ النّماذج الحديثة للمنهج البلاغي تلك الدّراسات التي عُنِيت –غالبًا في الأوساط الأكاديميّة الأميركيّة– بوصف وسائل الإقناع المستخدمة في الخطاب السياسي وسائر مجالات الخطاب كالأبحاث التي قدّمها زاريفسكي (1995، 2014، 2021). تستمدّ هذه التّحليلات مرجعيّتها النّظريّة التي تهدف إلى الإقناع[2]، من الأصول البلاغيّة الكلاسيكيّة. وفي المقابل، نجد الدّراسات التّواصليّة التي تعالج الخطاب الحِجاجيّ في سّياقاته الطّبيعيّة، مثل أبحاث التّبادلات الحِجاجيّة غير الصّوريّة التي أجراها جاكوبس وجاكسون (1982؛ 1989)، والتي تميل إلى المنهج التّداوليّ اللّسانيّ. حاليًا، يولي جاكوبس وغيرهم من الباحثين في اللّسانيّات التّداوليّة اهتمامًا خاصًّا بدراسة تصميم الحِجاج (جاكوبس 2000).

طوّر المنهجُ اللّسانيّ الفرانكفوني المعروف بالحجاجيّة الرّاديكاليّة (أنسكومبر وديكرو 1983) نقطةَ انطلاق خاصّة به ضمن إطار نظريّته، مع احتفاظه بارتباطه بالبلاغة الكلاسيكيّة. كما ظهرت مناهج لسانيّة تداوليّة أخرى من فرنسا، مثل أعمال بلانتان (1996) ودوري (2006) التي تستلهم من نظريّات اللّسانيات التّداوليّة المتنوّعة، وتحليل الخطاب والمحادثة، وتستعين بالرّؤى البلاغيّة التي تنسجم مع منظورها الداخليّ[3] (Emic)، وعلى نحوٍ أكثر حداثة، ظهر منهج أوروبيّ يدمج بين الرّؤى اللّسانيّة والبلاغيّة، ومنهجيات مثل التداولية الجدلية، هو المنهج القائم على الموضوعات الخاصّة بأنماط الحجاج كما قدّمه ريغوتي وغريكو (2019).

1. أمّا عند التّعامل مع النّصوص الحجاجيّة في «تحليل الخطاب النّقديّ (CDA)»، فإن كلًّا من الرّؤى البلاغيّة والتّداوليّة اللغوية توظَّف، ولكن من منظور أخلاقيّ معياريّ، وأحيانًا يجري دمجها مع رؤى من التّداوليّة الجدليّة أو نظريّات حجاجيّة أخرى. انظر، على سبيل المثال، ريزيغل ووداك (2001) (الباحثان).

2. في رأي لبورك Burke (1969/1950)، أحد مؤسّسي البلاغة الجديدة: «أينما وُجد الإقناع، وُجدت البلاغة" (الباحثان).

3. للتّفرقة بين المنظور **(Etic)** و (Emic)، انظر **بايك Pike** (1967). يعبّر **دوري Doury** (2006: 37) عن اهتمام **الـ Emic** في استكشاف «الطّريقة التي يبرّر بها المتاحجّون أو يرفضون نمطًا معينًا من الحُجج» (الباحثان).

بطبيعتها، يغلبُ الطّابع النّوعيّ على المكوّن التّجريبيّ في المناهج البلاغيّة واللسانيات التداوليّة، ويندر فيها الاعتماد على المنهج الكمّيّ[1]. وتقوم الأبحاثُ البلاغيّةُ في جوهرها على من دراسات تحليليّة تتناول حالات معيّنة بالتّفصيل (ليف 2003، زارفسكي 2021) ورغم أنّ دراسات الاتّصال في السّياق الأميركي تُبرز المجالات أو الأنماط الخطابية بوصفها الإطار الشّامل الذي ينشأ فيه الخطاب الحجاجيّ (جودنايت 1982: 16; 2012)، فإنّ الدّراسات التّجريبيّة التي تناولت الخطاب الحجاجيّ الواقعيّ في سياقاتٍ متخصّصة أو أنماط تواصليّة محدّدة[2] ظلّت قليلة حتّى عهد قريب.

وعلى وجه العموم، تعنى المناهج البلاغيّة واللّسانيّات التّداوليّة بدراسة المكوّناتِ النّظريّة والتّجريبيّة المرتبطة بالحجاج، لكنّها لا تولي اهتمامًا كبيرًا بالمكوّناتِ الفلسفيّة أو العمليّة. وتُسهم المناهج البلاغيّة إسهامًا أوفر من اللّسانيّات التّداوليّة في المكوّن التّحليليّ للبرنامج البحثيّ لنظريّة الحجاج، وذلك عبر دراساتٍ تُعنى بالحالاتِ، غير أنّ هذا الإسهام يبقى محصورًا في تطبيق الأدوات البلاغيّة المعروفة. وهو ما جعل دراسات الحالات تهيمن هيمنةً ملحوظةً على ميدان الأبحاث البلاغيّة.

2.4 تنوّع المناهج في المنطق غير الصّوريّ

يشير مصطلح المنطق غير الصّوريّinformal Logic إلى مجموعة متنوّعة من المناهج التي تهدف إلى دراسة الاستدلال كما يظهر في اللغة العاديّة Ordinary Language. وقد ظهرتْ هذه المناهج في أواخر السبعينيّات بجهود الفلاسفة من أمريكا الشّماليّة، الذين استلهموا من التّحدّيات العمليّة التي واجهوها في أثناء تدريس المنطق الحديث لطلّابهم[3]. وتميل هذه المناهج إلى العناية بتحليل العلاقات

1. إلى جانب الأبحاث النفسية المستقلة حول التأثير الإقناعي، كما في (O'Keefe 2002)، تُعدّ الأبحاث التجريبية لهامبل استثناءً ملحوظًا، مثل بحثه مع دالينغر (Hample & Dallinger 1987) (الباحثان).

2. في العقد الأخير، شهدت كل من مجلة «Argumentation and Advocacy» ومجلّة «Journal of Argumentation in Context» تحوّلًا حقيقيًا نحو الأفضل (الباحثان).

3. وبالنّظر إلى أنّ الاستدلال غير الصّوريّ لا يقتصر على الحِجاج، فإنّ المنطق غير الصّوريّ يُعدّ تخصصًا أوسع من حيث المبدأ مقارنةً بنظريّة الحِجاج (الباحثان).

بين المقدّمات والاستنتاجات في الحجج الطبيعيّة، مع إيلاء اهتمام خاصّ بالجانب المعياريّ الموجّه نحو المنطق.

قدّم جونسون وبلير (2006) إسهامًا بارزًا في تأصيل الحجاج عبرَ وضع معايير لتقييم الحجج الجيّدة منطقيًّا[1]، وهي: القَبول Acceptability، والملاءمة Relevance، والكفاية Sufficiency. كما جرت مناقشة هذه المعايير، وإنْ بأسْماء مختلفة قليلًا في أعمال جوفييه (1987)[2].

يرى جونسون (2000: 165–167) في كتابه العقلانيّة الظّاهرةManifest Rationality أنّ الحُجّة تتكوّن من مستويين مترابطين: المستوى الأوّل هو الجوهر الاستدلاليّ الذي يتمحور حول العلاقة بين المقدّمات والاستنتاج والدّعم التي تقدّمه الأولى للأخير، أمّا المستوى الثّاني فهو الجدليّ، الذي يتناول كيفيّة مواجهة المواقف المعارضة والاعتراضات المحتملة. ومن أبرز الإسهامات النّظريّة في المنطق غير الصّوريّ دراساتُ فريمان Freeman حول قبول المقدّمات (2005) والبُنى الكبرى للحِجاج (2011)، إلى جانب أبحاث بينتو Pinto (2006) وهيتشكوك Hitchcock (2006) حول الاستدلالات، كما برزت إسهامات والتون، بالتّعاون مع ريد وماكانيو Reed and Macagno Walton, (2008) عبر استعراض مخطّطات الحِجاج.

يعدّ والتون، من أبرز الباحثين في مجال الحجاج؛ إذ قدّم إسهامات غنيّة تتنوّع بين المكوّن النّظريّ في الدّراسات الحجاجيّة، والمكوّن العمليّ عبر تطبيقاته في الذّكاء الاصطناعيّ. تشمل أعمالُه موضوعاتٍ متعدّدةً، مثل: مخطّطات الحجاج، ونظريّة الحوار، والمغالطات. (1998، 1999، 2007) ومع أنّ منهجه يعدّ في عمومه تداوليًّا، ويميل إلى الاتّجاه الجدليّ الصّوريّ، فإنّ تحديد موقعه النّظريّ بدقّة يظلّ أمرًا معقّدًا. وذلك لاتّباعه منهجًا متعدّد المسارات واستعداده لتبنّي حلول مؤقّتة ad hoc في بعض الأحيان.

1. يَعدّ بلير وجونسون (1987) معايير القَبول والملاءمة والكفاية متطلبات جدلية للحِجاج في إطار نظرية النقد. وتشير الكفاية في هذا السياق إلى الوفاء بالالتزامات الجدليّة للطرف المحاجج (الباحثان).

2. يقترح جوفييه، الذي يرى أنّ المنطق غير الصّوريّ معنيّ بتقييم الحجج، نظريّةً تعدّدية للحجّة، التي يسمّيها جونسون (2000: 84) بالتّوجيهيّة Conductivism (الباحثان).

وجدير بالذّكر أنّ منهجه الجدليّ لا يتّسم دومًا بالتّماسك الكامل، غير أنّ رؤيته الأساسيّة تقوم على فكرة أنّ لكلّ نوع من أنواع الحوار معاييرَه الخاصّةَ للمعقوليّة، وعندما يعتمد المحاجّون على معايير مستمدّة من حوارات أخرى غير التي ينخرطون فيها، فإنّهم بذلك يقعون في خطأ المغالطة.

عُنِيَ هانسن وبينتو (Hansen and Pinto 1995) بوضع دراسة تاريخيّة ومفاهيميّة عن المغالطات. واستجابة للدّعوة التي أطلقها هامبلن (1970)، تناول وودز ووالتون (1989) العديدَ من المغالطات وهو ما واصله والتون لاحقا في أعمال منفردة، أبرزها: Walton 1998)). وفي مقاربة جديدة تمامًا في المنطق غير الصّوريّ، قدّم تيندال منظورًا نظريًا مبتكرًا، مقترحًا توليفًا بلاغيّا بين الرّؤى المنطقيّة والجدليّة والبلاغيّة في تحليل الخطاب الحِجاجيّ (1999: 207؛ 2004: 7)[1]. ويؤكّد تيندال (2004: xii)، أنّ الفهم الأمثل للحجاج بوصفه ممارسة تواصليّة[2] لا يتحقّق إلّا من بتبيّن أبعاده البلاغيّة.

أمّا في المكوّن الفلسفيّ للمنطق غير الصّوريّ، فقد أسهم هانسن (2011) إلى جانب غوفير (1987) في وضع أسس نقديّة تتناول القضايا المنهجيّة والمفاهيمية التي يستند إليها التّفكير النّظريّ في هذا المجال. ومن بين أبرز من تبنّى المنهج الإبستمولوجيّ Epistemological Approach في دراسة الحِجاج نجد بيلرو وسيجيل (1995، 2011 ،2006b ،2006a) ولومر (2005)؛ إذ يؤكّد هؤلاء أنّ معايير تقييم الحجاج ذات طبيعة إبستمولوجيّة، وأنّ التفاعل الحجاجيّ ينبغي أن يفضي إلى ارتقاء البنية المعرفيّة لدى المتحاورين. ويمثّل هذا التّوجّه ركيزة أساسيّة لأنصار التّفكير النّقديّ الذين يرون في مجالهم فرعًا من الإبستمولوجيا التّطبيقيّة.

يُعدّ فينوكيارو (Finocchiaro 2005) أحد البارزين في الإسهام بالمكوّن التّحليليّ في للمنطق غير الصّوريّ، إذ ينحاز إلى منهج جدليّ تجريبيّ. وقد اجتهد في

1. بحسب رأي تيندال (2004: 7)، فإنّ البلاغة «ستؤثّر في كيفيّة فهمنا وتعاملنا مع المنطقي والجدلي في أي حالة معينة». كما يؤكد أيضًا أن «الحِجاج البلاغي» لا يمكنه تجاهل «البُعد الجدلي» للمعقولية (ص. 13) (الباحثان).
2. النموذج الذي يقدمه تيندال (2004: 116) لـ **الحِجاج** هو «نموذج يفي بمتطلبات التعاون [من قبل جمهور من ‹المتجادلين المشتركين›] والبناء المشترك الباختيني (الباحثان).

تطوير منهجيّة لتحليل الأمثلة الواقعيّة للحِجاج الطّبيعيّ من منظورٍ منطقيّ يغلب عليه الطّابع الجدليّ، مستندًا إلى سياقاتها التّاريخيّة ولا سيّما ضمن تاريخ العلم.

وعلى الرّغم من وجود إسهامات في المكوّنين الفلسفيّ والتّحليليّ، فإنّ النّصيب الأوفر من الإسهامات في المنطق غير الصّوريّ يتركّز في المكوّن النّظريّ، ويتجلّى ذلك على نحوٍ خاصّ في المقرّرات الدّراسيّة textbooks التي تعنى بالجانب التّطبيقيّ. ومع ذلك، يظلّ المكوّن التّجريبيّ أقلّ حضورًا؛ إذْ لم يحظَ بإسهامٍ بارزٍ يميّزه.

2.5 التّداوليّة-الجدليّة

تمثّل التداوليّة-الجدليّة مزيجًا بين المنظور الجدليّ والمنهج التّداوليّ، وتُسهم في مختلف مكوّنات هذا التخصّص الخمسة. وقد بدأ تطويرها منذ سبعينيّات القرن الماضي، في مرحلة التّأسيس المفاهيميّ التي شهدت بلورة أصولها الفلسفيّة والنّظريّة[1] (فان إيميرين وجروتندورست 1984). وضعت أربعة مبادئ ميتا-نظريّة أساسيّة لتشييد نظريّة حجاجيّة متماسكة، وهي: الوظيفيّة Functionalization، والتّوجّه الاجتماعيّ Socialization، والتّصديريّة Externalization، والجدليّة Dialectification (فان إيميرين 2018: 19-32)[2].

وقد أسفر بناء البحث وفق هذه المبادئ عن مقاربة تحليليّة للخطاب الحجاجيّ تستند إلى مفهوم النّقاش النّقديّ، الذي يقوم على تبادل منهجيّ للأفعال التواصليّة والتّفاعليّة[3]، ويعدّ هذا التّبادل جوهريًّا في تسوية الخلافات في الرّأي وفق أسس موضوعيّة (فان إيميرين، وغروتندورست 2014).

في مرحلة التحقّق، اختُبرتْ مدى صلاحيّة نموذج النّقاش النقديّ بوصفه

1. في الفلسفة العقلانيّة النّقديّة، تعتمد معقوليّة الخطاب الحجاجيّ على مدى امتثاله لإجراء مناسب للاختبار النّقدي. لهذا السبب، بُذِلَ جهد منسّق في التّداوليّة-الجدليّة لتطوير مثل هذا الإجراء (الباحثان).

2. تتضمن هذه المبادئ الاهتمام بـ: (أ) الوظائف الحجاجية للتحركات التواصليّة، (ب) الجهود الحواريّة المنسّقة بين الأطراف المشاركة، (ج) الالتزامات القابلة للتحديد التي يتعهد بها المشاركون، (د) المعايير النقدية التي يجب مراعاتها لضمان الحفاظ على المعقولية (الباحثان).

3. للحصول على منظور أفعال الكلام في التداولية-الجدلية، يُرجى الرجوع إلى أعمال فان إيميرين وغروتيندورست (1984، 1991، 1992) وفان إيميرين (2015: 275-318). يعتقد جوفييه (1996: xii) اعتقادًا خطأً أنّ فان إيميرين وغروتيندورست يتبنّيان «نموذجًا شفهيًّا»، ولكنّ الأفعال الكلاميّة تُؤدّى أيضًا في السّياق الكتابيّ (الباحثان).

معيارا ضابطًا لتقييم الخطاب الحجاجيّ، وذلك عبر فحص منهجيّ لِما إذا كانت المغالطات التي تُميَّز تقليديًّا تتلاشى عند التّقيّد بالقواعد الخاصّة بالنّقاش النّقديّ، التي تؤلِّفُ مجتمعةً مدوّنة سلوك مقترحة للخطاب الحجاجيّ المعقول (فان إيميرين، وغروتندورست 1992). وقدر برهنت هذه القواعد على نجاعتها الإجرائيّة وذلك باستبعاد الالتزامات التي تنشأ عن المغالطات التّقليديّة، مؤكّدة فعاليّتها بوصفها إجراء نقديًّا[1]؛ للتحقّق من سلامة الحِجاج.

انطلقت مرحلة التّجسيد التّجريبيّ بدراسات نوعيّة سعت إلى تفعيل المفاهيم النّظريّة للتّداوليّة الجدليّة في تحليل الخطاب الحِجاجيّ ضمن سياقه الواقعيّ. في البداية، وأولى هذا البحث النّوعيّ في بداياته بالأساس التجريبيّ للنّظريّة، مستقصيًا دور المؤشّرات النّصّيّة والسّياقيّة في تحديد الحركات الحِجاجيّة (فان إيميرين، هاوتلوسر وسنوك هنكمانز 2007). ثمّ شهد هذا المجال تطوّرًا لاحقا مع انخراط المحاجّين العاديّين في أبحاث تجريبيّة، تناولتْ تصنيف الحركات الحِجاجيّة، ومدى صلاحيّة المعايير التّداوليّة الجدليّة للمعقوليّة لدى المحاجّين في الممارسات الفعليّة. (فان إيميرين، وغارسن وموفيلز2009).

في مرحلة التوظيف instrumentalization، صُمّمت الأدوات التحليليّة لتأطير الخطاب الحجاجيّ وإعادة بنائه وفق مقتضيات النّقاش النّقديّ[2]، كما يتمثّل -وغالبًا بصيغ جزئيّة أو ضمنيّة- في الواقع الحجاجيّ. وتتضمّن هذه الأدوات تصنيفات للمواقف[3] والخلافات في الرّأي، وبنى الحِجاج، ومخطّطاته، وإجراءات كشف المقدّمات غير المعلنة. وتُعتمد هذه الأدوات بفعاليّة عند تحليل الخطابات الحجاجيّة الفعليّة (فان إيميرين، وغروتندورست، وآخرون 1993). كما تُسهم في توسيع آفاق تطبيقها العمليّ، لا سيّما في المجال التّعليميّ وتوظيفها في ممارسات

1. يمكن أيضًا تقديم مبرر آخر للقواعد التداولية الجدلية، إلى جانب صلاحيّتها في حل المشكلات، بوصفها إجراءً اختباريًا، وهو مبرر أخلاقي يعتمد على نظريّة حجاج الفضائل (جاسكون 2017: 722) (الباحثان).

2. يجب أن تؤدّي إعادة البناء إلى تقديم نظرة شاملة غنيّة بالمعلومات حول العمليّة الحجاجيّة. وفي حال وجود شكوك بين تحليلات متعدّدة محتملة، يلجأ في النهاية إلى إستراتيجيّات قصوى لضمان إعادة بناء أكثر بنائيّة (فان إيميرين وغروتيندورست 1992: 49، 81، 105) (الباحثان).

3. على عكس ما يزعم كوك (2007: 240)، يجري في التداوليّة-الجدليّة التّمييز، بالإضافة إلى المواقف الوصفيّة، بين المواقف التّقويميّة والتّوجيهيّة (التّحفيزيّة) أو الافتراضات (فان إيميرين وغروتيندورست 1992: 157؛ فان إيميرين 2018: 4) (الباحثان).

حجاجيّة متنوّعة (فان إيميرين، وسنوك هنكمانز، وفان إيميرين، وغارسن، ولابري 2021).

في مرحلة التّوسّع النّظريّ جرى دمج المنظور البلاغيّ، الذي يُعنى بفعاليّة الخطاب الحجاجيّ من حيث الوظيفة، في المنهج التّداوليّ-الجدليّ المعنيّ بضمان المعقوليّة[1]. وقد تحقّق هذا الدّمج بإدخال مفهوم المناورة الإستراتيجيّة؛ ما أفضى إلى بلورة النّظريّة التّداوليّة-الجدليّة الموسّعة. (فان إيميرين 2010). [2]

شملت الأبحاث المرتبطة بهذا التوسّع تطبيقاتٍ منهجيّةً للنظريّة تسعى إلى تبيّن التّفاعل بين اختيار الموضوعات، والتكيّف مع متطلّبات الجمهور، واستثمار الوسائل التّقديميّة في الأشكال المختلفة للمناورة الإستراتيجية المستخدمة في الواقع الحجاجي، وذلك لتحقيق التوازن بين السّعي إلى الفعاليّة وضمان المعقوليّة.

أمّا في المرحلة الأحدث؛ مرحلة الأنسنة السّياقيّة Contextualization فتُفحص المناورة الإستراتيجية في أنواع النّشاط التواصليّ ضمن المجالات المختلفة للواقع الحجاجيّ، مع مراعاة المتطلّبات المؤسّسيّة المُتباينة على نحوٍ منهجيّ[3]. وتعنى هذه الأبحاث اعتناءً أساسيًّا بالحجاج في المجالات السّياسيّة، والقانونيّة، والطّبّيّة، والأكاديميّة. ومنذ عام 2019، توسّع نطاق البحث ليشمل دراسة الأنماط الحِجاجيّة المُستخدمة في هذه المجالات. (فان إيميرين، وغارسن، وغريكو، وآخرون، 2022).

الشّكل 1 يقدّم نظرة عامّة على الإسهامات التي قدّمتها المقاربات للمكوّنات المختلفة لبرنامج البحث في نظريّة الحِجاج التي ناقشناها[4].

1. نظرًا إلى أنّ الحِجاج، نتيجةً للمعضلة الحجاجيّة، يتّسم دائمًا بالسّعي المشترك نحو المعقوليّة والفعاليّة، فإنّ دمج هذين البعدين يُعدّ أمرًا بالغ الأهميّة. من منظور التّداوليّة-الجدليّة، تُعدُّ الطّرق الإستراتيجيّة التي يجري بوساطتها دمج البعدين أساسيّة في نظريّة الحِجاج (الباحثان).

2. يتناقض هذا الدّمج مع تأكيد فرانك بأنّ التّداوليّة-الجدليّة معادية للتّقليد البلاغيّ (2004: 278). وفي الوقت نفسه، نظرًا إلى أنّ الفعاليّة يجب أن تتحقّق بالعقلانيّة، فإنّ هذا يتناقض أيضًا مع تأكيد سيجل (2006b) بأنّ التّداوليّة-الجدليّة لا تحافظ على نوع المعايير النّقديّة المطلوبة في الإبستمولوجيا. بحسب بوترينغ (2010: 415)، فإنّ المنظور التّداوليّ-الجدليّ للمعقوليّة يجسّد من منظور معرفيّ الإجراء العقلانيّ النّقديّ للتّخمين والدّحض (الباحثان).

3. أنواع الأنشطة التواصلية هي السياقات المؤسسية الكبرى التي تشكل البيئة الثقافية والاجتماعية والمعرفية التي يحدث فيها الحِجاج (الباحثان).

4. الرقم 1 مستند إلى الشكل 10.1 في فان إيميرين.(185 :2018) (الباحثان).

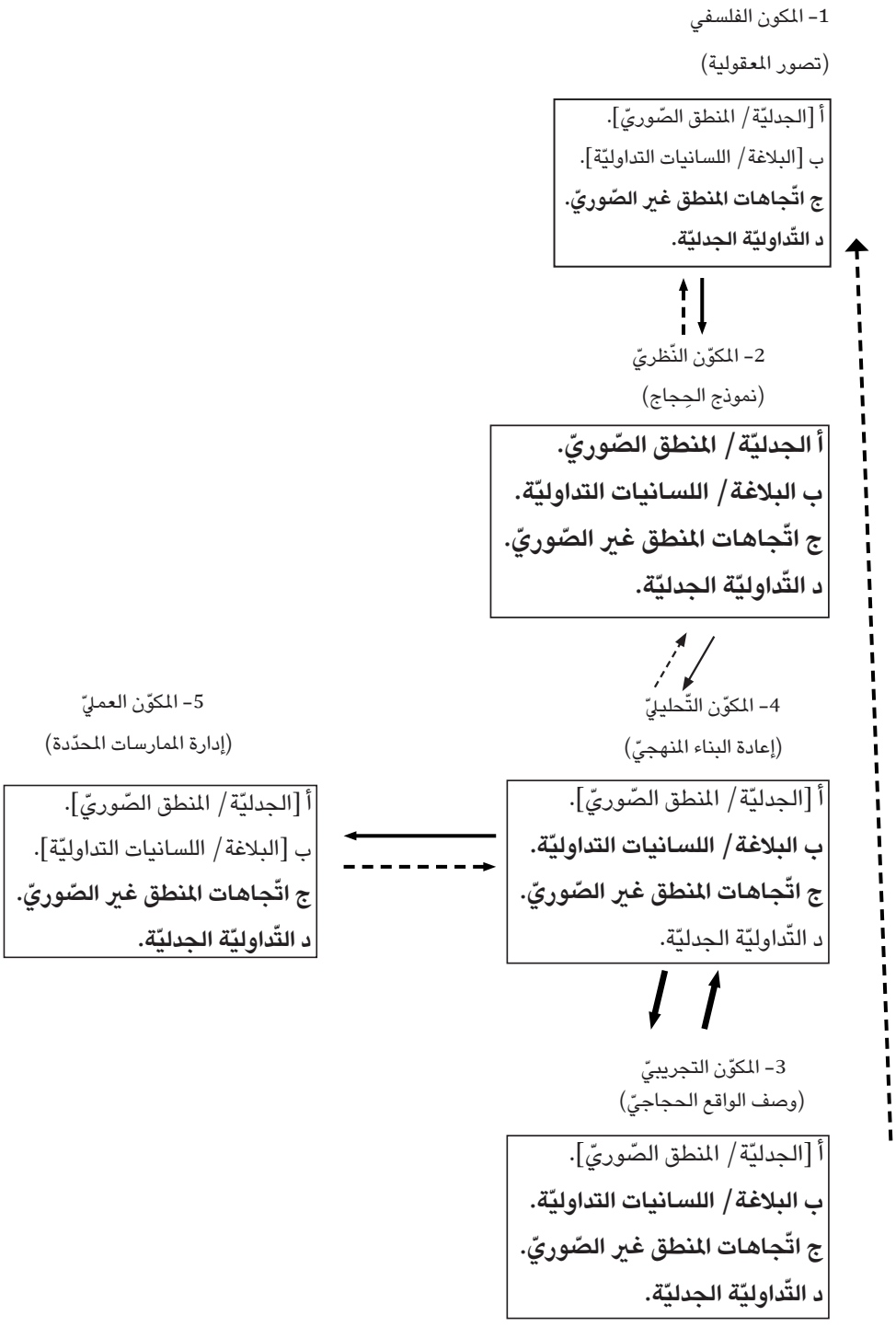
1- المكون الفلسفي
(تصور المعقولية)
أ [الجدليّة/ المنطق الصّوريّ].
ب [البلاغة/ اللسانيات التداوليّة].
ج اتّجاهات المنطق غير الصّوريّ.
د التّداوليّة الجدليّة.
2- المكوّن النّظريّ
(نموذج الحِجاج)
أ الجدليّة/ المنطق الصّوريّ.
ب البلاغة/ اللسانيات التداوليّة.
ج اتّجاهات المنطق غير الصّوريّ.
د التّداوليّة الجدليّة.
4- المكوّن التّحليليّ
(إعادة البناء المنهجيّ)
5- المكوّن العمليّ
(إدارة الممارسات المحدّدة)
أ [الجدليّة/ المنطق الصّوريّ].
ب [البلاغة/ اللسانيات التداوليّة].
ج اتّجاهات المنطق غير الصّوريّ.
د التّداوليّة الجدليّة.
أ [الجدليّة/ المنطق الصّوريّ].
ب البلاغة/ اللسانيات التداوليّة.
ج اتّجاهات المنطق غير الصّوريّ.
د التّداوليّة الجدليّة.
3- المكوّن التجريبيّ
(وصف الواقع الحجاجيّ)
أ [الجدليّة/ المنطق الصّوريّ].
ب البلاغة/ اللسانيات التداوليّة.
ج اتّجاهات المنطق غير الصّوريّ.
د التّداوليّة الجدليّة.

أ- الجدليّة/ المنطق الصّوريّ

ب- البلاغة/ اللسانيات التداوليّة

ج- اتّجاهات المنطق غير الصّوريّ

د- التداوليّة الجدليّة.

غامق = يظهر بوضوح

[...] = يظهر بشكل محدود

-----= غير ممثّل

الشكل 1: نظرة عامة على الإسهامات في المكونات الخمسة للتخصّص

3- الفعاليّة والمعقوليّة في الخطاب الحجاجيّ

3.1 القضيّة المحوريّة في نظريّة الحِجاج

حتّى وإن لم يلتزم الأفراد بهذا الافتراض دومًا في ممارساتهم الحجاجيّة، فإنّ الفحص الحِجاجيّ يفترض أنّ من يقدّمون الحُجج يهدفون إلى الدّفاع عن وجهات نظرهم بالاستناد إلى مبدأ المعقوليّة[1]، وهو ما يعني أنّهم يسعون إلى حلّ الخلاف المطروح استنادًا إلى مزايا حججهم. غير أنّ تحديد معنى حلّ الخلاف مع جمهور يُفترضُ أنه في حالة شكّ أو اختلاف مع وجهة النّظر المقدّمة بناء على تلك المزايا، يتوقّف على التّصوّر المعتمد للمعقوليّة عند تحديد محتواها.[2]

تتباينُ آراءُ علماء الحجاج في ما يعدّ ضروريًّا لحلّ الخلاف في الرّأي وفقًا لتصوّراتهم المختلفة عن المعقوليّة. في التّصوّر الأنثروبولوجيّ، تُفهَم المعقوليّة على أنّها الامتثال لمعايير الحجاج التي تُعدّ صالحة لحلّ المشكلة لأنّها تتوافق مع المعايير المقبولة والمعقولة داخلَ المجتمع الذي يجري فيه الخطاب الحجاجيّ. أمّا في التّصوّر الهندسيّ، فتُفهَم المعقوليّة على أنّها الامتثال لمعايير حجاجيّة تُعدّ صالحةً لحلّ المشكلة؛ لأنّها تستند إلى مبادئ منطقيّة وإبستمولوجيّة أساسيّة. في حين أنّ التّصوّر النّقديّ، الذي تتبنّاه التّداوليّة الجدليّة، يُعرّف المعقوليّة بوصفها الامتثال لمعايير مخصوصة للجدوى التي يمكن الدّفاع عنها في مواجهة النّقد المنهجيّ.

بغضّ النّظر عن التّصوّر المعتمد للمعقوليّة في سياقات الحياة الواقعيّة، فإنّ

1. إن حقيقة أنهم يقدمون أسبابًا لقبول الموقف تعدّ دليلًا على أنّهم ينوون احترام مبدأ المعقوليّة (الباحثان).
2. يُحَلّ الخلاف في الرأي عبر الحِجاج الذي يقدمه المؤيّد إذا لم يعد الجمهور الذي يُراد إقناعه متمسكًا بشكوكه أو بموقفه المعارض تجاه الموقف المطروح (الباحثان).

حلّ الخلاف لا يتحقّق إلّا إذا كان الحِجاج المقدّم يتوافق مع معايير المعقوليّة الصّالحة للمشكلة المطروحة، بحيث تكون هذه المعايير يقبلها الجمهور أيضًا[1]. وهذا يعني أنّ الحِجاج لا ينبغي أن يكون معقولًا وفقًا للمعايير السّائدة للمعقوليّة فحسب، بل يجب أن يحظى بقبول الجمهور المستهدف واعترافه، وهو ما يجعله فعّالًا في تحقيق غايته[2]. لتوضيح هذه العلاقة بجلاءٍ، فإنّ نجاح الحِجاج في تحقيق غايته يستلزم أن يكون فعّالًا استنادًا إلى معقوليته. رغم أنّ لكلٍّ من المعقوليّة والفعاليّة أهمّيّةً جوهريّةً تُحتّم النّظر إليهما منفصلين بالطّرائق الأكثر ملاءمة، فإنّ جودة الحجاج تحدّده طريقةُ التّفاعل بينهما[3].

تتمحور القضيّة الأساسيّة في دراسة الحجاج حول كيفيّة تحقيق الفعاليّة عبر المعقوليّة أو كيف يمكن بلوغ الفعاليّة مع الحفاظ على المعقوليّة. واستجابةً لمتطلّب صلاحيّة المشكلة، سيتناول هذا القسم أوّلًا كيف يعالج مفهوم المعقوليّة في النّظريّة التّداوليّة-الجدليّة بوصفه الشّرط الأوّلَ للخطاب الحجاجيّ. ثمّ في إطار متطلّب الصّلاحيّة المشتركة؛ أي المقبوليّة[4]، سنناقشُ الفعاليّة شرطًا مُكمّلًا[5]. يقدّم هذا القسم عرضًا عامًّا للموقف الذي تتبنّاه التّداوليّة-الجدليّة في هذا الصّدد. وفي القسم الرّابع، سنوضّح كيفيّة معالجة المناهج الأخرى لمفهومي المعقوليّة والفعاليّة، وبيان طبيعة العلاقة بينهما مقارنةً بالمنهج التّداوليّ-الجدليّ[6].

3.2 المنظور التّداوليّ-الجدليّ: المعقوليّة متطلّبًا أساسيًّا

تجسّد التداوليّةُ-الجدليّةُ الفلسفةَ النّقديّة للمعقوليّة في المكوّن النّظريّ

1. تتطلّب المعايير المعقولة الصّالحة، أو أيّ معايير أخرى، أن تكون مقبولة لدى المشاركين في النّقاش، لكي تُقبل وتوظّف في حلّ الخلاف بين الأطراف المعنيّة. في التّصوّر الأنثروبولوجيّ للمعقوليّة، يتوافق المفهوم المعقول مع القبول الاجتماعيّ لهذا المفهوم، لأنّ ما يُعدّ معقولًا يُحدّد بحسب ما يراه أفراد المجتمع مقبولًا. في حالات أخرى، قد يكون من الضّروري أن تصبح المعايير المعقولة الصالحة مقبولة، ويُحقّق ذلك عبر إظهار قدرتها على حلّ المشكلة المطروحة (الباحثان).
2. عندما تفتقر النّقاط المشتركة الضّروريّة لتحقيق الفعاليّة عبر المعقوليّة، قد يؤدّي ذلك إلى خلاف عميق، وهو نوع من الخلاف الذي لا يمكن حلّه عن طريق الخطاب الحجاجيّ عندما لا يتمّ الوفاء بالشّروط العليا الضّروريّة للنّقاش النّقديّ. (فان إيميرين وغروتنرست 2004: 189–190). راجع غاسكون (2017) للتّعرّف إلى العلاقة المحتملة بين النّظريّة التّداوليّة الجدليّة ونظريّة حجاج الفضيلة التي تتعلّق بكيفيّة التّعامل مع الخلافات العميقة عبر الشّروط العليا (الباحثان).
3. في الرّؤية التّداوليّة-الجدليّة، يتطلّب ذلك تكاملًا وظيفيًّا بين المنظورين الجدليّ والبلاغيّ في الحجاج (الباحثان).
4. في الممارسات الحجاجيّة الفعليّة، قد تؤدّي المقبوليّة البَينيّة تدريجيًّا إلى الصّلاحيّة التّقليديّة (الباحثان).
5. معاملة الفعاليّة عنصرًا تكميليًّا للمعقوليّة لا يتعارض فقط مع الرّأي السّطحيّ الذي يرى أنّ الاثنين غير متوافقين، بل أيضًا تؤكّد أنّ المعقوليّة ليست مكمّلة للفعاليّة (الباحثان).
6. لمزيد من النّقاط حول الاتّفاق أو الاختلاف بين التّداوليّة-الجدليّة والمناهج الأخرى بشأن كيفيّة إجراء دراسة الحجاج، يُرجى الرّجوع إلى فان إميرين، جارسن، كراب وآخرون (2014: 586–600) (الباحثان).

للبرنامج البحثيّ؛ وذلك بتطوير نموذج مثاليّ لتبادل حجاجيّ منظّم بين طرفين مختلفين في الرّأي، يكون موجّهًا حصريًّا نحو حلّ هذا الخلاف، بناءً على مدى قوّة التّحركّات الحجاجيّة المقدّمة[1]. ووفقًا لمفهومنا النّقديّ العقلانيّ للمعقوليّة، نطلق على هذا النّموذج المثاليّ للخطاب الحجاجيّ، الذي يُراعى فيه مبدأ المعقوليّة[2] مراعاة مثلى اسمَ النّقاشِ النّقديّ (فان إيميرين وغروتندورست 1984؛ فان إيميرين وغروتندورست 2004)[3].

يمثّل النّقاش النّقديّ نموذجًا إجرائيًّا لحلّ الخلافات، إذْ يحدّد الإجراء الجدليّ[4] اللازم لتقييم ما إذا كان الموقف المطروح في الخلاف قابلًا للدّفاع أمام النّقد المنهجيّ، ويتحقّق ذلك عبرَ أداء أفعالٍ تواصليّة وتفاعليّة محدّدة تُنفّذ فيها تحرّكات حجاجيّة موجّهة (فان إيميرين وغروتندورست 1984؛ فان إيميرين وغروتندورست 2004).

بهذه الطّريقة، يقدّم النّموذج التّداوليّ-الجدليّ للنقاش النّقديّ الإجراءَ العامّ الواجب اتّباعه في الخطاب الحجاجيّ لحلّ الخلاف في الرّأي بطريقة معقولة[5]. وتحدّد صلاحيّة هذا الإجراء الجدليّ بناءً على جوانب جوهريّة، تتمثّل في قوّته البنائيّة في تقرير ما إذا كانت المواقف المطروحة والتّحرّكات الحجاجيّة التي تقدَّم للدّفاع عنها قابلة للدحض أمام الانتقادات ذات الصّلة[6]. وفقًا للمنظور التّداوليّ-الجدليّ، يُعدّ الموقفُ قابلًا للدّحض إذا كان الدّفاع عنه قادرًا على الإجابة عن الأسئلة النّقديّة المرتبطة بالقواعد الخاصّة بالنّقاش النقديّ، والمحدّدة في مدوّنة السّلوك التّداوليّ-

1. يُلاحظ جونسون (2000: 310) ملاحظة صائبة أنّه على الرّغم من أنّ النموذج لا ينصّ على أنّ النّقاشات الفعليّة ستجري بهذه الطّريقة تمامًا، فإنّ هذا النّموذج المثاليّ «ليس بسيطًا أو ساذجًا، بل إنّه قادر على أن يُثبت تجريبيًّا» (الباحثان)
2. يعد مبدأ المعقوليّة افتراضًا في المناقشة النقدية المتوقعة؛ وهو نقطة انطلاق ضمنية في عملية الحجاج (الباحثان).
3. يُعَدّ البناء النظري للمناقشة النقدية نموذجًا مثاليًا، غير أنّ وولتون (2007) يتعامل معه على نحو خاطئ بوصفه أحد أنواع الأنشطة التّواصليّة العديدة (أنواع الحوار) التي يمكن التّحقّق منها تجريبيًّا في الواقع الحِجاجيّ (الباحثان).
4. بحسب زاريفسكي (2006)، تُعَدّ الصلاحية بوصفها إجراءً (ص. 322) في النظرية التداولية-الجدلية «المكافئ غير الصوريّ للبنية المنطقية» (ص. 318) (الباحثان).
5. قد يكون الاعتقاد الخاطئ بأنّ كل خطاب حِجاجيّ يهدف بطبيعته إلى تسوية الخلاف هو ما دفع بعض الباحثين إلى عدّ النّظريّة التّداوليّة-الجدليّة نظريّةً توافقيّة (كوك 2007: 239؛ زينكر 2007: 1588؛ لومر 2010: 67). غير أنّ إخضاع الموقف للنّقاش النقديّ لا يستهدف بالضّرورة تحقيق التّوافق، بل يرمي إلى اتّخاذ قرار معقول بشأن قبوله، ومن ثمّ حلّ الخلاف بهذا المعنى. فالتّقدّم الفكريّ والثقافيّ، في نظر النّقّاد العقلانيّين من أنصار التّداوليّة-الجدليّة، يقوم على تيّار متواصل من الآراء والمناقشات الحِجاجيّة المتفاعلة (الباحثان).
6. يبيّن فريمان (2006) أنّ سيجل وبيرو (1997) اللذين يحملان تصوّرًا خاطئًا بشأن صلاحيّة حلّ المشكلات والموقع الأساسيّ لقواعد التّداوليّة-الجدليّة في النّقاش النّقديّ يسيئان فهم تفسير التّداوليّة-الجدليّة للمعقوليّة، إذ إنّها «تتضمّن التّصوّر المعرفيّ للمعقوليّة بدلًا من أن تتعارض معه». (ص 70) (الباحثان).

الجدليّ للخطاب الحجاجيّ المعقول. وبذلك، فإنّ توافق الدّفاع مع هذه المدوّنة يضمن انسجامه مع معايير الحجاج المعقول[1].

تمثّل قواعدُ ميثاق السّلوك للحوار الحجاجيّ المعقول مجموعةً من المعايير الوظيفيّة التي ينبغي مراعاتُها في المراحل المختلفة لحلّ اختلاف الرأي، وذلك بناءً على الجوانب الجوهريّة للحجاج (مرحلة المواجهة[2] Confrontation Stage، ومرحلة الافتتاح[3] Opening Stage، ومرحلة الحجاج[4] Argumentation Stage، ومرحلة الاستنتاج[5] Concluding Stage)[6]. ترتبطُ هذه القواعدُ بالجوانب التي تتجلّى في عمليّة الحلّ في ضوء التّحرّكات الحجاجيّة المُتَّخَذة. ويُختَبَرُ الامتثال لهذه القواعد اختبارًا جدليًّا عبر الأسئلة النّقديّة. وتعكسُ أسماء القواعد عنايتها بالحفاظ على جودة الحوار الحجاجيّ، وهي: (1) قاعدة الحرّيّة، (2) قاعدة الالتزام بالدّفاع، (3) قاعدة الموقف، (4) قاعدة الصّلة، (5) قاعدة المقدّمات غير المعبّر عنها the Unexpressed Premise Rule) ، 6) قاعدة نقطة البداية، (7) قاعدة الصّلاحية، (8) قاعدة نمط الحجّة، (9) قاعدة الختام، و(10) قاعدة توظيف اللّغة. (فان إيميرين 2018: 66-67)[7].

كلّ انتهاكٍ لأيّ من القواعد العشر -بغضّ النّظر عن الطّرف الذي يرتكبه أو المرحلة التي يحدث فيها- يُعدّ انتهاكًا لمدوّنة السّلوك، ويتضمّن مغالطة؛ لأنّه يعيق أو

1. قواعد النّقاش النّقديّ في التداولية-الجدلية مشمولة ضمن ميثاق سلوكيّ عمليّ للحوار الحجاجي المعقول؛ ما يجعلها قابلة للتطبيق في إعادة البناء التّحليليّة للنّقاشات الحجاجية في الواقع الفعلي (الباحثان).

2. **مرحلة المواجهة (Confrontation Stage)** في هذه المرحلة، يُحدَّد موضع الخلاف أو الاختلاف في الرأي بين الأطراف المتحاورة، حيث يعرّف كل طرف بموقفه، وتُحدَّد المسائل التي تستدعي النقاش. تُعدّ هذه المرحلة جوهرية، إذ تُرسي الأساس للعملية الحجاجية من خلال توضيح نطاق الخلاف وما يستدعي التداول والنقاش (المترجم).

3. **مرحلة الافتتاح (Opening Stage)** في هذه المرحلة، يُتّفق على القواعد الإجرائية التي ستوجّه سير النقاش، بما في ذلك تحديد النقاط المشتركة، وإرساء إطار مرجعي للحوار، والاتفاق على المعايير التي يُعتدّ بها في تقييم الحجج. والغاية من ذلك هي تمهيد السبيل لحوار منظم وفعّال، يتيح تفاعلاً حجاجيًا مستنيرًا ومتزنًا (المترجم).

4. **مرحلة الحجاج (Argumentation Stage)** في هذه المرحلة، ينطلق النقاش الفعلي حول القضايا موضع الخلاف، حيث تُطرح الحجج دعمًا للمواقف المختلفة، وتُواجه بالاعتراضات والتفنيدات. وتكتسي هذه المرحلة أهمية جوهرية، إذ إنها تمثل جوهر التفاعل الحجاجي بين الأطراف، وتهدف إلى إرساء وجاهة الادعاءات أو نقضها عبر تبادل الحجج وتقييم مدى قوتها وإقناعيتها (المترجم).

5. **مرحلة الاستنتاج (Concluding Stage)** تهدف هذه المرحلة إلى الوصول إلى خلاصة نهائية للنقاش، حيث يُحسم الخلاف عبر تقييم ما إذا كان أحد المواقف قد أثبت تفوّقه استنادًا إلى المعايير المتّفق عليها. وتمثل هذه المرحلة تتويجًا للعملية الحجاجية، إذ تُحدَّد من خلالها درجة نجاح النقاش في تحقيق غايته وإيجاد حل معقول للخلاف (المترجم).

6. هذه المعايير للمعقوليّة تولي اهتمامًا جوهريًا بمتانة الحجاج وجودته في الدفاع عن الموقف، بحيث يستند حلّ الخلاف إلى قوّة الحجج ووجاهتها، لا إلى اعتبارات أخرى خارجة عن مضمونها (الباحثان).

7. يُلاحظ زاريفسكي (2006: 317) أنّه من المثير للاهتمام أنّ تبرير هذه القواعد داخليّ تمامًا، إذ لا يعتمد اعتمادًا ظاهرًا على القيم الخارجيّة مثل العدالة والمساواة والنّزاهة. ومع ذلك، لا يعني هذا بالضّرورة أنّه لا يمكن تقديم تبرير خارجيّ لهذه القواعد (الباحثان).

يعرقل حلّ اختلاف الرّأي على أساس الحُجج (فان إيميرين وغروتندورست 1992: 208-217). تمثّل حقيقة أنّ قواعد مدوّنة السّلوك للّنقاش الحجاجيّ المعقول تستبعد ارتكاب المغالطات التي وُصِفت في الأدبيّات (فان إيميرين وآخرون 2009) اختبارًا عمليًّا لصلاحيّتها في حلّ المشكلات، ويمكن تسميته اختبار التّفاعل الحسّاس litmus test[1]. ونظرًا إلى أنّ المجالات التّواصليّة المختلفة تخضع لسياقات مؤسّسيّة كبرى تفرض متطلّباتٍ مختلفة على الخطابات الحجاجيّة، فإنّ تنفيذ المعايير العامّة للمعقوليّة المدرجة في قواعد مدوّنة السّلوك، يحتاج إلى مواءمة سياقيّة في المجال السّياسيّ والقانونيّ والأكاديميّ وغيرها. وهذا يعني أنّه، إلى جانب المعايير العامّة للمعقوليّة المستقلّة عن السّياق، يمكن في الرّؤية التّداوليّة-الجدليّة أن توجد أيضًا شروط أكثر تحديدًا لضمان سلامة السّلوك الحجاجيّ المعقول، ناتجة عن متطلّبات سياقيّة ينبغي مراعاتها عند التّعامل مع الأسئلة النّقديّة المناسبة. (فان إيميرين 2008: 140-147).

3.3 وجهة النّظر التّداوليّة-الجدليّة: الفعاليّة مكمِّلًا مقصودًا للمعقوليّة

لتحقيق هدف حلّ الخلاف بناءً على الأسس الجوهريّة، يجب أن يتوافق الخطاب الحجاجيّ مع معايير المتانة Sound التي لا تكون صالحة للمشكلة فحسب، بل تكون صالحة أيضًا بينيًّا للأطراف المعنيّة بالخلاف أو المشاركة في عمليّة الحلّ. إذا لم يستوف هذا الشّرط الإضافيّ، فلن يكون بالإمكان التّوصّل إلى حلّ[2]. لا يمكن حلّ الخلاف بالخطاب الحجاجيّ إلا إذا اتّفق الأطراف المشاركون على معايير المعقوليّة التي يجب تطبيقها في عمليّة التقييم[3]. وفي إطار التّداوليّة-الجدليّة، يعني ذلك أنّه إذا كانت معايير المعقوليّة المضمّنة في مدوّنة السلوك الحجاجيّ تؤدّي دورًا في حلّ الخلاف، فيجب أن تكون هذه المعايير مقبولة أيضًا لدى المتحاورين أو الأطراف المحتملة في النّزاع[4].

1. متطلّب الصّلاحيّة المنطقيّة في العلاج القياسيّ للمغالطات تُستبدل به مجموعةٌ من المعايير المتنوّعة (الباحثان).
2. يفوت على سيجل (2006ب) الجوهر عندما لا يرى أن المقبولية البينية هي متطلب إضافي لصلاحية حل المشكلة، وهي ضرورية لحل الخلاف بفعالية بناءً على الأسس الجوهرية. فصلاحية حل المشكلة تأتي دائمًا قبل المقبولية البينية (الباحثان).
3. صلاحيّة حلّ المشكلة في الحركات الحجاجية، أي توافقها مع المعايير المعقولة الصحيحة لحلّ المشكلة، تختلف عن المقبولية البينية. فالمقبولية البينية تشير إلى قبول الأطراف المعنية لهذه الحركات الحجاجية، وتعتمد في أساسها على الأشخاص، والمكان، والزمان (الباحثان).
4. كما يُشير تيندال (1999: 61-62) إلى أنّه في النّظريّة التّداوليّة-الجدليّة توجد علاقة هرميّة بين صلاحيّة حلّ المشكلات

من منظور النّقاش النّقديّ المتوقّع، يجب أن ينعقد الاتّفاق على معايير المعقوليّة المُطبَّقة في تقييم الخطاب الحجاجيّ في مرحلة البداية. بحيث يصبح واضحًا تمامًا لجميع المشاركين ما هي المعايير المقبولة على نحوٍ متبادل. وفي الممارسات التّواصليّة الواقعيّة، قد يجري الاتّفاق على معايير الخطاب الحجاجيّ المعقول في بداية الخطاب، غيرَ أنّ هذه المعايير تكون في الغالب محدّدة قد حُدِّدت سلفًا (صراحة أو ضمنًا) قبل بدء الخطاب الحجاجيّ، ومن ثمّ تُفرض ببساطة على المشاركين. وبغضّ النّظر عن كيفيّة تحديدها، فإنّ معايير المعقوليّة في الممارسات الحجاجيّة الواقعيّة لن تُفعَّل عادةً إلّا إذا كانت مقبولة لدى الأطراف المشاركين في عمليّة التّقييم. لذا، ينبغي لعلماء الحجاج أن يستكشفوا إلى أيّ مدى تُعدّ المعايير التي ينوون تطبيقها مقبولة لدى المتنازعين (المحتملين). وإذا لم تكن تلك المعايير مقبولة، ينبغي التّحقيق في سبب ذلك، وكذلك في إمكانيّة تصحيح الأمر عبر تقديم مزيد من التّوضيح للمعايير[1]. وهذا الشرط ضروريّ لتطوير منهجيّات فعّالة تُعنى بتعليم الأفراد كيفيّة إنتاج الخطاب الحِجاجيّ وتحليله وتقييمه، في المكوّن العمليّ للبرنامج البحثيّ، وَفْقًا لهذه المعايير.

لتحقيق فهمٍ أدقّ لفعاليّة الخطابِ الحجاجيِّ، أجريتْ أبحاثٌ تجريبيّة ذات طابعٍ منهجيّ (ومن المتوقّع أن تستمرّ في المستقبل) ضمن مشروع تصوّرات المعقوليّة؛ بهدف تحديد مدى قبول معايير المعقوليّة المدرجة في قواعد السّلوك لدى المتحاورين. وبهذه الطّريقة، يُسعى إلى التّحقّق ممّا إذا كانت قواعد السّلوك التي تعدّ صالحة لمعالجة المشكلات، تحظى أيضًا بالقبول بين الأشخاص في الواقع الحجاجيّ المدروس. إذا ثبتت صلاحيّةُ هذه القواعد من حيث المقبوليّةُ البينيةُ[2]، فإنّ المعايير المعنيّة ستكون مرشّحة لاكتساب الصّلاحيّة التّقليديّة[3]؛ ما يسمح باعتمادها عمليًّا معاييرَ لحلّ الخلافات وفق الأسس الجوهريّة Merits. وفي ما يتّصل بقواعد النّقاش

والمقبوليّة البينيّة؛ فلا جدوى من التّحقّق من قبول المعايير الخاصّة بالمعقوليّة بين الأطراف قبل التّأكد من صلاحيتّها في حلّ المشكلات (الباحثان).

1. يتطلّب شرحه توضيح الأسباب التي أدّت إلى عدم قبول المعيار حتّى الآن، مع إبراز كيفيّة كونه في الواقع صالحًا لحلّ المشكلة. وفي بعض الحالات الاستثنائيّة، قد تشكّل هذه المسألة فرصةً لإعادة النّظر في معيار المعقوليّة ذاته (الباحثان).
2. قد يكون القبول الذاتيّ لمعايير المعقوليّة، في بعض الحالات، مشروطًا بالسّياق المجتمعيّ أو متأثّرًا بالخلفيّة الثّقافيّة للأفراد ومستوى تعليمهم (الباحثان).
3. وهذا يشير إلى صلاحيّة المعايير ضمن نطاق المتحاورين العاديين، وليس ضمن مجتمع المحاورين النّموذجيين ذوي الكفاية العالية كما وصفه بلير وجونسون (1987) (الباحثان).

النّقديّ التي جرى التّحقيق فيها تجريبيًّا، يتّضح أنّ هذا الأمرَ واقع بالفعل (فان إيميرين وآخرون 2009)، وعليه، يمكن استخدام هذه القواعد بسهولة أكبر في تعليم الأفراد كيفيّة التّعامل مع الخطاب الحجاجيّ[1].

إنّ فهم الفعاليّة المحتملة للحجاج ضروريٌّ لضبط العلاقة بين المعقوليّة والفعاليّة على نحوٍ ملائم[2]. ويُعدّ التبصّرُ في هذه العلاقة أمرًا محوريًّا لاستيعاب آليّات تحقيق الفعاليّة عبر المعقوليّة في الخطاب الحجاجي. في هذا السّياق يتضمّن مفهومُ المناورة الإستراتيجية، الذي طُوِّرَ في إطار التّداولية-الجدليّة الموسّعة لدراسة تحقيق الفعاليّة عبر المعقوليّة، التّوفيقَ بين هذين البُعدَيْنِ؛ اختيار الإمكانيّات الموضوعيّة المتاحة، والتّكيّف مع تطلّعات الجمهور، واستغلال الوسائل التّقديميّة (فان إيميرين 2010: 93-127). ولمّا كانتْ دراسةُ الحِجاج تُوضع مباشرة في صلب الممارسة الحجاجية بتضمين مفهوم المناورة الإستراتيجية، يصبحُ من المُلِحِّ مراعاةُ المطالب المتغيّرة للسياقات المؤسسية الكبرى، لا سيّما تلك التي جرى تقنينها ضمن أنواع النّشاط التّواصليّ المختلفة في الواقع الحجاجيّ. وقد نشأ هذا التّقنين استجابةً لمتطلّبات مؤسّسيّة خاصّة؛ ما يعني أنّ تحقيق التّوازن بين المعقوليّة والفعاليّة في المناورة الإستراتيجية قد يستدعي، في بعض الحالات، تكييفًا خاصّةً للمعايير العامّة لمدوّنة السّلوك الخاصّة بالخطاب الحجاجي المعقول[3].

4. المواقف المتعلّقة بالمعقوليّة والفعاليّة في المناهج الأخرى

4.1 الاختيارات بين المنظورات الجدليّة والبلاغيّة عند المؤسّسين

يتأسّس الحِجاج الحديث على منظورين رئيسين: الجدليّ والبلاغيّ، وقد جرى

1. ذلك لأنّ نتائج البحث التجريبيّ تُظهر أنّ المعايير المتعلّقة بالمعقوليّة، المدمجة في القواعد، لا تبدو غير طبيعية أو معقّدة بدرجة كبيرة لدى المتحاورين العاديين (الباحثان).

2. لأنّ الحجاج المعقول (أي غير المغالط) لا يعني بالضّرورة أنّه سيكون فعّالًا في إقناع الجمهور المستهدف، فإنّ الفعالية هنا تشير في الواقع إلى الفعالية المحتملة. وعلى عكس البلاغة، تعتمد نسبة الفعالية المحتملة للحجاج في التداولية-الجدلية على الأدلة التجريبية المتعلقة بمعايير الجمهور في تقييم الخطاب الحجاجي. كما تُجرى أبحاث تجريبية مستمرة لاستكشاف دور الاعتبارات الإستراتيجية في تعزيز الفعالية البلاغية في التداولية-الجدلية، مثل إسهامات فان إيميرين وغارسِن وميُفيلس في فان إيميرين (2015: 771-824) (الباحثان).

3. لتجنب المغالطات، يجب أن يراعي الاستناد إلى السلطة في ورقة أكاديمية، على سبيل المثال، معايير أكثر دقة وصرامة تتوافق مع شروط المعقولية العامة لهذا النوع من المناورة الإستراتيجية، وذلك مقارنةً باستخدامه في مناظرة سياسية (الباحثان).

دمجهما منهجيًّا في إطار النّظريّة التّداوليّة-الجدليّة الموسّعة. غيرَ أنّ المناهج الأخرى كما ورد في القسم الثّاني، تميل إلى تغليب أحد البُعدين على الآخر، فيلقى الضّوء على أحد الجانبين دون الآخر، إمّا من حيثُ المعقوليّة وإمّا من حيثُ الفعاليّة.

أيّ المناهج تجعل المعقوليّة في صلب اهتمامها؟ وأيّها تركّز على الفعاليّة؟ وكيف تتعامل هذه المناهج مع التّفاعل بين ضرورة الحفاظ على المعقوليّة والسّعي إلى تحقيق الفعاليّة؟ والأهمّ، كيف يقارن كلّ منظورٍ بالمقاربة التداوليّة-الجدليّة؟

يقدّم ستيفن تولمن (2001)، أحدُ مؤسّسي نظريّة الحِجاج الحديثة، نموذجًا حِجاجيًّا يُعلي من شأن المعقوليّة، إذ يزعم أنّه يربط بين المنطق والبلاغة بجعل المعقوليّة رهينة المجال الذي يُمارَس فيه الحِجاج[1]. بيد أنّ هذا النموذج يظلّ، في جوهره، وصفيًّا[2]، على عكس النّموذج التّداوليّ-الجدليّ الذي يتّسم بكونه معياريًّا، إذ لا يكتفي بتوصيف الظّواهر الحِجاجيّة، بل يحدّد كيف ينبغي أن يكون الحِجاج ليُعَدّ مقبولًا.

تتّجه البلاغة الجديدة كما أسّسها بيرلمان وأولبريخت-تيتيكا (1958/1969) نحو تحقيق الفعاليّة بالدّرجة الأولى. غير أنّها، عند استهداف جمهور عالميّ[3]، تفترض أنّ الحِجاج ينبغي أن يوجّه إلى مجموعة من الأشخاص -سواء أكانوا واقعيّين أم متخيّلين- يمثّلون المعقوليّة من منظور المحاجج[4]. لكنّ هذا الجمهور العالميّ لا يُعدّ معيارًا مستقلًا للمعقوليّة، بل هو إسقاط لموقف المحاجج ذاته. وهذا يعني أنّ البلاغة الجديدة تُسنِد في النّهاية مبدأ المعقوليّة إلى الفعاليّة[5] لا العكس. في المقابل، ترى النظريّة التّداوليّة-الجدليّة أنّ الفعاليّة المشروعة تتأسّس على معقوليّة مستقلّة،

1. يؤسّس تولمن (1973/1958) هذا الرابط ضمن سياق مجال معيّن، مستندًا إلى معايير تجريبية وتاريخية لحكم مدى صحّة العلاقة بين البيانات والادّعاء، وهي علاقة تُحدَّد عبر الضمان والدّعم (الباحثان).

2. لا يتضمّن نهج تولمن معالجة كافية للمغالطات (الباحثان).

3. الجمهور العالميّ مفهوم غامض يصعب تحديده وتقييمه بدقة. يصفه بيرلمان وأولبريختس-تايتكا (1969: 491) بأنّه «جمهور ملموس يتغير بمرور الزمن، متأثرًا بتصوّر المتحدّث له». وفقًا لتيندال (2004: 129)، لا يعني هذا أنّ كلّ متحاور يحدد معاييره بشكل تعسّفي، بل إنّ «السياق الجدليّ هو الذي يحدد [...] كيفية تصوّر الجمهور العالميّ»، حيث يكون لهذا الجمهور دور فاعل في تشكيله. من منظور تيندال، لا يُعدّ الجمهور العالميّ مجرّد انعكاس لرؤية المتحاور، بل يتجاوز ذلك ليؤدي دورًا حيويًا في النقاش. (ص. 130) (الباحثان).

4. يتوقف تصوّر المحاجج للمعقوليّة على الافتراضات التي تُعَدّ نقاط انطلاق معقولة داخل مجتمع معين (الباحثان).

5. بسبب هذه النظرة المعتمدة على الفعالية للمعقولية، فإنه من المفهوم أنّ المغالطات لا تملك دورًا حقيقيًّا في البلاغة الجديدة (الباحثان).

بدلًا من أن تكون المعقوليّة مجرّد امتدادٍ للفعاليّة المفترضة. وبهذا، تختلف العلاقة بين المعقوليّة والفعاليّة جذريًّا بين النظريّتيْن[1]؛ ففي حين تدمج البلاغة الجديدة المعقوليّة ضمن مفهوم الفعاليّة، تسعى التداوليّة-الجدليّة إلى ضبط الفعاليّة ضمن حدود المعقوليّة الموضوعيّة.

إذا كان لبيرلمان وأولبريخت-تيتيكا تأثيرٌ عميقٌ في المناهج البلاغيّة الحديثة التي تُعنى بالفعاليّة، فإنّ لكراوشاي-ويليامز ونايس دورًا أساسيًّا في ترسيخ الاتّجاهات الجدليّة التي تُولي اهتمامًا خاصًّا بالمعقوليّة. فقد مهّد كراوشاي-ويليامز (1957) السّبيل لدمج مطلبَي الحفاظ على المعقوليّة وتحقيق الفعاليّة، مُوضّحين أنّ أيّ طريقةٍ منطقيّة لحلّ الخلافات لا يمكن أن تكون فعّالةً في الواقع إلّا إذا كانت مقبولةً لدى الأطراف المتنازعة، أيْ صالحةً في نظرهم، بل مُعتمدةً لديهم تقليديًّا. وفق هذا المنظور، تصبح صلاحيّة معايير المعقوليّة، مثل تلك المدمجة في قواعد السّلوك التّداوليّ-الجدليّ، شرطًا ضروريًّا لحلّ النّزاعات على أسس موضوعيّة. وتعتمد الفعاليّة المحتملة لهذه القواعد على مدى قبول الأطراف لها، إذ لا تتحقّق وظيفتها الجدليّة إلّا إذا عدّها المشاركون في النّقاش معايير حاسمة للفصل في الخلافات[2].

يطرح نايس (1966) أداةً تحليليّة تُعين على تحديد الوضع الرّاهن في خطابٍ حِجاجيّ، تتمثّل في استطلاع التّأييد والمعارضة؛ إذ تُرصد الحجج المؤيّدة والمناهضة للموقف المطروح كما يقدّمها كلّ طرف من أطراف النزاع[3]. يقدّم هذا الاستطلاع إطارًا لفهم بنية التّبادل الحِجاجيّ وذلك باستكشاف توازن القوى بين مختلف المواقف المطروحة.

يُمكّن تصوير التّبادل الحِجاجيّ بوصفه شدّ الحبل tug of war المحلّلَ من إدراك تعقيد آليّات التّأثير التي تمارسها الحجج المتعارضة على المسار الجدليّ والنّتيجة النّهائيّة للنّقاش. فكما أنّ شدّ الحبل يعتمد على قوّة الفرق المتنافسة

1. تُلاحظ هذه النّظرة المختلفة أيضًا لدى تيندال.(15 :2004) (الباحثان).
2. عندئذ فقط يمكن عدّ قواعد مدوّنة السلوك جزءًا من النقاط الإجرائية الأولية المتفق عليها في مرحلة الافتتاح في النقاش النقدي المُتَصوَّر (الباحثان).
3. يتيح الاستقصاء المؤيد والمعارض للمحلّل تتبّع القوى المتنوّعة المؤثّرة في العمل، وتقييم وزن تأثيراتها النّسبيّة في سياق النّقاش الحجاجيّ (الباحثان).

وتوازنها، كذلك تتحدّد مخرجات الجدال بناءً على مدى تأثير الحجج المطروحة والوزن الحِجاجيّ لكلّ منها.

4.2 المناهج المعنيّة بالمعقوليّة الجدلية

تُعنى المناهجُ الجدليّةُ في دراسة الحجاج عمومًا بالحِفاظِ على المعقوليّة ضمن التّبادلات الحجاجيّة، فضلًا عن أشكال الخطاب الأخرى التي يمكن إعادة بنائها على هيئة تبادلاتٍ. ويعبّر ليف (2006: 200) عن هذه المهمّة النّظريّة بقوله: «الجدل يُنتج معاييرَ للحجاج المعقول». ومع ذلك، يفضّل أنصار المناهج الجدليّة استخدام مصطلح العقلانيّة Rationality[1] بدلًا من المعقوليّة، من غير تقديم تمييز واضح بينهما[2]. غير أنّه، وكما في الاستعمال اللغويّ الشائع، تُحيل العقلانيّة إلى تشغيل ملكة العقل ذاتها، بينما تتعلّق المعقوليّة بتوظيف هذه الملكة على نحوٍ ملائم[3]؛ أي بما يتوافق مع معالجة الإشكال المطروح[4]. ومن هذا المنظور، يُفهم التّصرّف بمعقوليّة في الإطار التّداوليّ-الجدليّ بوصفه تصرّفًا عقلانيًّا، ولكن ضمن شروط تضمن توافقه مع حلّ الخلاف في الرأي[5].

تُفسَّر معايير المعقوليّة التّقليديّة مثل الصّلاحيّة والمتانة، التي تشتهر في المنطق الاستنتاجيّ الصّوريّ، تفسيرًا جدليًّا في المناهج الجدليّة الصّوريّة لدراسة الحجاج. تعنى هذه المناهج بالإجراءات الصّوريّة التي تهدف إلى حلّ الخلافات عبرَ التّبادلات الحواريّة العقلانيّة. ومع ذلك، لا تأخذ هذه المناهج بعين الاهتمام الفعاليّة المحتملة للتحرّكات الحجاجيّة في الخطاب الحجاجيّ الواقعيّ. على سبيل المثال، يضع بارث وكراب (1982) العقلانيّة في صميم التّنظير، بلا أيّ إشارة إلى الفعاليّة (ص. 71، 75، 257). وفي أعمال والتون وكراب (1995)، يُعنى بمصطلح الجدليّة (ص. 5-6، 67) في حين لا تُعطى البلاغة الاهتمام نفسه، وهو ما يتّفق تمامًا مع وصف

1. يبدو أنّ العقلانيّة عند المنطقيين الصّوريين هي المصطلح الأكثر تفضيلًا، لكننا لا نوافق على ما ذهب إليه بيرلمان (1979: 117) حين قال إنّ العقلانيّة «تتطابق مع العقل الرّياضيّ» (الباحثان).
2. عادةً ما يظهر أنّ هذين المصطلحين يُستعملان بالتّبادل، ما قد يفضي بسهولة إلى لبس مفهوميّ (الباحثان).
3. يميز تولمن (2001: 24) أيضًا بين «العقلاني» و«المعقول»، ولكنه يستخدم المصطلحين بطريقة مختلفة (الباحثان).
4. في سياق مشابه لعبارة «مناسب للمناسبة»، يقول جاكوبس (2002: 124-125): «الحجاج المعقول هو الحجاج الذي يستفيد إلى أقصى حد من الوضع» (الباحثان).
5. على الرغم من أنه قد يكون خطوة عقلانية، فإنّ ارتكاب مغالطة في مصطلحاتنا لا يُعدّ خطوة معقولة (الباحثان).

كراب (2002: 39) لهذا المنهج بوصفه نظريّة للجدليّة. على سبيل المثال، يناقش والتون وكراب ما إذا كانت الحجّة الشخصيّة ad hominem[1] معقولة أم مغالِطة» (ص. 111)، لكنهم لا يتطرّقون إلى ما إذا كانت فعّالة في إقناع الجمهور.

تعدّ النّظريّة الجدليّة الصّوريّة، بحسب كراب (2006: 185) امتدادًا تقنيًّا وصوريًّا لألعاب اللّغة التي طرحها فيتغنشتاين Wittgenstein[2]، بجذور كلاسيكيّة، وقد طُوّرت بشكل أكبرَ على يد لورنزن ولورنز (1978)[3]. يُعدّ النّظامُ الجدليُّ الصّوريُّ مجموعةً من قواعد النّقاش، أو لعبة حوار منطقيّة[4]. تهدف هذه الأنظمة الجدليّة، في أحد أهدافها، إلى إتاحة نماذج نظريّة لدراسة الحجاج (ص. 196). ويُعدّ الخلاف في الآراء نقطة البداية للحجج التي تُناقَش ضمن هذه الأنظمة، ويكون الهدف من العمليّة الحجاجيّة هو حلّ الخلاف في الرّأي للوصول إلى اتّفاق راسخ ومؤسّس جيّدًا» (ص. 196). ويُفترض أنّ «الشّكل المثاليّ لهذه العملية يُقدَّم عن طريق نموذج للنّقاش، وهو ما يحتاج إليه المنظّر «لتحليل وتقييم ما يحدث فعليًّا» (ص. 196).

يبرز كراب (2002) التّقاربَ المتبادلَ بين الجدل والبلاغة في تاريخهما[5]. كما يلاحظ قائلًا: «إنّ تضمين الخطابات في المحادثات وتضمين المحادثات في الخطابات، كما يظهر في الممارسات البلاغيّة والجدليّة، يستدعي تكامل نظريّاتهما [البلاغيّة

1. مصطلح **ad hominem** هو مصطلح لاتيني يُترجم حرفيًا إلى (إلى الشخص)، ويُستعمل للإشارة إلى نوع من المغالطة الحجاجية إذ يجري الهجوم على الشخص أو صفاته الشخصية بدلًا من مناقشة الحجج أو الأفكار التي يطرحها. بمعنى آخر، إذا جرى الرّدّ على الحجّة عبر مهاجمة الشخص الذي يطرحها بدلًا من التفاعل مع مضمون الحجة، فإن ذلك يُعدّ مغالطة من نوع ad hominem (المترجم).

2. لودفيغ فيتغنشتاين (1889-1951) هو فيلسوف نمساويّ يُعدّ من أبرز المفكّرين في القرن العشرين. تركّزت اهتماماته على فلسفة اللغة والمنطق، إذ طرح مفهوم ألعاب اللغة، مُؤكّدًا أنّ استعمال اللغة يعتمد على السّياقات الاجتماعيّة والتّواصليّة التي تتفاوت حسب المواقف، وأنّ معاني الكلمات تُفهم بناءً على وظيفتها العملية في تلك الألعاب. لقد أسهمت أفكاره في تطوير المقاربات التّحليليّة للخطاب والمنطق؛ ما جعلها مرجعًا مهمًّا في صياغة نظريّات الحجاج والأنظمة الجدليّة (الباحثان).

3. بحسب كراب (2006: 197)، يُعدّ نموذج لورنزن ونظام هامبلن (1970) للحجاج الصّوريّ أحد أنواع النماذج الصّوريّة للجدل، والتي «دُمِجت في نوع واحد معقد» في كتاب والتون وكراب (1995). في سياق التداولية-الجدلية، يُستخدم «نماذج غير صوريّة إلى حد ما، مبنية على نظرية الأفعال الكلامية»، ولكن «تلك المناهج يكمّل بعضها بعضًا» (الباحثان).

4. أصبحت التّوجّهات الحواريّة توجّهًا ثالثًا في المنطق الصّوريّ، بجانب التوجّهات الاستنتاجيّة والتّوجّهات الدّلاليّة (كراب 2006: 189. (الباحثان).

5. طوّر أرسطو في «الموضوعات» نموذجًا جدليًا للحوارات المنظمة الخاصة بدحض الادعاءات، بدءًا من التنازلات التي يقدمها الطرف الآخر (endoxa). الهدف من الجدل في السياق الأرسطي هو «الوصول إلى الحقيقة». أما البلاغة فتهتم بالإقناع، إذ يُعدّ «المنطق» هو «الجوهر الرئيسي» (كراب 2002: 33). على المستوى النظري، الجدل والبلاغة «مترابطان» (ص. 39). يعترف كراب أنّ الممارسة الفعلية للجدل الكلاسيكي تتعلّق أكثر بالإقناع (أو إقناع الآخرين) ممّا اقترحه أرسطو (الباحثان).

والجدليّة]» (ص. 39). ومن وجهة نظره، فقد تحقّق هذا التّكامل جزئيًّا في التّداوليّة-الجدليّة إذ «تُحلَّلُ الخطابات من حيث الحواراتُ الضّمنيّة فيها» (ص. 39). يُظهرُ النّموذج التّداوليّ-الجدليّ الموسّع بحسب كراب (2002: 39) كيف أنّ «المتحدّثين يمكنهم تحقيق الأهداف البلاغيّة من غير (ضرورة) التّخلّي عن معايير الجدل»، وكيف يمكن «تحليل المغالطات حينئذٍ بوصفها انحرافاتٍ في المناورة الإستراتيجية». ويضيف أنّ والتون وكراب (1995) «قدّما نظريّة أكثر شموليّة في الجدل، مقدّمين ألوانًا متنوعّة من الحوارات بخلاف حوار الإقناع» (2002: 39)[1].

نظرًا إلى الطّابع التّجريديّ للمناهج الجدليّة الصّوريّة في الحجاج، فإنّه يصعب اختبارها تجريبيًّا، كما هو الحال مع المناهج الصّوريّة الأخرى. وهذا يفسّر غياب المكوّن التّجريبيّ في برامج البحث، على الرّغم من الطّموحات المتعلّقة بتطوير نماذج معياريّة تتعلّق بالممارسات الحجاجيّة في الحياة الواقعيّة. إضافة إلى ذلك، يقتصر المكوّن التّحليليّ على تمثيل محدود؛ إذ تقتصر الأمثلة غالبًا على ترجمات صوريّة لمقاطع نصّيّة، غالبًا ما تكون مصطنعة. في الآونة الأخيرة، تركّز التّحليلات على قصاصات قصيرة من التّبادلات الحجاجيّة الواقعيّة، التي تتناول خصائص الخطابات القابلة للمعالجة الصّوريّة.

يعتنقُ جونسون (1996: 103–104)، في دراسته للمنطق غير الصّوريّ، متأثّرًا ببعض التّداوليّين الجدليّين والمنطقيّين مقاربةً تداوليّة ترى في العقلانيّة محورًا أساسيًّا في الحجاج. وفي سياق ثقافةٍ لم ترسّخ العقلانيّة إلّا بقدْرٍ محدودٍ، يرى جونسون (جونسون 2000: 15) أنه ينبغي إدراك العقلانيّة وتقديرها. وتتمثّل المعايير غير الصّوريّة للمعقوليّة المستخدمة في هذا المنطق في طابعها الجدليّ[2]؛ إذ يتصوّر بلير وجونسون (1987) في كتابهما Argumentation as dialectical

1. من الجدير بالذكر أن والتون وكراب يساويان بين «حوار الإقناع» والنقاش النقدي كما هو موصوف في النظرية التّداولية-الجدلية. بيد أنّ النقاش النقدي يمثل نموذجًا مثاليًا عامًا للعملية الحجاجية، ولا يُعدّ نوعًا محددًا من الأنشطة التواصلية أو أنواع الحوارات في الواقع الحجاجي. ويستحق الأمر التنويه بخصوص الحاشية 56 في هذا السياق (الباحثان).

2. لاحظ فينوكيار (2005: 232) أنّ «بعض رواد المنهج الجدليّ»، مثل بلير وجونسون، «يدافعون أيضًا عن منهج الحجاج غير الصّوريّ» وأنّ «بعض المدافعين عن المنهج الجدلي»، مثل فان إيمرين وغروتندورست، «يميلون إلى الاتّجاه التّجريبيّ بوضوح». ويتساءل ما إذا كانت هناك «ألفة طبيعيّة» بين الاتّجاهين. ومن جهته، يعدّ فان ريس (2001)، عند مقارنة وجهة نظر جونسون مع المنظور التّداوليّ-الجدليّ، أنّ الأولى غير جدليّة بما فيه الكفاية (الباحثان).

أنّ المحاججين يستندون إلى أحكام المعقولية عبر مجتمع من المتحاورين يمتلكون معرفةً راسخةً بالموضوع قيد المناقشة» (ص. 50). ويؤكّد الكاتبان أنّ المشاركين في الحجاج «لا ينبغي أن يقتصروا على مخاطبة محاججهم المباشر» بل عليهم أن «ينظروا إلى أنفسهم بوصفهم موجّهين خطابهم إلى مجتمع أوسع من المتحاورين»، فهؤلاء يشكّلون جماعةً معياريّة تتحدّد بها المعايير الموضوعيّة، بوصفها غايةً في التّبادل الحجاجيّ». (ص. 50) ويرى بلير وجونسون أنّ هذا المجتمع النموذجيّ من المتحاورين، يتميّز بخصائص معقولة تجعله قادرًا على إصدار أحكام موضوعيّة موثوقة (ص. 50). ومن بين هذه الخصائص أن يكون أفراده على درايةٍ واسعةٍ Knowledgeable، متأمّلين Reflective، منفتحين Open، ومتمرّسين في الجدل Dialectically Astute؛ أي واعين بإمكانات الإخلال بالصّلة الحجاجيّة، وبضرورة تقديم أدلّة كافية وملائمة، مع إدراك إمكانيّة وجود اعتراضات أو أدلّة مضادّة تستوجب الردّ عليها (ص. 51).

"بخلاف النّماذج المثاليّة غير القابلة للتّحقيق، يشير بلير وجونسون (1987) إلى أنّ مجتمع المتحاورين النّموذجّيين يستند إلى معايير «لأفضل العقول المتاحة» (ص 52–53). وهما يتصوّران أنّ هذه المجتمعات تتألّف من أناس حقيقيّين، ومع أنهم يُقدَّمون بوصفهم نماذجَ بارزة، فإنّهما يوضّحان أنّهم، في نهاية المطاف، ليسوا إلّا «نماذج يُحتذى بها» (ص 52)[1]. مع تجاوز الفروق الأخرى، فإنّ العلاقة بين معايير المعقوليّة والأفراد الذين يضطلعون بشرعنة استعمالها في سياق حجاجيّ معيّن، بوصفهم قضاة عقلانيّين يقيّمون الحجج وفقًا لمقتضيات المعقولية، تأتي هنا على النقيض ممّا تطرحه النّظريّة التّداوليّة-الجدليّة، ففي مقاربة بلير وجونسون، ينشأ مجتمع يرتبط بسياق حجاجيّ معيّن، ويتولّى هذا المجتمع تحديد معايير المعقوليّة التي ينبغي تطبيقها في ذلك السّياق. أمّا وفقًا للنّظريّة التّداوليّة-الجدليّة، فالمعقوليّة

1. كما ذكر بلير وجونسون (1987: 51)، أنّه لكلّ فكرة أو تصريح يُستعمل في الحجّة، هناك مجموعة معينة من المحاورين المثاليين الذين يمتلكون المعرفة الكافية واهتمامًا بهذه الفكرة. ويشيرون إلى أنّ عضوية هذه المجموعة تتفاوت بحسب نوع الفكرة؛ ففي بعض الحالات، يتألّف الجمهور المعنيّ من خبراء مختصين، في حين أنها في حالات أخرى، قد يتكون من «أشخاص عاديين» (ص. 51–52) (الباحثان).

تُضبط عبر معايير منصوص عليها ضمن قواعد مكرّسة لحلّ المشكلات، مستمدّة من مدوّنة سلوك تحكم الحوار الحجاجيّ المعقول. ومن ثَمّ، فإنّ هناك (أو قد يوجد) أفرادًا يقبلون بهذه المعايير بوصفها مرجعيّة صالحة على المستوى الجماعيّ؛ ما يمنحها الشّرعيّة التّقليديّة اللازمة لتقييم الحجج وذلك بتطبيقها عمليًّا.

4.3 المناهج المعنيّة بالفعاليّة البلاغيّة

جرى البحث في تحقيق الفعاليّة ضمن المناهج البلاغيّة واللّسانيّات التّداوليّة في دراسة الحجاج، مع العناية بالسّعي إلى تحقيق الفعاليّة، وليس على الفعاليّة التي يمكن رصدها تجريبيًّا. فلو كان الاهتمام منصبًّا على الفعاليّة المُلاحظة، لكان محور الدّراسة يدور حول التّأثير التّفاعليّ الفعليّ؛ أي قبول التّحرّكات الحجاجيّة من حيث المواقف، والانطلاقات، والحجج، وغيرها. أمّا ما يُتناوَل في المقاربات البلاغيّة، فيمكن وصفه بأنّه الفعاليّة المستحقّة؛ أي الفعاليّة التي يُفترض أن يحصل عليها المحاجج بناءً على جودة إستراتيجيّاته البلاغيّة. وتُعنى البلاغة بفحص كيفيّة توظيف الوسائل المتاحة للإقناع ضمن الخطابات الحجاجيّة الواقعيّة بغية تحقيق هذه الفعاليّة[1]. أمّا الفعالية المتحقّقة عمليًّا، فهي مجال بحث مستقلّ يُتناول في الدّراسات التّجريبيّة حول التّأثير الإقناعيّ في علم النّفس الاجتماعيّ[2].

في هذا السّياق، يُستعمل مصطلح إقناع شخص ما في المناهج البلاغيّة والتّداوليّة عمومًا بالمعنى الواسع؛ أي الإشارة إلى حمل الآخرين على تغيير آرائهم، بغضّ النظر عمّا إذا كان ذلك التّغيير قد تحقّق بطريقة معقولة أم لا. ومن هذا المنطلق، تُميّز النّظريّة التّداوليّة-الجدليّة بين الفعاليّة النّاجمة عن المعقوليّة، فلا تصفها بأنّها إقناع شخص ما، بل تدرجها تحت مسمّى الإقناع المنطقيّ (convincing)، بوصفه حالة خاصّة من الإقناع[3]. لا تُجرى في المناهج البلاغيّة والتّداوليّة أيّ تفرقة منهجيّة واضحة

1. بحسب سيمونز (1990: 5)، «البلاغة، بأكثر تعريف محايد، هي دراسة وممارسة الإقناع». ومع ذلك، يشير العديد من المفكرين الكلاسيكيين والمعاصرين إلى أنّ البلاغة لا تقتصر على الإقناع الفعّال فقط (الباحثان).

2. يهدف بحث تأثير الإقناع إلى «فهم كيف ولماذا تحقق الرسائل الإقناعية التأثيرات التي تحقّقها» (أوكيف 2006: 235). عبر مراجعات ميتا-تحليلية للدراسات التجريبية، يظهر أوكيف وجود علاقة واضحة بين الممارسة الحجاجية السليمة من الناحية المعيارية والنجاح الإقناعي (ص. 236–240) (الباحثان).

3. يتماشى تمييزنا مع اللغة العادية، إذ يمكن استخدام تعبير «إقناع شخص ما» بشكل صحيح فقط عندما يتم الدفاع عن موقف توجيهي (تحفيزي)، في حين أنه من الممكن تمامًا الحديث عن «إقناع شخص ما منطقيًا» بقبولية موقف وصفي أو

بين التّأثير الإقناعيّ (persuasiveness) والإقناع المنطقيّ[1] (convincingness). وإذا كان هناك مفهومٌ للمعقولية يشكّل الأساس لهذه المناهج، كما يبدو أنّ الحال غالبًا[2]، فإنّه في الغالب يقوم على تصوّر أنثروبولوجيّ يربط بين المعقوليّة وما يعدّه المشاركون في الخطاب معقولًا. ينطبق هذا الأمر على الدّراسات البلاغيّة للحجاج، وكذلك على البحوث التّداوليّة التّجريبيّة النّوعيّة، مثل دراسات دوري (2004، 2006)، التي تقدّم أوصافًا (emic) لاستعمال الوسائل التّفاعليّة الخطابيّة، كالمخطّطات الحجاجيّة.

على الرغم من أنّ البلاغيّين أنفسهم عادةً ما يرتبطون بالبلاغة بوصفها سعيًا لتحقيق الفعالية الإقناعية، فإن كوك (Kock, 2007) يوجّه نقدًا لهذا التوجّه[3]. ويرى أنّ البلاغة في الخطاب السياسيّ تتمحور حول المتحاورين الذين يطرحون خيارات متناقضة من غير أن يكونوا ملزمين بحلّ خلافاتهم. ومع ذلك، يمكن القول إنّ الحجاج السّياسيّ يهدف في نهاية المطاف إلى تسوية الخلافات في الرّأي، حتّى لو لم يكن الشّريك الرّسميّ في النّقاش—أي المتناظرون—هو الجمهور المستهدف بالإقناع، بل الناخبون؛ أي الجمهور الفعليّ الذي يسعى السّياسيّون إلى التّأثير فيه. إنّ الاختيار بين المواقف المختلفة يستلزم في النّهاية ترجيح موقف معيّن، ما يعني أنّ الحجاج السّياسيّ يسعى دائمًا إلى إقناع الآخرين بوجهة نظر محدّدة، ومن ثمّ، تحقيق شكل من أشكال تسوية الخلاف معهم. إضافةً إلى ذلك، عندما يكون السّعي نحو هدف آخر وسيلةً لتحقيق الفعاليّة، أو عندما يكون تحقيق الفعاليّة جزءًا من السّعي نحو هدف آخر -كإبراز الهويّة الشّخصيّة مثلًا- فإنّ الأدوات البلاغيّة الموظّفة تكون، في جوهرها، مصمّمةً أساسًا لتحقيق هذه الفعاليّة.

تقويمي. يهتم التداوليون-الجدليون بشكل أساسي بالدراسات البلاغية الموجهة نحو المعقولية، والتي تعنى بالإقناع عبر اللوغوس (أي الحجاج) (الباحثان).

1. استثناء جدير بالملاحظة هو تيندال (2004: 149)، إذ يقول: «إذا أردتُ أن أستهدف الإقناع المنطقي بدلاً من مجرّد الإقناع العام، فعليّ أن أعُدَّ جمهوري أناسًا معقولين" (الباحثان).

2. عندما يُشار إلى المغالطات في هذه المناهج، كما يحدث أحيانًا، لا بدّ من وجود معيار معيّن للمعقوليّة. ومع ذلك، من اللافت للنّظر أنّه كما يلاحظ جاكوبس (2002: 123)، على الرّغم من الاهتمام الكبير بالبلاغة في «المسائل الجدليّة الواضحة مثل جودة التّدبّر في المجال العامّ أو طبيعة الجدل»، فإنّ دراسة المغالطات في البلاغة «مغفلة إلى حد كبير." (الباحثان).

3. يُذكر برايت (2007: 11-13) أن البلاغة الكلاسيكية كانت تعنى في جوهرها بالإقناع الفعّال، غير أنّ العديد من العلماء الذين دأبوا على التأليف في هذا المجال كانوا، من غير التّصريح بذلك، يلتزمون بالشروط المعيارية المتعلقة بالحجاج المعقول التي تفرضها السّياقات المؤسّسيّة (الباحثان).

يركّز علماء البلاغة، عند تناولهم لموضوع الحجاج، على تحقيق الإقناع الفعّال. ويعرّف ليف (2002: 54-55) البلاغة، شأنه شأن العديد من الباحثين في هذا المجال، وفقًا للتّصوّر الأرسطيّ التّقليديّ، بوصفها مَلَكةً تتمثّل في «استنباط الوسائل المتاحة للإقناع في أيّ موقف معيّن». وتتميّز الرّؤية البلاغيّة، وفقًا له، بالاهتمام بتحقيق الفعاليّة في السّياق[1]، سواء أكان ذلك ضمن الإطار الماكرو-المؤسّسيّ الثّابت نسبيًّا (نوع الخطاب)، أم في الوضع الخاصّ الذي يجري فيه الخطاب الحجاجيّ، أم في السّياق المتغيّر الذي يتفاعل فيه الحجاج نفسه. ويؤكد ليف (2002: 62) أنّ «التنبه لهذه العناصر السّياقيّة في الحجاج هو ما يميّز المنظور البلاغيّ». وتنسجم هذه الرّؤية مع ما يطرحه كوفيلد (2002) في مقاربته للحجاج.

يتّضح وجود اتفاق كبير بين أنصار المنهج البلاغيّ والتداولية-الجدلية فيما يخصّ البعد التداولي لدراسة الحجاج[2]؛ إذ يؤدّي هذا البعد دورًا حيويًّا في تفسير آليّات تحقيق الإقناع الفعّال في الخطاب الحجاجيّ. وعندما يناقش كوفيلد (2002: 103-106) المعايير البلاغيّة الجوهريّة للإقناع الفعّال، فإنّه يستند إلى تعاليم غرايس (1975) حول المبادئ التّوجيهيّة والشّروط المناسبة لإنجاز الأفعال الكلاميّة، وهو بذلك يخوض في المجالات نفسها التي تناولها التّداوليّون-الجدليّون في نظريّتهم المعياريّة، إذ سعوا إلى تأسيس بنية تداوليّة منهجيّة لإعادة بناء الخطاب الحجاجيّ (فان إيميرين وغروتيندورست، 1984؛ فان إيميرين وآخرون، 1993). كما يشير كوفيلد (2002) إلى هذا التوجّه التحليليّ عند ربطه بين التزام المحاججين بمناقشة القضايا المحوريّة في الخلاف، و«الواجبات التي يتحمّلها المتحدّثون عادةً عندما يعبّرون عن آرائهم بجدّيّة». (ص 103)

كما هو الحال في الدراسات البلاغية، يؤكد علماء اللسانيات التداولية –الذين يجمعون في كثير من الأحيان، كما يفعل كوفيلد، بين الاهتمام اللّغويّ والبلاغيّ– على

1. إلى جانب الفعاليّة، يذكر ليف (2002) الملاءمة بوصفها قاعدةً من قواعد البلاغة (الباحثان).
2. يرتبط مصطلح التّداوليّة، وفقًا لمعناه الذي صاغه غرايس، بالفعل الهادف في كلا السياقين، بمستوى السيمياء، إذ تُدرس اللغات وأنظمة العلامات الأخرى في سياقاتها الواقعية، بناءً على استخدامها الفعلي في التفاعلات اليومية (الباحثان).

الضّرورة المعياريّة لإدماج السّياق في الإجراءات الاستشاريّة وغيرها من العمليات الحجاجيّة، بهدف تحقيق التّأثيرات الإقناعيّة في المواقف الحجاجيّة الواقعيّة. ويشير جاكوبس (2002: 123)، وهو أحد أبرز الباحثين في التّداوليّة اللّسانيّة، إلى الحاجة إلى إعادة الاهتمام بمفهوم الفعاليّة الحجاجيّة، معدًّا أنّ ذلك ضروريٌّ لتجاوز «التّحليل التّصنيفيّ للمغالطات»، وهو المنهج الذي تتبنّاه التّداوليّة-الجدليّة المعياريّة[1]. وبما يتوافق مع منظّري الحجاج الآخرين، يسعى جاكوبس إلى تحسين جودة الخطاب الحجاجيّ ضمن «العالم الواقعيّ الذي يعجّ بالفوضى والقصور» (ص. 129). لكنّه يرى أنّ تحقيق هذا الهدف لا يكون عبر منهج تداوليّ-جدليّ صارم تحكمه قواعد ثابتة، بل عبر مقاربة قائمة على دراسة الحالات، وموجّهة بلاغيًّا، تستند إلى فهم تداوليّ-لسانيّ دقيق للسّياقات التّواصليّة في الخطاب الحجاجيّ[2].

4.4 المناهج المعنيّة بالعلاقة بين المعقوليّة والفعاليّة

تشكّل العلاقةُ بين السّعي إلى الفعاليّة والحفاظ على المعقوليّة المسألة الجوهريّة في تطوير نظريّة الحجاج بوصفها تخصّصًا علميًّا. ويتجلّى تحديد هذه العلاقة عمليًّا في توضيح الصّلة المثلى بين المنظور البلاغيّ والمنظور الجدليّ. ولمّا كان هذان البعدان متداخلين جوهريًّا في الحجاج[3]، فلا يمكن النّظر إليهما على أنّهما رؤيتان منفصلتان تمامًا، تقود كلّ منهما إلى إطار نظريّ مستقلّ لا تربطه صلة بالآخر، بحيث يحدث التّكامل بينهما عَرَضًا. بل على العكس، يجب فهم المنظورين البلاغي والجدلي على أنهما متداخلان تأثيريًّا؛ إذ يؤثّر أحدهما في طريقة تطبيق الآخر. وإذا غلب أحد المنظورين على الآخر، فإنه يوجّه كيفيّة تفعيل المقاربة الموازية. ففي هذه الحال، يصبح تطبيق المنظور البلاغيّ مشروطًا بما يعزّز معقوليّة الحجاج، في حين

1. إنّ النظرة إلى الفعاليّة التي يدعو إليها «تعتمد على رؤى كلّ من التقاليد الجدليّة والبلاغيّة في نظريّة الحجاج»، وهي بذلك ترتبط بالمنهج المطوَّر في التداولية-الجدلية الموسّعة (الباحثان).

2. في ما يتعلّق بالفعاليّة الحجاجيّة مع الهدف الإستراتيجيّ الفردي كالتأثير الإقناعي في الجمهور»، يوصي جاكوبس (2002: 123–124) أيضًا بأخذ «كيفيّة تلبية الحجج للمصالح العامة» على المستوى المؤسسي في الاعتبار، من أجل «تحقيق اتخاذ قرارات معقولة» (الباحثان).

3. «الحجاج بطبيعته يهدف إلى تحقيق التأثير التفاعلي المتمثل في قبول موقف من قبل قاضٍ عقلاني يحكم بمعقوليّة». (فان إيميرين 2018: 3) (الباحثان).

يخضع تطبيق المنظور الجدليّ لما يزيد من فعاليّته. وكما تبيّن في مناقشة المناورة الإستراتيجيّة ضمن التّداوليّة-الجدليّة في القسمين 2.5 و3.3، قد يؤدّي هذا التّداخل إلى دمج وظيفيّ بين المنظورين، بحيث يتفاعلان في علاقة اعتماد متبادل، ما يتيح تفعيلهما معًا في سياقات الحجاج المختلفة.

عند النّظر في تصوّراتهم عن التّخصّص، يرفض العديد من البلاغيّين البارزين اختزالَ البلاغة في تحقيق الإقناع الفعّال من غير وضع ضوابط إضافيّة تحدّد كيفيّة تحقيق هذا الإقناع. يرى ليف (2002)، على سبيل المثال، أنّ البلاغة ينبغي أن تلتزم بمعايير جدليّة معياريّة، ويمنح الجدل دورًا تصحيحيًّا في هذا السّياق. بالإشارة إلى رؤية أرسطو للبلاغة بوصفها نظيرًا للجدل[1]. يؤكّد ليف أنّ البلاغة، بمجرّد أن تحرّك عجلات العقل، يجب أن تخضع جهودها الإقناعيّة لضوابط المعقوليّة الجدليّة (ص 61-62)[2]. وفي حين يرى ليف (2002) أنّ الجدل يتمحور بصورة أكبر حول الإجراءات الحجاجيّة التي يمكن فصلها عن السّياقات الميدانيّة، فإنّ الضوابط المعيارية للبلاغة تعتمد على التجذّر في السياقات في البلاغة تعتمد على السّياق الميدانيّ؛ لأنّ البلاغة تتميّز بالتجذّر في السّياقات[3]؛ فبينما يعمل الجدل «بصورة مستقلّة ضمن ممارسة الفنّ»، تميل البلاغة «إلى تكييف الحجاج وفقًا للمواقف العامّة» (ص 57).

في معرض الردّ على الرّؤية الأرسطيّة بشأن تحليل الحجج الجيّدة وتصميمها، التي تشترط الجمع بين المتانة الجدليّة والقبول البلاغيّ، يتبنّى هوهمان (2002: 50) موقفًا مماثلًا على المستوى العمليّ. مستندًا إلى تصوّر أرسطو عن التّكامل بين الجدل والبلاغة، يفضّل هوهمان التّعامل مع الجوانب الجدليّة والبلاغيّة في تحليل الحجاج بوصفها عناصر متكاملة، بدلًا من ترسيخ أولويّة أحدهما على الآخر (ص

1. للاطّلاع على العلاقة بين مفهوم العلاقة المقابِلة Antistrophos عند أرسطو ونظريّة الحِجاج الحديثة، يُنظر: فان إيميرين (2015: 31–53) (الباحثان).

2. بحسب ليف (2002)، لا غنى للجدلية عن البلاغة، إذ إنها تسهم في **تحديد المواقف وتوضيحها** ليكون في وسعها أن تؤدي دورها بفاعلية (ص. 61). وتتجلّى أهمية البلاغة، لأنّ هناك، في موضع ما، نقطة توقّف، أي **تنازل ينشأ من اتفاقات لم تُؤمَّن عبر تسلسل استدلالي صارم** (ص. 60) (الباحثان).

3. في تأويلنا: تقوم المعايير البلاغيّة للخطاب الحِجاجيّ الفعّال، وفقًا لما يراه ليف، على المتطلّبات الخاصّة بالموقف التواصليّ الذي يجري فيه الحِجاج. أمّا المعايير الجدليّة للخطاب الحِجاجيّ المعقول في التداوليّة-الجدليّة، فهي ذات طابع عامّ، غير أنّ تطبيقها في سياق نوع محدّد من النشاط التواصلي يستدعي تكييفها وفقًا لمتطلّبات السّياق المؤسّسي الأشمل (الباحثان).

49–50)[1]، ورغم أنّ ليف وهوهمان، بوصفهما من علماء البلاغة، يؤكّدان ضرورة الرّبط بين الجدل والبلاغة[2]، فإنهما لا يقدّمان تصوّرًا واضحًا عن كيفيّة تحقيق هذا الرّبط من منظور كلٍّ منهما[3]. لذا، لا تقدّم آراؤهما إضافةً جوهريةً تتجاوز تلك التي ترى في الجدل والبلاغة ليسا إلّا رؤيتين متوازيتين لا أكثر.

أمّا كاوفيلد (2002: 97–98)، الذي يتبنّى الرّؤية التّداوليّة–الجدليّة لنظريّة الحجاج بوصفها فرعًا من فروع اللّسانيّات التّداوليّة (فان إيميرين وغروتنادورست 1992)، فإنّه يسعى إلى تحديد معايير الكفاية الحجاجيّة ضمن مخطّط القضايا المحوريّةRubric of stasis [4] الذي يشكّل أساس الإقناع[5]. غير أنّ منهجه لا يعالج بصورة مباشرة العلاقة بين السّعي إلى الفعاليّة والحفاظ على المعقوليّة. في المقابل، يتقدّم زارفسكي (2006) خطوةً كبيرةً في المعالجة المعياريّة، إذ يرى أنّ إشكاليّة الصّلاحيّة، التي تعدّ معضلة محيّرة في الدّراسات البلاغيّة، يمكن تجاوزها بالاستفادة من الرّؤية التّداوليّة–الجدليّة (ص 313). ومن غير هذا المفهوم، تبرز إشكاليّة جوهريّة: «بخلاف النّجاح الإقناعيّ، ما الذي يضمن أنّ الحجة ليست فعّالة فحسب، بل متينة أيضًا؟"

عندما تتحدّد جودة الحجّة البلاغيّة وذلك بمدى توافقها مع معتقدات

1. يشير هوهمان (2002: 41) إلى هواجس سياسيّة تتعلّق باحتمال أن تُختزل البلاغة إلى دور الخادمة للجدل، كما يرى الجدليون-التداوليون. وقد أبدى تيندال (2004: 15) قلقًا مشابهًا في هذا الصّدد. ومن أجل تفادي التّصنيف العموديّ الهرميّ بين البلاغة والجدل، يذهب ليف (2006: 200) إلى إرسائهما ضمن تنسيقٍ أفقيّ موازٍ، بحيث لا يهيمن أحدهما على الآخر (الباحثان).

2. يرى ليف (2002: 9) إمكانيّة أن يُصحّح الجدل والبلاغة عيوب كلٍّ منهما، بحيث يتكاملا في تحقيق خطابٍ حجاجيّ أكثر اتّزانًا. وعلى نحوٍ مماثل، يؤكّد جرين (1990: 9)، وهو أحد أعلام البلاغة، أنّهما «يتداخلان دائمًا، ويُمكن أن يتحوّل أحدهما إلى الآخر، من غير أن يذوب أحدهما في الآخر أو يُمحى تمايزهما» (الباحثان).

3. يمضي كوك (2007: 243) أبعد من ذلك، إذ يُحدّد بعض الالتزامات الجدليّة من زاوية بلاغيّة، وهي التزامات ينبغي الحفاظ عليها لضمان المعقوليّة في الجدل السياسيّ. وعلى غرار جاكوبس (2002: 124)، ينصبّ اهتمامه أساسًا على دعم تحقيق هدف مؤسّسي جوهريّ، يتّصل ببلوغ الغاية المؤسّسيّة لنوع النشاط التواصليّ (الباحثان).

4. يشير مصطلح التّصنيف (Stasis) في نظريّة الحِجاج إلى المسائل الجوهريّة التي تُشكّل محور النّزاع وتحدّد مواضع الخلاف في الجدل. ويتضمّن هذا التّصنيف القضايا المحوريّة التي ينبغي معالجتها أو البتُّ فيها للوصول إلى نتيجة مقنعة في الحِجاج. وفي هذا الإطار، يُعَدّ تصنيف Stasis أداةً منهجيّةً لتحديد نقاط الاختلاف الحاسمة التي يقوم عليها الإقناع، كما يُوظَّف في توجيه مسار الخطاب الحِجاجيّ لضمان معالجته القضايا الرئيسة بفعاليّة، وصولًا إلى تقييم منطقيّ رصين (المترجم).

5. تُعرف هذه القضايا عادةً باسم «القضايا الثابتة»، إذ تمثّل النقاط الجوهرية التي ينبغي للمتحدّثين التصدّي لها في أُثناء تفاعلهم الحجاجيّ. في هذا السّياق، يشير كوفيلد (2002: 103) إلى أنّها تُجسّد «الواجبات التي يتعيّن على المتحدّثين الوفاء بها في أثناء قولهم، تحقيقًا لهدفهم الجاد في التّواصل». ومن جهته، يرى جودوين (2002: 89) أنّ كوفيلد، بسعيه إلى إيجاد أساس معياريّ لنظام Stasis، يُسهم في تجاوز إحدى الإشكالات التي تعترض هذا النظام، والمتمثّلة في افتقاره إلى «تفسيرٍ واضحٍ لكيفيّة إفضاء هذه العمليّة إلى تحقيق التّأثيرات المتوقّعة» (الباحثان).

الجمهور وقيمه، يحذّر زارفسكي من أنّ ذلك قد يؤدّي إلى خلط خطير بين الحجاج المتين والإقناع النّاجح (ص 314). ولهذا السّبب، يرى الباحثون الذين يسعون إلى ترسيخ البعد المعياريّ ضرورة إيجاد مفهوم يقوم بوظيفة الصلاحيّة، بحيث يتيح معيارًا محايدًا من حيث المحتوى لتقييم الحجج.

ومع ذلك، يرى زارفسكي أنّ المعايير البلاغيّة المطروحة حتّى الآن ليست كافية[1]، بما في ذلك معيار الجمهور العالميّ، إذ يشير إلى أنّ بيرلمان لم يوضّح السّمات التي يجب أن تمتلكها الحجّة لكي تستحقّ قبول الجمهور العالميّ[2]، ولا كيفيّة التّعرّف على توجّهات هذا الجمهور وتفسيرها (ص. 315).

عند التّأمّل في العلاقة بين الجدل والبلاغة، يشير ليف (2006: 200) إلى مفهوم الجدل البلاغيّ حينما تُدمج العناصر البلاغيّة ضمن إطار جدليّ. وفي المقابل، حين يكون العناية بالمنظور البلاغيّ مع دمج العناصر الجدليّة، فإنّه يطلق عليه البلاغة الجدليّة[3]. في رأيه، يمثّل الجدليّون-التّداوليّون جانبًا واحدًا من العملة، ويمثّل تيندال الجانب الآخر. ويؤكّد أنّ التّكيّف مع الجمهور، الذي يشكّل جوهر منظور تيندال[4]، لا يعدّ مجرّد عنصر أساسيّ في السّلوك الحجاجيّ -كما هو الحال في الجدليّة-التّداوليّة الموسّعة- بل يرتقي، وفقًا لرؤية بيرلمان، إلى مرتبة المتطلّب الأساسيّ. (ص. 201)[5]. بناءً على ذلك، يُتّهم تيندال بتبنّي نزعة نسبيّة مفرطة من شأنها تقويض المعايير الضروريّة للتّداول المعقول؛ ما يجعله عُرضةً للانتقاد بأنّه لا يقدّم حماية كافية لمواجهة التّلاعب والخداع والتملّق (ص 201).

ولكن، وكما يشير ليف، فإنّ تيندال يستبق هذا الاعتراض بالاستناد إلى مفهوم

1. يرى ماكيرو (1977) أنّ المعايير البلاغيّة نسبيةٌ وفقًا للسّياقات المختلفة. غير أنّ زاريفسكي (2006: 315) يُعلّق على هذا الرّأي بقوله: «هذا صحيح، ولكنّه غير مفيد جدًّا» (الباحثان).

2. بحسب زاريفسكي (2006: 315)، يتيح المنهج التداوليّ-الجدليّ إمكانيّة معالجة هذه الإشكالية عبر توضيح الشروط التي تجعل الحجّة صحيحةً من منظور غير صوريّ (الباحثان).

3. نرى أنّ دمج العناصر البلاغيّة في المقاربة الجدليّة لا يُحوّل الجدل بالضرورة إلى بلاغة، كما أنّ تضمين المعايير الجدليّة في البلاغة لا يعني أنّها تصبح جدليّة بالضرورة (الباحثان).

4. يُؤكّد **تيندال** أنّ الحجاج دائمًا ما يكون متجذّرًا في سياق يشمل المحاجج والجمهور والموضوع والزمان والمكان (الباحثان).

5. أقرّ تيندال (1999: 215) أنّه حتّى في الحالات التي يغيب فيها وضوح الجمهور المستهدف، كما يحدث في كثير من الأحيان، فإنّه من الضروري «استعادة أكبر قدر ممكن من الجمهور المقصود استنادًا إلى السياق المعروف» (الباحثان).

بيرلمان عن الجمهور العالميّ، الذي يُعدّ إطارًا معياريًّا للحجّة المعقولة؛ ما يجعله أداة لتقييم الحجج من منظور أكثر شموليّة وإنصافًا. ويخلص ليف إلى أنّ مفهوم الجمهور العالميّ، كما يوظّفه تيندال، يتجاوز في أهمّيته القواعد المنهجيّة المجرّدة التي يعتمد عليها النّظام الجدليّ-التّداوليّ في التّقييم (ص 201).

بدلًا من أن يكون الجمهور العالميّ كيانًا يُدرج في الوضع الحجاجيّ من الخارج، يرى تيندال (1999) أنّه ينبثق من الجمهور المحدّد، مما يجعله متصلًا به جوهريًّا (ص. 117). ويعتمد هذا التصور على فكرة الأرضية المشتركة التي يشترك فيها الجمهور العالمي مع الجمهور المحدّد (1974: 128).[1]، وانسجامًا مع رؤية كروسوايت (1989، 1996)[2]، يتخيّل تيندال أن عملية الانتقال من الجمهور المحدّد إلى الجمهور العالميّ[3]. كما يوضّح عمليّة معقّدة تتطلّب بناءً تدريجيًا. فحين يسعى المحاجج أو النّاقد إلى تشكيل جمهور عالميّ ذي صلة بالقضيّة المطروحة، يمكنه استنباط سمات معيّنة من الجمهور الملموس، ثمّ إسقاطها على التّصوّر العامّ للجمهور العالميّ[4]. يُعرب تيندال (1999: 117-118) عن تفاؤله بأنّ أعضاء الجمهور لن يسمحوا لآرائهم الشّخصيّة وأحكامهم المسبّقة بالتّحكّم في ما يرونه معقولًا. فعلى سبيل المثال، عندما يجري الكشف عن حيلة تلاعبيّة، فإنّ منظور الجمهور العالميّ يرفضها، وبذلك فإنّ المحاجج الذي يفكّر وفقًا لهذا المنظور لن يلجأ إلى استخدامها. بهذا المعنى، يوضّح تيندال أنّنا لا نفرض مفهوم المعقوليّة من الخارج، بل نصفه[5] ولا نفرضه.) ص. 120)[6].

1. يعدّ تيندال (1999: 120) «المعقول في كلّ حالة، وفي كلّ حجاج»، لأنّه لا يرغب في «فرض تصوّر للمعقوليّة على الحجاج، بل بالأحرى [...] البحث عنها هناك» (الباحثان).

2. يقترح كروسوايت (1989) مجموعة من التقنيات لتشكيل نموذج الجمهور العالمي استنادًا إلى الجمهور المحدد في سياقات مختلفة، حيث تشمل هذه التقنيات استبعاد بعض الأفراد من جمهور معين بالإضافة إلى دمج جماهير معينة. ومن الجدير بالذكر أن استخدام هذه التقنيات يشير إلى تطبيق معايير محددة للمعقولية (الباحثان).

3. لتوضيح ما يتضمّنه الانتقال من الجمهور المحدّد إلى الجمهور العالميّ، يقول تيندال (1999: 119): «يُتوصّل إليه من الأسفل، إذا جاز التعبير، مستخلصًا من الآراء المتنوّعة للجمهور المباشر ومجسّدًا في خطوة المعقوليّة التي يمثّلها الجمهور العالميّ» (الباحثان).

4. السّمة المميّزة للجمهور العالميّ، كما يرى تيندال، هي التّفاعل بين الواقعيّ والمثالي. (الباحثان).

5. هذا يُشير بوضوح إلى أنّ تيندال لديه تصوّر أنثروبولوجيّ للمعقوليّة (الباحثان).

6. يشير تيندال (1974: 116-117) إلى المتلقّي الأعلى عند باختين، الذي يجسّر بين الحواريّة الدّاخلية للموقف وما هو خارجها ."يمتلك المتلقي الأعلى "فهمًا استجابيًّا عادلاً تمامًا "(ص. 125)، وهو "ليس صوتًا آخر (ص. 127)»، بل إسقاطًا مفترضًا ويتحكّم فيه المحاجج (الباحثان).

يتوافق التّصوّر الأنثروبولوجيّ للمعقوليّة الذي يطرحه تيندال (1999) تمامًا مع رؤيته الأكثر تفصيلًا في كتابه (أنثروبولوجيا الحِجاج) (2021). وفقًا لهذا التّصوّر، يمثّل الجمهور العالميّ كيانًا يجسّد المعقولية بالمعنى العالميّ، إذ يتكوّن من «أناس حقيقيّين قادرين على التّباعد عن مواقفهم ورؤية ما يتجاوزها» (ص. 118). ويؤكّد تيندال في سياق مناقشته لبناء الجمهور العالميّ في الحِجاج، أنّه «لا يمكن لهذا الجمهور أن يقدّر الفعاليّة أكثر من المعقوليّة» (2004: 147)، لكنّه في الوقت نفسه يشدّد على أنّ «هذا لا يعني التّخلّي عن الفعاليّة» (1999: 117)[1]. غير أنّ تصوّره للمعقوليّة قد ينطوي على إشكاليّة النّسبيّة Relativism[2] ما لم يُدخِل معايير إضافيّة لضبط عمليّة «عولمة» الجمهور المحدّد، أي إسقاط المعايير العالميّة عليه. وإذا لم يقدّم مبرّرًا واضحًا لاعتماد معيار خارجيّ للمعقوليّة، فإنّ رؤيته قد تظلّ عرضةً لهذه الإشكاليّة وإن كان بالإمكان تجنّبها. لهذا السّبب، يرى تيندال أنّه في الانتقال من الجمهور المحدّد إلى الجمهور العالميّ، يجب استبعاد الاستدلالات الفاسدة، بعدّها تناقضاتٍ منطقيّةً لا يمكن القبول بها (ص. 118)[3].

إنَّ المعيار الذي يطرحه تيندال لتجنّب المغالطات الفاسدة قد يُفضي، من الناحية العملية، إلى نتائج مماثلة لتلك التي تنتج عن مدوّنة السلوك التداوليّ-الجدليّ في ضبط الحوار الجدليّ المعقول. فإذا صحَّ ذلك، يصبح من غير الواضح ما الفرق الجوهريّ بين منهج تيندال والمنهج التداوليّ-الجدليّ في ضمان المعقوليّة. على عكس مثاليّة المعقوليّة في نهج تيندال، التي تنبع من تصوّر المتحاور أو المقيّم الخارجيّ ضمن جمهور معيّن، فإنَّ المثاليّة التداوليّة-الجدليّة ليست انعكاسًا لهذا التصوّر، بل هي مدوّنة سلوك وُضعت على أسس تحليليّة، بغضّ النظر عن مدى قبول الجمهور بها.

1. بحسب تيندال (2004: 147)، فإنّ بيرلمان وأولبيرخت-تيتيكا لا يضحّيان بالمعقوليّة من أجل الفعاليّة أيضًا (الباحثان).
2. النسبيّة relativism هي فلسفة ترى أنّ الحقائق والمعايير ليست ثابتة أو مطلقة، بل هي متغيّرة وتعتمد على السيّاقات الثّقافيّة، أو الاجتماعيّة، أو الفرديّة. وبحسب النسبيّة، لا يوجد معيار عالميّ أو ثابت للحقيقة أو الصّواب؛ بل تتفاوت القيم والمعتقدات بحسب الظّروف والبيئة التي ينشأ فيها الأفراد. هذه الرّؤية قد تؤدّي إلى تبرير اختلاف الآراء والممارسات بشكل غير محدود، ما يخلق تحديًا في تحديد معايير ثابتة للمعقوليّة أو العدالة (المترجم).
3. ردًّا على مثال يتعلّق بعواطف عنصريّ بوصفه عنصرًا متناقضا آخر يجب استبعاده، يلاحظ تيندال (1999: 118) أن «العنصريّ نفسه، وكذلك معظم جمهورِه، قد لا يعترفون بهذا التّناقض، لكنّ المقيّم سيكتشفه، وله الآن سبب واضح لرفض مثل هذه التّصريحات» (الباحثان).

فضلًا عن ذلك، فإنَّ معايير المعقوليّة في المنهج التداوليّ-الجدليّ تخضع جميعها للاختبار والتّدقيق بهدف التحقّق من صلاحيّتها في مواجهة الإشكالات الحجاجيّة. وقد أُجريَت هذه الاختبارات النوعيّة قبل التحقّق من مدى قبول المتحاورين العاديّين لهذه المعايير. ومن هنا، فإنَّ المقبوليّة المجتمعيّة لهذه المعايير لا تُمنح لها مسبقًا، بل يجري اختبار مدى قابليّتها للاعتراف بها ضمن الممارسات الحجاجيّة التّقليديّة داخل المجتمعات التي يُفترض أن تعتمدها[1].

يعرض الشّكل 2 رؤيةً شاملةً للمحاور الأساسيّة التي تتناولها مقاربات نظريّة الحِجاج في دراساتها حول معقوليّة الحِجاج وفعاليّته. ويتّضح عبره وجود فجوة كبيرة بين المناهج الجدليّة والبلاغيّة في هذا السياق، إذ يُلاحظ أنَّ قلّةً من المناهج فقط تسعى بجدٍّ إلى ردم هذه الهوّة.

1. أظهرت الأبحاث التجريبيّة (فان إميرين وآخرون 2009) أنّ المتحاورين العاديّين يتّفقون مع معايير مدوّنة السّلوك التي جرى اختبارها حتّى الآن. ويُلاحَظ أنّ هذه الأحكام صدرت في بيئة تجريبيّة Laboratory Situation ، إذ أُستبعدت المؤثّرات المزعجة، مثل التّحيّزات النّاتجة عن التّورّط العاطفيّ الشّديد. قد لا تمثّل ردود الفعل في المختبر دائمًا المعايير الحقيقيّة للمعقوليّة لدى الناس (الباحثان).

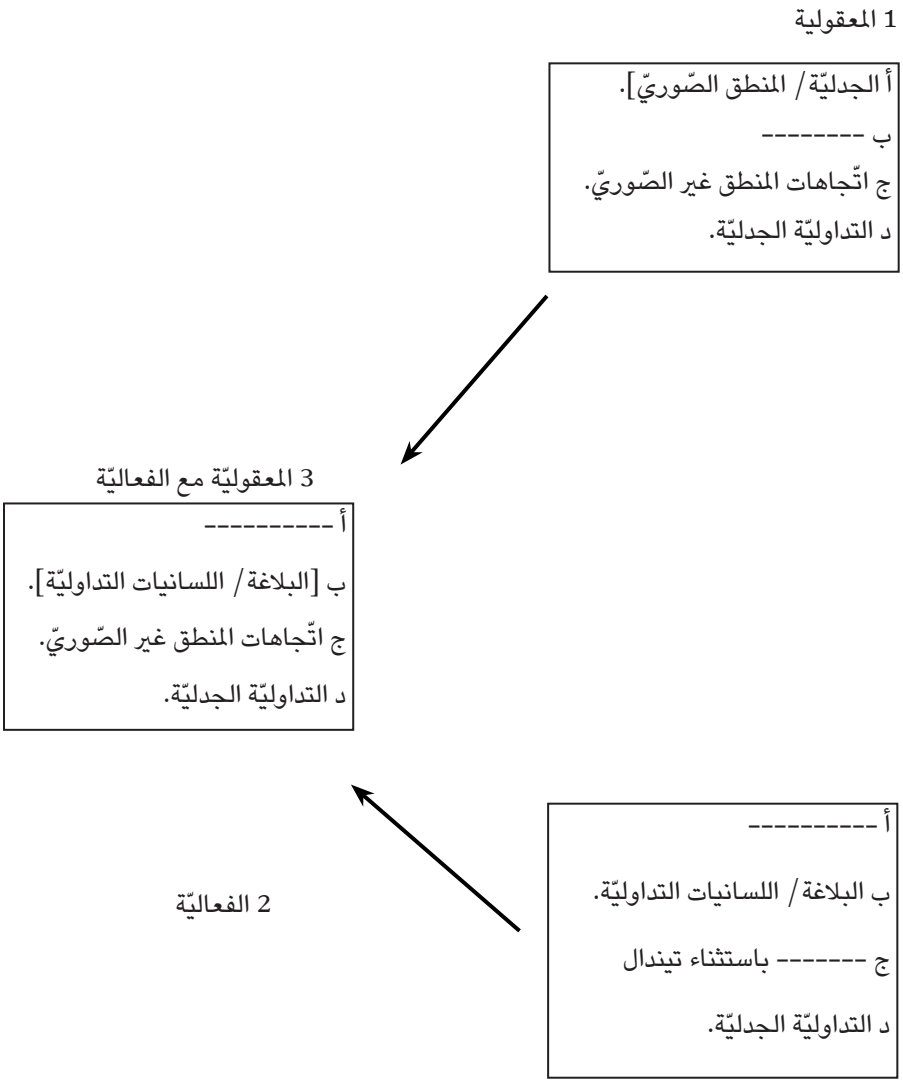

أ- الجدليّة/ المنطق الصّوريّ — غامق = يظهر بوضوح

ب- البلاغة/ اللسانيات التداوليّة — = يظهر بشكل محدود

ج- اتّجاهات المنطق غير الصّوريّ — -----= غير ممثّل

د- التداوليّة الجدليّة.

الشكل 2: الإسهامات في دراسة معقوليّة الحِجاج وفعاليّته.

5. الخاتمة

تعنى جميعُ المناهج التي ناقشناها، في الغالب، إمّا بالمعقوليّة الجدليّة؛ أي العقلانيّة، وإمّا بالفعاليّة البلاغيّة؛ أي الإقناع، وقد أسهمت كلٌّ منها بطريقتها الخاصّة في بلورة نظريّة الحِجاج بوصفه حقلًا مستقلًّا. بعض المناهج تتبنّى مقاربة وصفيّة بحتة، إذ تُقدّم رؤى قيّمة حول آليّات إنتاج الخطاب الحِجاجيّ الفعليّ، وتفسيره، وتقييمه. في المقابل، تُعنى مناهج أخرى بالجانب المعياريّ، مُلقيةً الضّوء على كيفيّة بناء الحِجاج وتحليله وتقييمه وفق معايير سليمة.

معظم المناهج لا تُسهم في جميع مكوّنات برنامج البحث الحِجاجيّ، بل تقتصر على بعض الجوانب. غير أنّ هذا لا يُعيق تطوّر العلم، ما دام هناك ترابط منهجيّ بين هذه المكوّنات. بل إنّ التخصّص المنهجيّ قد يفضي إلى تعميق الفهم للظواهر الحِجاجيّة.

تتميّز المناهج الجدليّة الصوريّة بإسهامها الرئيس في المكوّن النظريّ لتعزيز فهم معقوليّة الحِجاج، مع مساهمات أقلّ وضوحًا في المكوّنات الفلسفيّة، والتّحليليّة، والعمليّة، بينما يكاد المكوّن التجريبيّ يكون غائبًا. في المقابل، تهتمّ المناهج البلاغيّة واللسانيّات التداوليّة بدراسة فعاليّة الحِجاج، لا سيما في المكوّنين النظريّ والتّحليليّ، ولكن بدرجة أقلّ في المكوّنات الفلسفيّة، والتجريبيّة، والعمليّة، أمّا دراسات المنطق غير الصّوريّ، فهي تُعنى أساسًا بمعقوليّة الحِجاج، وتسهم في المكوّنات الفلسفيّة، والنّظريّة، والتّحليليّة، والعمليّة، في حين يبقى المكوّن التجريبيّ مُهمَلًا. ويعدّ إسهام تيندال استثنائيًّا ضمن هذا المنهج؛ إذ يُكرّس اهتمامه بالمكوّنات الفلسفيّة، والنّظريّة، والتّحليليّة، والعمليّة، مع عناية بارزة بالفعاليّة البلاغيّة، غير أنّ المكوّن التجريبيّ يظلّ محدودًا، أمّا البحث التداوليّ-الجدليّ، فهو الأشمل، إذ يتناول معقوليّة الحِجاج وفعاليّته ضمن جميع مكوّنات برنامج البحث.

يُعَدّ تحقيق الفعاليّة مع الحفاظ على المعقوليّة القضيّة المركزيّة في دراسة الحِجاج، غير أنّ عددًا قليلًا من المناهج يمنحها اهتمامًا صريحًا في المنطق غير

الصّوريّ، يتصدّى تيندال لهذه الإشكاليّة عبر دمج منهجه البلاغيّ مع الرّؤية الجدليّة للمعقوليّة، في محاولة لتحقيق توازن بين الإقناع والمعقوليّة. أمّا في التّداوليّة-الجدليّة، فيُعالَج الجمع بين الطّموحات المعقولة والطّموحات الفعّالة وذلك بمنهج بلاغيّ-جدليّ متكامل، يسعى إلى تحقيق الفعاليّة من غير المساس بمعايير المعقوليّة.

بحسب تعريف دليل نظريّة الحِجاج (فان إيميرين وآخرون، 2014)، فإنّ الحِجاج يهدف أساسًا إلى جعل الموقف مقبولًا لدى «قاضٍ عقلاني يحكم بمعقولية» (ص 7)[1]. غير أنّ طبيعة هذا القاضي العقلانيّ تختلف باختلاف المناهج الحِجاجيّة[2]. تتجلّى الفروق بين المناهج الحِجاجيّة في طبيعة الصّلة التي تربط بين المعقوليّة والفعاليّة، سواء أكانت هذه الصّلة قائمة أم مغيّبة. ومن بين الباحثين الذين يجمعون صراحة بين المنظورين الجدليّ والبلاغيّ، يعتمد التّداوليّون-الجدليّون دمج هذين البُعدين في إطار غير شخصيّ تحت مظلّة مدوّنة سلوك إجرائيّة. في المقابل، ينطلق المنطقيّ غير الصّوريّ تيندال من منظورٍ بلاغيّ، إذ يرى في الجمهور العالميّ البيرلمانيّ، الذي اقترحه بيرلمان، القاضيَ النّهائيّ في تقييم الحِجاج.

يرى تيندال (1999) أنّ الميزة الأساسيّة للمنظور البلاغيّ تكمن في ارتباطه بأكثر المواقف الحِجاجيّة تحديدًا واكتمالًا، حيث ينبثق المنظور الجدليّ من تلك المواقف ويتفاعل معها. غير أنّ هذا التصوّر للمنظورين ونشأتهما ليس دقيقًا تمامًا[3]. إضافة إلى ذلك، فإنّ افتراض أنّ الانطلاق من الحالات الأكثر تحديدًا واكتمالًا يُمثّل المدخل الأمثل للتنظير أمرٌ قابلٌ للنقاش، إذ يتطلّب التنظير قدرًا من التجرّد والتّركيز[4]. أمّا الادّعاء بأنّ المنظور البلاغيّ يقدّم «التّفسير الأكثر إرضاءً لماهيّة الحِجاج» (ص 7)، فإنّه لا يقتصر عليه وحده، بل يمكن أن يُقال الأمر ذاته في مناهج أخرى. فعلى سبيل المثال، يقدّم المنهج التّداوليّ-الجدليّ إطارًا نظريًّا للقواعد التي

1. كما يلاحظ بلير وجونسون (1987: 51) ملاحظةً دقيقةً، فإنّ مثل هذا المفهوم يُفترض ضمنًا في نظريّة الحِجاج، أي في المنطق غير الصّوريّ، «في النّموذج الضّمنيّ للحِجاج» (الباحثان).

2. تتراوح من الجمهور المثاليّ الهابرماسيّ إلى ميثاق سلوكيّ إجرائيّ (الباحثان).

3. ينطبق هذا الانتقاد، على سبيل المثال، على بيان تيندال (2004: 181) الذي يقول إنّ المبادئ الجدليّة «مستمدّة ومختبرة ومعدّلة من الحالات المحدّدة." (الباحثان).

4. يلاحظ برايت (2007: 11) على سبيل المثال، أنّ البلاغة تتعلّق بموضوع الحجّة العاديّة في المواقف الاجتماعيّة ذات المعنى، لكنّ الثّمن الذي تدفعه لعدم تجريدها من العوامل المختلفة هو نقص العمق (الباحثان).

تنظّم «اللّعبة الحِجاجيّة» على نحوٍ معقول، بحيث تلتزم بضوابطها المنهجيّة. كما يُتيح هذا المنهج آليّةً لمعالجة المناورة الإستراتيجيّة التي تهدف إلى تحقيق التّوازن بين الفعاليّة والمعقوليّة، وهو التّحدّي الدائم في الخطاب الحِجاجيّ. ورغم ما سلف ذكره من اختلافات، فإنّ منهج تيندال البلاغيّ والمنهج التداوليّ-الجدليّ يتقاطعان في العديد من العناصر الأساسيّة التي تُعدّ جوهريّةً في تطوير نظريّة الحِجاج. فكلا المنهجين ينطلق من مبدأ «تحقيق الفعاليّة عبر المعقوليّة»، أو –على نحو أكثر تحفّظًا– «تحقيق الفعاليّة من غير الإخلال بالمعقوليّة»، بوصفه جوهر الحِجاج، ومن ثمّ جوهر نظريّة الحِجاج بوصفه علمًا. يرى التّداوليّون-الجدليّون أنّ ضمان هذه العلاقة بين الفعاليّة والمعقوليّة يتحقّق على نحو أمثل عبر مدوّنة سلوك تستند إلى إجراءات جدليّة تنظّم الخطاب الحِجاجيّ وتحدّد قواعده[1]. في المقابل، يعتمد منهج تيندال على مفهوم «الجمهور العالميّ» بوصفه سلطةً معياريّةً تحلّ محلّ مدوّنة السلوك تلك. ومع ذلك، فإنّ هذا «الحارس للمعقوليّة» قد يفرض على المحاججين التّقيّد بمعايير المعقوليّة نفسها أو بمعايير قريبة ممّا تنصّ عليه المدوّنة التّداوليّة-الجدليّة. وإذا ثبت أنّ انتقال تيندال من الجمهور المحدّد إلى الجمهور العالميّ يفلح فعليًّا في تفادي المغالطات، وفقًا لتصوّره، فإنّ منهجه قد يتكافأ وظيفيًّا مع المنهج التداوليّ-الجدليّ القائم على مدوّنة السّلوك.[2]

سواء أكان الحكم على معقوليّة التحرّكات الجدليّة يستند إلى مدى توافقها مع معايير مدوّنة سلوك تُصاغ للتّعامل مع الإشكالات الحِجاجيّة، أم كان متروكًا لتقدير الأفراد الذين يُفترض أنّهم يُمثّلون الجمهور العالميّ المتوقّع، فإنّ تحديد مقبوليّة الحِجاج لا يُعَدّ، في أيّ من المنهجين، مسألة تقنيّة محضة تُحسم بقرار صادر عن مجموعة من الخبراء المتخصّصين الذين يضطلعون بدور القاضي العقلانيّ الذي يحكم بمعقوليّة. إضافةً إلى ذلك، فإنّ التقارب بين المنظور التداوليّ-الجدليّ الموسّع ومنهج تيندال تَعزّز بفضل الاهتمام البلاغيّ بالسّياقيّة Contextualization وهو

1. لأنّها أداة مهمّة في وصف قواعد اللّعبة، فإنّ المنظور الجدليّ في رأينا يتقدّم منهجيًّا (وليس هرميًّا) على المنظور البلاغيّ، ولكن يعتمد على النّقاط الفلسفيّة التي يبدأ منها الفرد لتحديد أيّ منظور يجب أن يُتّخذ نقطة انطلاق (الباحثان).

2. تتوافق هذه الاستنتاجات مع الافتراض المعقول بأنّ معايير تيندال (والباحثين ذوي الفكر المشابه) لتحديد ما إذا كانت الحجاجيّة مقبولة لدى الجمهور العالميّ لن تكون مختلفة جوهريًّا عن المعايير التّداوليّة-الجدليّة للمعقوليّة (الباحثان).

توجّهٌ تَرافق مع إدراج مفهوم المناورات الإستراتيجيّة ضمن النظريّة الحِجاجيّة[1]. ومع ذلك، فإنّ التّباين بين المنهجين يتجلّى بوضوح عند النظر في إشكاليّة النسبيّة: إذ في إطار منهج تيندال، يمكن لكلّ سياق أن يفرض، من حيث المبدأ، معاييره الخاصّة للمعقوليّة عند تقييم الحِجاج، في حين في المنهج التّداوليّ-الجدليّ، تُعَدّ هذه المعايير تخصيصاتٍ سياقيّة لمعايير معقوليّة عامّة ترتبط مباشرة بالمقتضيات المؤسّسيّة للسّياق الكلّيّ الذي يُجرى فيه الحِجاج. نرى أنّ تطوير نظرية الخطاب الحِجاجيّ وفق مقاربة جدليّة-بلاغيّة متكاملة، تُوازن منهجيًّا بين الحفاظ على المعقوليّة وتحقيق الفعاليّة، يُعَدّ أكثر جدوى من الخوض في نقاشٍ حول علاقة هرميّة بين المنظورين الجدليّ والبلاغيّ. فالغرض الأساس من تطوير الحِجاج هو تسوية الخلافات في وجهات النّظر؛ ما يجعل المسألة الجوهريّة لدى منظّري الحِجاج هي مدى تحقيق الفعاليّة مع الالتزام بالمعقوليّة في الخطابات التي يتناولونها بالتحليل[2]. أمّا الأهداف الأخرى، مهما بلغت أهمّيتها من منظور اجتماعيّ أو سياسيّ، كما أبرزها بعض الباحثين[3]، فلا ينبغي، في تقديرنا، أن تُدرج ضمن الأهداف العامّة لنظريّة الحِجاج بوصفه علمًا. وينسحب هذا الأمر حتّى على الاقتراحات التي تدعو، انطلاقًا من الاهتمام البلاغيّ التقليديّ بالأخلاق وبالمجتمع المدنيّ، إلى ربط الحِجاج بالفعل الأخلاقيّ (فرانك 2004: 267). يحقّ لمنظّري الحِجاج تقييم جودة الخطاب الحِجاجيّ من أيّ زاوية فكريّة أو عمليّة يرونها ملائمة، لكن ينبغي أن يظلّ اهتمامهم الأساسيّ منصبًّا على معقوليّة الحِجاج وفعاليّته في الدفاع عن وجهة نظر محدّدة.

1. انظر فان إيميرين (2015: 55–77) في ضرورة إضفاء الطابع التّجريبيّ على معالجة الحجاج، وإدراجها في سياقاتها، وتقنينها صوريًّا حيثما أمكن (الباحثان).

2. حتّى من منظور بلاغيّ يهتمّ بتحقيق الفعاليّة، يصرّح تيندال (1999: 119) بأنّ هدف مشروعه هو «الحجاج المعقول" (الباحثان).

3. على سبيل المثال، يوصي جيربر Gerber (2011: 22) بتصحيح «النّقائص الأخلاقيّة» في المناهج «العقلانيّة» للحجاج، مثل التّداوليّة-الجدليّة، التي «تواجه مخاطر اللاأخلاقية (الباحثان).

قائمة المراجع

- Anscombre, J. C., and O. Ducrot. 1983. L'argumentation dans la langue [Argumentation in language]. Brussels: Pierre Mardaga.
- Barth, E. M., and E. C. W. Krabbe. 1982. From axiom to dialogue. A philosophical study of logics and argumentation. Berlin/New York: Walter de Gruyter.
- Biro, J., and H. Siegel. 1995. Epistemic normativity, argumentation, and fallacies. In F. H. van Eemeren, R. Grootendorst, J. A. Blair & Ch. A. Willard (Eds.), Analysis and evaluation. Proceedings of the third ISSA conference on argumentation (University of Amsterdam, June 21–24, 1994), Vol. II (pp. 286–299). Amsterdam: Sic Sat
- Biro, J., and H. Siegel. 2006a. In defense of the objective epistemic approach to argumentation. Informal Logic 26 (1): 91–101.
- Biro, J., and H. Siegel. 2006b. Pragma-dialectic versus epistemic theories of arguing and arguments. Rivals or partners? In P. Houtlosser & A. van Rees (Eds.), Considering pragma-dialectics. A festschrift for Frans H. van Eemeren on the occasion of his 60th birthday, (pp. 1–10). Mahwah, NJ/London: Lawrence Erlbaum.
- Biro, J., and H. Siegel. 2011. Argumentation, arguing, and arguments. Comments on giving reasons. Theoria 72: 279–287.
- Blair, J. A., and R. Johnson. 1987. Argumentation as dialectical. Argumentation 1 (1): 41–56.
- Botting, D. 2010. A pragma-dialectical default on the question of truth. Informal Logic 30 (4): 413–434.
- Braet, A. 2007. De redelijkheid van de klassieke retorica. De bijdrage van klassieke retorica aan de argumentatietheorie [The reasonableness of classical rhetoric. The contribution of classical rhetoric to argumentation theory]. Leiden: Leiden University Press.
- Burke, K. 1969. A rhetoric of motives. Berkeley, CA: University of California Press. (1st ed. 1950).
- Crawshay-Williams, R. 1957. Methods and criteria of reasoning. An inquiry into the structure of controversy. London: Routledge & Kegan Paul.
- Crosswhite, J. 1989. Universality in rhetoric: Perelman's universal audience. Philosophy and Rhetoric 11: 157–173.

- Crosswhite, J. 1996. The rhetoric of reason. Madion: University of Wisconsin Press.
- Doury, M. 2004. La position de l'analyste de l'argumentation [The position of the argumentation analyst]. Semen 17, 143–163.
- Doury, M. 2006. Evaluating analogy. Toward a descriptive approach to argumentative norms. In P. Houtlosser & A. van Rees (Eds.), Considering pragma-dialectics. A festschrift for Frans H. van Eemeren on the occasion of his 60th birthday, (pp. 35–49). Mahwah, NJ/London: Lawrence Erlbaum.
- Dutilh Novaes, C., and M. Duncombe. 2016. Dialectic and logic in Aristotle and his tradition. History and Philosophy of Logic 37 (1): 18.
- Finocchiaro, M. A. 2005. Arguments about arguments. Systematic, critical and historical essays in logical theory. Cambridge etc.: Cambridge University Press.
- Frank, D. A. 2004. Argumentation studies in the wake of the new rhetoric. Argumentation and Advocacy 40: 276–283.
- Freeman, J. B. 2005. Acceptable premises. An epistemic approach to an informal logic problem. Cambridge: Cambridge University Press.
- Freeman, J. B. 2006. A place for informal logic within pragma-dialectics. In P. Houtlosser & M. A. van Rees (Eds.), Considering pragma-dialectics. A festschrift for Frans H. van Eemeren on the occasion of his 60th birthday, (pp. 63–74). Mahwah, NJ/London: Lawrence Erlbaum.
- Freeman, J. B. 2011. Argument structure. Representation and theory. Dordrecht/New York: Springer.
- Gascón, J. A. 2017. Brothers in arms: Virtue and pragma-dialectics. Argumentation 37 (4): 705–724.
- Gerber, M. 2011. Pragmatism, pragma-dialectics, and methodology. Toward a more ethical notion of argument criticism. Speaker and Gavel 48 (1): 21–30.
- Goodnight, G. Th. 1982. The personal, technical, and public spheres of argument. A speculative inquiry into the art of public deliberation. Journal of the American Forensic Association 18: 214–227.
- Goodnight, G. T. 2012. The personal, technical, and public spheres. A note on 21st century critical communication inquiry. Argumentation and Advocacy 48 (4): 258–267.
- Goodwin, J. 2002. Designing issues. In F. H. van Eemeren & P. Houtlosser

(Eds.), Dialectic and rhetoric: the warp and woof of argumentation analysis, (pp. 81–96). Dordrecht: Kluwer Academic. Argumentation Library 6.

- Govier, T. 1987. Problems in argument analysis and evaluation. Dordrecht/ Providence, RI: Foris.
- Govier, T. 1996. Preface. In R. H. Johnson (Ed.), The rise of informal logic. Essays on critical thinking, reasoning and politics, Newport News, VA: Vale Press.
- Green, L. D. 1990. Aristotelian rhetoric, dialectic, and the traditions of antistrophos. Rhetorica 8 (1): 5–27.
- Grice, H. P. 1975. Logic and conversation. In P. Cole & J. Morgan (Eds.), Speech acts, vol. 3, 41–58. New York: Academic Press.
- Gross, A. G., and R. D. Dearin. 2003. Chaïm Perelman. Albany: State University of New York Press.
- Hage, J. C. 2000. Dialectical models in artificial intelligence and law. Artificial Intelligend and Law 8: 137–172.
- Hahn, U., and M. Oaksford. 2007. The rationality of informal argumentation: a bayesian approach to reasoning fallacies. Psychological Review 114 (3): 704–732.
- Hamblin, C. L. 1970. Fallacies. London: Methuen. Reprinted in 1986 by eds. J. Plecnik, and J. Hoaglund, Newport News, VA: Vale Press.
- Hample, D., and J. M. Dallinger. 1987. Cognitive editing of argument strategies. Human Communication Research 14: 123–144.
- Hansen, H. V. 2011. Are there methods of informal logic? In F. Zenker (Ed.), Argumentation, cognition and community. Proceedings of the 9th international conference of the Ontario Society for the Study of Argumentation (OSSA), May 18–21, 2011 (pp. 1–13). Windsor, ON: OSSA. (CD ROM).
- Hansen, H. V., and R. C. Pinto. (Eds.), 1995. Fallacies. Classical and contemporary readings. University Park, PA: Penn State Press.
- Hitchcock, D. L. 2006. Informal logic and the concept of argument. In D. Jacquette, D. M. Gabbay, P. Thagard & J. Woods (Eds.), Philosophy of logic, 5 of Handbook of the Philosophy of Science, (pp 101–129). Amsterdam: Elsevier.
- Hohmann, H. 2002. Rhetoric and dialectic: Some historical and legal perspectives. In F. H. van Eemeren & P. Houtlosser (Eds.), Dialectic and

rhetoric. The warp and woof of argumentation analysis, (pp. 41–51). Argumentation Library 6.

- Jacobs, S. 2000. Rhetoric and dialectic from the standpoint of normative pragmatics. Argumentation 14 (3): 261–286.
- Jacobs, S. 2002. Messages, functional contexts, and categories of fallacy: Some dialectical and rhetorical considerations. In F. H. van Eemeren & P. Houtlosser (Eds.), Dialectic and rhetoric. The warp and woof of argumentation analysis, (pp. 119–130). Argumentation Library 6.
- Jacobs, S., and S. Jackson. 1982. Conversational argument. A discourse analytic approach. In J. R. Cox, and Ch. A. Willard (Eds.), Advances in argumentation theory and research, (pp. 205–237). Carbondale, IL: Southern Illinois University Press.
- Jacobs, S., and S. Jackson. 1989. Building a model of conversational argument. In B. Dervin, L. Grossberg, B. J. O'Keefe, and E. Wartella (Eds.), Rethinking communication, (pp. 153–171). Newbury Park, CA: Sage.
- Johnson, R. H. 1996. The rise of informal logic. Essays on critical thinking, reasoning and politics. With four chapters co-authored by J. A. Blair, edited by J. Hoaglund, with a Preface by T. Govier. Newport News, VA: Vale Press.
- Johnson, R. H. 2000. Manifest rationality. A pragmatic theory of argument. Mahwah, NJ-London: Lawrence Erlbaum.
- Johnson, R. H., and J. A. Blair. 2006. Logical self-defense (reprint of Johnson & Blair, 1994). New York: International Debate Education Association. (1st ed. 1977).
- Kauffeld, F. J. 2002. Pivotal issues and norms in rhetorical theories. In F. H. van Eemeren & P. Houtlosser (Eds.), Dialectic and rhetoric. The warp and woof of argumentation analysis, (pp. 97–118). Argumentation Library 6.
- Kock, C. 2007. Dialectical obligations in political debate. Informal Logic 27 (3): 233–247.
- Krabbe, E. C. W. 2002. Meeting in the house of Callias. An historical perspective on rhetoric and dialectic. In F. H. van Eemeren & P. Houtlosser (Eds.), Dialectic and rhetoric. The warp and woof of argumentation analysis, (pp. 29–40). Argumentation Library 6
- Krabbe, E. C. W. 2006. Logic and games. In P. Houtlosser & A. van Rees (Eds.), Considering pragma-dialectics. A festschrift for Frans H. van Eemeren on the occasion of his 60th birthday, (pp. 185–198). Mahwah, NJ-London: Lawrence Erlbaum.

- Leff, M. 2002. The relation between dialectic and rhetoric in a classical and a modern perspective. In F. H. van Eemeren & P. Houtlosser (Eds.), Dialectic and rhetoric. The warp and woof of argumentation analysis, (pp. 53–63). Argumentation Library 6.
- Leff, M. 2003. Rhetoric and dialectic in Martin Luther King's 'Letter from Birmingham Jail'. In F. H. van Eemeren, J. A. Blair, Ch. A. Willard & A. F. Snoeck Henkemans (Eds.), Anyone who has a view. Theoretical contributions to the study of argumentation, (pp. 255–268). Dordrecht: Kluwer Academic.
- Leff, M. 2006. Rhetoric, dialectic, and the functions of argument. In P. Houtlosser & A. van Rees (Eds.), Considering pragma-dialectics. A festschrift for Frans H. van Eemeren on the occasion of his 60th birthday, (pp. 199–209). Mahwah, NJ/London: Lawrence Erlbaum.
- Lorenzen, P., and K. Lorenz. 1978. Dialogische Logik [Dialogic logic]. Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft.
- Lumer, Chr. 2005. The epistemological theory of argument – how and why? Informal Logic 25 (3): 214–232.
- Lumer, Chr. 2010. Pragma-dialectics and the function of argumentation. Argumentation 24 (1): 41–69.McKerrow, R. E. 1977. Rhetorical validity: An analysis of three perspectives on the justification of rhetorical argument. Argumentation and Advocacy 13: 133–141.
- Næss, A. 1966. Communication and argument. Elements of applied semantics (A. Hannay, transl.). London: Allen & Unwin. (English transl. of En del elementære logiske emner. Oslo: Universitetsforlaget, 1947).
- O'Keefe, D. J. 2002. Persuasion. Theory and research. 2nd ed. Thousand Oaks: Sage. (1st ed/. 1990).
- O'Keefe, D. J. 2006. Pragma-dialectics and persuasion effects research. In P. Houtlosser en A. van Rees (Ed.), Considering pragma-dialectics. A festschrift for Frans H. van Eemeren on the occasion of his 60th birthday, (pp. 235–243). Mahwah, NJ-London: Lawrence Erlbaum.
- Perelman, Ch., and L. Olbrechts-Tyteca. 1958. La nouvelle rhétorique. Traité de l'argumentation [The new rhetoric. Treatise on argumentation]. 3rd ed. Paris: Presses Universitaires de France. Brussels: Éditions de l'Université de Bruxelles).
- Perelman, Ch., and L. Olbrechts-Tyteca. 1969. The new rhetoric. A treatise on argumentation. Notre Dame, IN: University of Notre Dame Press. (English transl. by J. Wilkinson & P. Weaver of Ch.

- Perelman & L. Olbrechts-Tyteca (1958). La nouvelle rhétorique. Traité de l'argumentation. Paris: Presses Universitaires de France. [3rd ed. Brussels: Éditions de l'Université de Bruxelles]).
- Pike, K. L. 1967. Etic and emic standpoints for the description of behavior. In D. C. Hildum (Ed.), Language and thought. An enduring problem in psychology, (pp. 32–39). Princeton, NJ: Van Norstrand.
- Pinto, R. C. 2006. Evaluating inferences. The nature and role of warrants. Informal Logic, 26(3), 287–327. (Reprinted in D. L. Hitchcock & B. Verheij (Eds.), Arguing on the Toulmin model. New essays on argument analysis and evaluation (pp. 115–144). Dordrecht: Springer. Argumentation Library 10.)
- Plantin, Chr. 1996. L'argumentation [Argumentation]. Paris: Le Seuil.
- Reisigl, M., and R. Wodak. 2001. Discourse and discrimination. Rhetorics of racism and antisemitism. London-New York: Routledge.
- Rigotti, E., and S. Greco. 2019. Inference in argumentation. A topics-based approach to argument schemes. Cham etc.: Springer. Argumentation Library 34.
- Siegel, H., and J. Biro. 1997. Epistemic normativity, argumentation, and fallacies. Argumentation 11, 277–292.
- Simons, H. W. Ed. 1990. The rhetorical turn: Between intervention and persuasion in the conduct of inquiry. Chicago, IL: University of Chicago Press.
- Tindale, Chr. W. 1999. Acts of arguing. A rhetorical model of argument. Albany, NY: State University of New York Press.
- Tindale, Chr. W. 2004. Rhetorical argumentation. Principles of theory and practice. Thousand Oaks, CA:, etc.: Sage.
- Tindale, Chr. W. 2021. The anthropology of argument. Cultural foundations of rhetoric and reason. New York & London: Routledge.
- Toulmin, S. E. 1958. The uses of argument. Updated ed. Cambridge, England: Cambridge University Press. (updated ed. 2003).
- Toulmin, S. E. 1976. Knowing and acting. An invitation to philosophy. New York, NY: Macmillan.
- Toulmin, S. E. 2001. Return to reason. Cambridge, MA: Harvard University Press. van Eemeren, F. H. 1987. Argumentation studies' five estates. In J. W. Wenzel (Ed.), Argument and critical practices. Proceedings of the fifth SCA/AFA conference on argumentation (pp. 9–24). Annandale, Virginia: Speech Communication Association. Reprinted in van Eemeren (2015: 81–109).

- Van Eemeren, F. H. 2010. Strategic maneuvering in argumentative discourse. Extending the pragmadialectical theory of argumentation. Amsterdam/ Philadelphia: John Benjamins. Argumentation in Context 2. https://doi. org/10.1075/aic.2.
- Van Eemeren, F. H. 2015. Reasonableness and effectiveness in argumentative discourse. Fifty contributions to the development of pragma-dialectics. Cham etc.: Springer. Argumentation Library 27.
- Van Eemeren, F. H. 2018. Argumentation theory. A pragma-dialectical perspective. Cham etc.: Springer Argumentation Library 33. https://doi. org/10.10076-95381-319-3-978/.
- Van Eemeren, F. H., and R. Grootendorst. 1984. Speech acts in argumentative discussions. A theoretical model for the analysis of discussions directed towards solving conflicts of opinion. Berlin: De Gruyter.
- Van Eemeren, F. H., and R. Grootendorst. 1991. The study of argumentation from a speech act perspective. In J. Verschueren (Ed.), Pragmatics at issue. Selected papers of the International Pragmatics Conference, Antwerp, August 17–22, 1987 (Vol. I, pp. 151–170). Amsterdam: John Benjamins.
- Van Eemeren, F. H., and R. Grootendorst. 1992. Argumentation, communication, and fallacies. A pragmadialectical perspective. Hillsdale (NJ): Lawrence Erlbaum.
- Van Eemeren, F. H., and R. Grootendorst. 2004. A systematic theory of argumentation. The pragma-dialectical approach. Cambridge, UK: Cambridge University Press.
- Van Eemeren, F. H., and A. F. Snoeck Henkemans. 2016. Argumentation. analysis and evaluation. New York-London: Routledge. 2th revised ed.
- Van Eemeren, F. H., R. Grootendorst, S. Jackson, and S. Jacobs. 1993. Reconstructing argumentative discourse. Tuscaloosa: The University of Alabama Press. Studies in Rhetoric and Communication.
- Van Eemeren, F. H., P. Houtlosser, and A. F. Snoeck Henkemans. 2007. Argumentative indicators in discourse. A pragma-dialectical study. Dordrecht: Springer. Argumentation Library 12.
- Van Eemeren, F. H., B. Garssen, and B. Meuffels. 2009. Fallacies and judgments of reasonableness. In Empirical research concerning

the pragma-dialectical discussion rules. Dordrecht: Springer. Argumentation Library 16.

- Van Eemeren, F. H., B. Garssen, E. C. W. Krabbe, A. F. Snoeck Henkemans, B. Verheij, & J. H. M. Wagemans. 2014. Handbook of argumentation theory. Dordrecht etc.: Springer.
- Van Eemeren, F. H., B. Garssen, and N. Labrie. 2021. Argumentation between doctors and patients. Understanding clinical argumentative discourse. Amsterdam-Philadelphia: John Benjamins.
- Van Eemeren, F. H., B. Garssen, S. Greco, T. van Haaften, N. Labrie, F. Leal, & P. Wu. 2022. Argumentative style. A pragma-dialectical study of functional variety in argumentative discourse. AmsterdamPhiladelphia: John Benjamins. Argumentation in Context 20.
- Walton, D. N. 1998. Ad hominem arguments. Tuscaloosa, AL: University of Alabama Press.
- Walton, D. N. 1999. Profiles of dialogue for evaluating arguments from ignorance. Argumentation 13 (1): 53–71.
- Walton, D. N. 2007. Dialog theory for critical argumentation. Amsterdam-Philadelphia: John Benjamins.
- Walton, D. N., and E. C. W. Krabbe. 1995. Commitment in dialogue. Basic concepts of interpersonal reasoning. Albany, NY: State University of New York Press.
- Walton, D. N., Chr. A. Reed, and F. Macagno. 2008. Argumentation schemes. Cambridge: Cambridge University Press.
- Woods, J., and D. N. Walton. 1989. Fallacies. Selected papers 1972–1982. Berlin/Dordrecht/Providence: de Gruyter/Foris.
- Zarefsky, D. 1995. Argumentation in the tradition of speech communication studies. In F. H. van Eemeren, R. Grootendorst, J. A. Blair & Ch. A. Willard (Eds.), Perspectives and approaches. Proceedings of the third international conference on argumentation, I, (pp. 32–52). Amsterdam: Sic Sat.
- Zarefsky, D. 2006. The ten rules of pragma-dialectics and validity in argumentation. In P. Houtlosser & A. van Rees (Eds.), Considering pragma-dialectics. A festschrift for Frans H. van Eemeren on the

occasion of his 60th birthday, (pp. 313–323). Mahwah, NJ-London: Lawrence Erlbaum.

- Zarefsky, D. 2014. Political argumentation in the United States. Historical and contemporary studies. Selected essays. Amsterdam/ Philadelphia: John Benjamins. Argumentation in Context 7.
- Zarefsky, D. 2021. Lyndon Johnson, Vietnam, and the Presidency: The speech of March 31, 1968. College Station, TX: Texas A & M University Press.
- Zenker, F. 2007. Changes in conduct-rules and ten commandments. Pragma-dialectics 1984 vs. 2004. In F. H. van Eemeren, J. A. Blair, C. A. Willard, & B. Garssen (Eds.), Proceedings of the Sixth Conference of the International Society for the Study of Argumentation, (pp. 1981–1989). Amsterdam: Sic Sat.z

مقالات

بكُلِّ نجاح واقتدار، نهضَ الأخ العزيز الشَّيخ محمد بن عبدالله الحارثي، بمشروعٍ عملاق، قوامه ترجمة الوثائق البريطانيَّة الهائلة الَّتي يفيضُ بها الأرشيفُ البريطاني، وقدَّم للمكتبة، بفروعها العُمانيَّة والعربيَّة والعالَميَّة، خدمةً جليلة لا تقدِّرها الأثمان، وأفنَى عُقودًا من عمره وأنفقَ جزءًا من ثروته في سبيل إخراج هذه الوثائق النَّفيسة إلى العَلَن، وترجمتها إلى اللُّغة العربيَّة بمنهج علمي مُتقَن، وتقديمها إلى الباحث والقارئ في طبعاتٍ فاخرة، وما كان حلمًا، تحوَّل إلى برنامج عمل مدروس ومفعَّل، وإلى تنفيذ وإنجاز وواقع ملموس... تركيز الشَّيخ المُترجِم على الوثائق البريطانيَّة خاصَّة، مردُّه إلى، أوَّلًا: الهيمنة البريطانيَّة على منطقة الخليج العربي، وعددٍ من البُلدانِ العربيَّة، ومناطق ودوَل أُخرى من العالَم، استمرَّت لمئات السَّنوات لبعضها، والاتِّفاقات الاستراتيجيَّة والسِّياسيَّة والاقتصاديَّة والعسكريَّة... الَّتي وقَّعتها مع حكومة وأنظمة هذه البُلدان وفي مقدِّمتها سلطنة عُمان، والدوَل الخليجيَّة... ثانيًا: لتربُّع بريطانيا كقوَّة عالَميَّة على مدَى قرون، وسيطرتها على مُعْظم الطُّرق والموانئ والبحار والمحيطات والبوَّابات الاستراتيجيَّة على مستوى العالَم... ثالثًا: لعلاقاتها الاستراتيجيَّة الوثيقة المستمرَّة حتَّى اليوم مع بُلدان العالَم، وبالأخصِّ القوَّة العظمى، الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة، ودَوْرها العَلَني والخَفي، المباشر وغير المباشر في رسمِ السِّياسات وإدارة خيوط اللُّعبة السِّياسيَّة والتَّحكُّم في الصِّراعات والحروب والحدود وتوجيهها بما يخدم مصالح الغرب على وَجْه العموم، وبريطانيا بالخصوص، وبما يُحقِّق المزيد من النُّفوذ والهَيْمنة... رابعًا: لأنَّ البريطانيِّين سواء كانوا موظَّفين ومسؤولين مكلَّفين

ومتخصِّصين، بمختلف درجاتهم ومواقعهم ومناصبهم الرَّفيعة والصَّغيرة، وباحثين ومكتشفين ورحَّالة ومبشِّرين... امتلكوا مهارةَ الحسِّ التَّوثيقي، وكتابة وتسجيل ملاحظاتهم اليوميَّة، بإتقانٍ وبراعة وغِنى في المحتوى، وتفصيلٍ دقيق يحتوي على كُلِّ شيء يخطُر في البال، فنشأ من ذلك الحسِّ والعمل المخابراتي والجاسوسيَّة، والاستيعاب والشَّغف والهواية والفضول حتَّى، أرشيفٌ ضخمٌ يحتوي على كنوزٍ من المعلومات المُتخصِّصة في شؤون دوَل وشعوب وثقافات وأقاليم... تحتاج إلى التَّنقيب والكشف والتَّقييم والتَّصنيف والتَّرجمة والمُراجعة والإخراج لِتصبحَ متاحةً للجميع، ومرجعًا للباحثين والقرَّاء... كُلُّ تلك الأسباب والحيثيَّات أسهمَتْ في غنى هذه الوثائق والتَّقارير السِّريَّة وغير السِّريَّة، والرَّسائل والتَّوصيات والملفات الدَّسمة والدِّراسات بأنواعها ودرجاتها ومستوياتها الَّتي تراكمت في الأرشيف البريطاني على مدى قرون من الزَّمن، وأصبحتِ اليوم مرجعًا خصبًا، ومصدرًا يفيض بالمعلومات عالية القِيمة، ويتدفَّق بالأسرار والخبايا المرتبطة بتاريخ وأحداث سلطنة عُمان، والخليج، والعالَم العربي، وعلاقات الشُّعوب والحكومات والأنظمة والقوى والإمارات والبُلدان بعضها بعضًا، بتشابكاتها وصراعاتها ومصالحها وتداخلاتها الحدوديَّة والسِّياسيَّة والاقتصاديَّة والثَّقافيَّة، وسِيَر الشَّخصيَّات الفاعلة والمؤثِّرة، والثَّقافات والأعراف والتَّقاليد والنُّظم الزِّراعيَّة والاقتصاديَّة والأنماط السَّائدة، ووصف الطَّبيعة والجغرافيا والمناخ والثَّروات المتوافرة وما يطرأ من حوادث الأوبئة وكوارث الطَّبيعة وغيرها كثير، ممَّا يصعُب حصرُه في مقال. وبالمختصر، يُمكِن أن نعرفَها باعتبارها مرجعًا شاملًا مفصَّلًا لكُلِّ ما يرتبط بسياساتنا وأعرافنا ومحتوى ثقافتنا وشخصيَّات مُجتمعنا وما جرَى في منطقتنا من أحداثٍ جسيمة وخطيرة أو عاديَّة وصغيرة على مدَى قرنَيْنِ من الزَّمن... فأن يتصدَّى فردٌ واحد لمشروعٍ بهذه الجسامةِ والحجْمِ والضَّخامة والأهميَّة، بما يُضيفه من قوَّة المصادر والمراجع التَّاريخيَّة، وخدمات جليلة للأكاديميِّين والباحثين وطلبة العِلم والقُرَّاء، ثمَّ دَوْره في تعميق الوعي وتصحيح الفَهْم والإحاطة والإدراك بما يَدُور من حَوْلِنا وكيف تُدار سياسة العالَم.. لأمْرٌ يدعو إلى الإعجاب وتُثير إنجازاته المُتتابعة الدَّهشة والإبهار، مع التَّوضيح بأنَّ الحارثي شغَلَ مناصب وظيفيَّة مهمَّة في الحكومة، إلى جانب أنَّه رجُل أعمال ورئيس

وعضو في عددٍ من الجمعيَّات والمؤسَّسات الخاصَّة والحكوميَّة والأهليَّة... لقد صدرتْ عن المُترجم، خلال العَقدَيْنِ والنِّصف المنصرمة، عدَّة موسوعات ضخمة وكتُب منتقاة بعنايةٍ تلقَّفتْها المؤسَّسات الثَّقافيَّة والعلميَّة ومكتباتها وروَّادها والمنتمون إلى فضاءاتها وحقولها بسعادةٍ بالِغةٍ وكتَبَ عَنْها الكثيرون. ومُعْظم ما صدَر من دراسات وأعمال ومؤلَّفات وعناوين حديثة، اعتمدتْ مراجعها ومصادر معلوماتها على هذه الموسوعات والكتُب الَّتي ترجَمها الحارثي. الإصدار الأخير ــ ضِمْنَ سلسلة موسوعات الوثائق البريطانيَّة ــ الَّذي ظهرَ بحلَّة فاخرة تحت مُسمَّى «موسوعات الوثائق البريطانيَّة السريَّة... جذور الدَّولة العربيَّة الحديثة»، في أربع موسوعات، ومن خمسة وعشرين مجلدًا، أعلنَ بوضوحٍ عن التَّوسُّع في المشروع، وانسحابه إلى فضاءات أكثر فسحةً ومجالًا، إلى الإقليم العربي، ببُلدانِه وشُعوبه وثقافاته تاريخًا وعلاقات مع القوى الأخرى على المستوى الإقليمي، أو العالَمي. الموسوعة الأُولى، في سبعة مجلَّدات، وتتقصَّى أحداث الفترة من «1864 وحتَّى 1918»، عنونتْ بـ«من الخلافة العثمانيَّة إلى الثَّورة العربيَّة». فيما تتناول الموسوعة الثَّانية ملفَّات «التَّغلغل البريطاني وحدود المَشرِق العربي، من عام 1914 وحتَّى 1940»، وتضمُّ ستَّة مجلَّدات. أمَّا «الالتزامات البريطانيَّة في المنطقة العربيَّة من العام 1915 وحتَّى 1920»، فاحتوتها الموسوعة الثَّالثة، في ستَّة مجلَّدات كذلك. المجلَّد الرَّابع والأخير، خصَّصه المُترجِم، لملفٍّ حسَّاس ودقيق للغاية، لا تزال انعكاساته وتأثيراته جاثمة على مشهدنا العربي، وهو «السِّياسات البريطانيَّة والقَوميَّة العربيَّة، من عام 1918 وحتَّى 1950»، وظهر في ستَّة مجلَّدات... يكشف الحارثي، في المقدِّمة عن خلفيَّات مشروعه الواعد والطَّموح، من بداية انطلاقته، إلى مراحل ومستويات الإنجاز الَّذي ظهَر متدرجًا، مشيرًا إلى أنَّ العملَ قد «بدأ مع بداية ألفيَّة القرن الحادي والعشرين، بترجمة بعض الوثائق من الأرشيف البريطاني، الخاصَّة بالأوضاع العُمانيَّة وتُوِّج بإصدار الطَّبعة الأُولى من موسوعة عُمان الوثائق السريَّة، في ستَّة مجلَّدات، صدرتْ في نهاية 2007. واستمرَّ الغور في تلك الوثائق بعد ذلك وأثمرَتْ مع 2022 عن إصدار موسوعتَيْنِ جديدتَيْنِ الأُولى بعنوان موسوعة المقيميَّة في الخليج والوكالة السِّياسيَّة في مسقط، من ثلاثة مجلَّدات، وموسوعة النِّفط والحدود في دوَل الخليج، وأيضًا

ظهرت في ثلاثة مجلَّدات، ومع بداية سنَة 2023م، استكملنا أعداد الطَّبعة الثَّانية من موسوعة عُمان الوثائق السريَّة في عشرين مجلَّدًا)». ويوضِّح محمد الحارثي بأنَّه «ومن خلال ترجمة تلك الوثائق انبثقتْ فكرة ترجمة الوثائق الخاصَّة بمنطقة المَشرِق العربي بعد الاطِّلاع على الكثير من الوثائق البريطانيَّة الخاصَّة بالدَّولة العثمانيَّة والعلاقات البريطانيَّة والفرنسيَّة والرُّوسيَّة والألمانيَّة والإيطاليَّة، وتداخلات سياساتها وتأثيراتها على المنطقة الممتدَّة من بلاد القوقاز إلى تركيا والبلقان، ومصر والشَّام، وبلاد الرافدين وفارس امتدادًا إلى الجزيرة العربيَّة والعلاقات مع ابن سعود وابن رشيد إلى الإدريسي في اليمن وعُمان ومنطقة الخليج بشكلٍ عام بما في ذلك ساحل عُمان والكويت والبحرين وقطر حتَّى الهند البريطانيَّة، حيث كان لكُلِّ تلك التَّداخلات التَّأثير المباشر على مستقبل دوَل المنطقة، فأخرجت هذا العمل، بعنوان: «موسوعات الوثائق البريطانيَّة السريَّة (جذور الدَّولة العربيَّة الحديثة)». ويُجيد مترجِم هذه الوثائق، بِفطنته المعروفة، ربْطَ الدّلالات والأسباب وما يَرمي إِلَيْه من النُّهوض بهذا المشروع الدَّسم والحيَوي.. وذلك انطلاقًا من الأهميَّة في «وضع إضاءات جديدة لِمَا دار في منطقتنا وفق ما دوَّنَهُ وسَطَّرَهُ اللَّاعب الأساسي وذو الباع في إرساء اللَّبِناتِ الأساسيَّة لإعادة صياغة المنظومة السِّياسيَّة لدوَل المُشرق العربي. وهو مبدأ أساسي في نقلِ الحدَث كما هو ووفّق ما نطقَ به مَن كان يُدَوِّرُ اللُّعبة في هذا الفلك والأكثر معرفةً بما كان يُخطّط له». وقد وفِّقتِ «الجمعيَّة العُمانيَّة للكُتَّاب والأدباء» باختيارها «الشَّيخ الأديب محمد بن عبدالله الحارثي» «شخصيَّة العام الثَّقافيَّة المكرَّمة» لعام 2024م، على هذا المشروع الكبير. نُهنِّئ الباحثين والمؤرخين والأكاديميِّين وعشَّاق القراءة والمعرفة، بهذا الإصدار الموسوعي الفريد في مستواه ومحتواه.

سعود بن علي الحارثي

al-arabiyya wal-tarjamah
Arab Organization for Translation Journal

حدّثيني
لماذا يصيرُ الجنوبْ
قبّةً، والسماء
عابرًا أزرق المتاهْ
وتصيرُ العيون
سُحبًا في ثراه
والرجالْ
شجرًا ماشيًا يتقفّى
خُطاه...

شوقي عبد الأمير

Dis-moi pourquoi
Le Sud devient une
coupole
Le ciel,
un voyageur perdu dans
le bleu
Les yeux,
des nuages sur terre
Et les hommes
Des arbres qui marchent
sur ses pas...

Chawki Abelamir

شوقي عبد الأمير دبلوماسي عراقي، يشغل حاليًّا منصب المدير العام لمعهد العالم العربي في باريس. من أبرز الشعراء العرب المعاصرين. قام بدور كبير في الحياة الأدبية والثقافية في العالم العربي وفرنسا، عبر نشاطاته الصحفية والدبلوماسية والدولية، وخاصة كمستشار لمنظمة اليونيسكو سابقًا. أصدر العديد من الدواوين الشعرية التي يُعبر فيها عن قضايا الإنسان المعاصر وسؤال الذات. تُرجم الكثير من شعره إلى اللغات الأجنبية. وهذه القصيدة صدرت مع ترجمتها إلى الفرنسية في ديوانه الذي بعنوان:

Fortune de mer, traduction Mohamed Kacimi el-Hassani, Paris, Al-Manar.

سعر البيع: 10 دولارات أميريكة أو ما يعادلها
ISSN2306-7152